الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر — كلية أصول الدين

قسنطينة — قسم العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص: العقيدة

الخطاب الصوفي الإسلامي المعاصر في فرنسا

-دراسة تحليلية نقدية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التصوف الإسلامي

إعداد الطالب: محمد زروقي

إشراف الأستاذ الدكتور: كمال جحيش

لجنة المناقشة:

د. عمار طسطاس	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د.كمال جحيش	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا مقررا
د. زهرة لحلح	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
د.عبد المالك بن عباس	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/ 2015 - 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

النحل: **128/125**.

جامعة الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــداء

إلى نبع الحنان أمي، إلى رمز الصدق أبي.

(رب ارحمهما كما ربياني صغير)

إلى إخوتي..

إلى كل أساتذتي وشيوخي..

إلى أعز أصدقائي في الجزائر والمغرب..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

أشكر الله على امتنانه وتوفيقه في إتمام هذا العمل.

أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور: كمال جحيش الذي أطر هذا البحث، وتحمل عناء متابعته وقراءته، وعلى ما قدمه لي من توجيهات وإشارات علمية هامة، كانت السبب المباشر في تقويم رسالتي لتكون جاهزة للمناقشة على هذا الشكل.

كما لا يفوتني أن أشكر أستاذي الدكتور: صالح نعمان الذي رعى هذه المذكرة في لحظاتها الأولى.

ويسرني أن أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة هذه الرسالة، وتفضلهم بمناقشتها، فلهم جميعا أسمى عبارات التقدير والاحترام.

وأنتهز الفرصة لأرفع أسمى تقديري واحترامي للأمين العام للرابطة العالمية للشرفاء الأدارسة وأبناء عمومتهم ومحبيهم، الشريف السيد: عبد الله حافيظي السباعي الإدريسي على ما قدمه لي من مساعدة ودعم في المملكة المغربية الشقيقة.

وأصل شكري وعرفاني إلى كل أحبابي في الطريقة الشيخية وعلى رأسهم العارف بالله سيدي **حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة** نفعني الله به وبعلومه وأسراره في الدنيا والآخرة، وكذا أشكر كل مريدي زاوية عين بني مطهر بالمغرب.

وأشكر جزيل الشكر مقدم الطريقة في عموم فرنسا الأستاذ مصطفى حاكمي، الذي قدم لي كل ما لزمني في سبيل إتمام هذا البحث، كما أشكر القائمين على الطريقة وأذكر منهم الدكتور جلول صديقي منسق الطريقة في أوروبا، والأستاذ الشيخ بوعمامة.

كما أشكر الصديق الدكتور عزيز الكبيطي إدريسي رئيس المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية، على ما قدمه لي من ملاحظات مهمة وعلى مراجعته لخطة البحث.

ولا أنسى أن أشكر الصديق محمد الهموري من أتباع الطريقة بإسبانيا، والصديق بحوص بن سعد على ما أسدياه لي من معروف.

كما أشكر القائمين على مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، وكذلك القائمين على المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، ولا أنسى القائمين على المكتبة المركزية، ومكتبات الشيوخ، وقسم الدوريات، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

وختاما أتقدم بعظيم الامتنان إلى عائلة " **عثماني** " على رعايتها واستضافتها الكريمة لي في قسنطينة.

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه والتابعين وبعد:

فقد حفت الظاهرة الصوفية لدى الإنسان بالعناية قديما وحديثا، ولا أدل على ذلك من أنها عرفت لدى كل الحضارات، فقد وجدت حياة روحية لدى الفرس والهنود والإغريق، بل وحتى عند الفراعنة، مع تسجيلنا للتباين الجلي في تمظهرات الممارسة الصوفية فيما بين هذه الحضارات، كما عرفت الأديان السماوية القاسم المشترك نفسه بين روحانياتها، وإن أمر استجلاء قواسمها يسيرا، وما ذلك إلا لأمرين:

الأول: وحدة المصدر الذي انبثقت عنه الحكمة الكتابية.

ثانيا: خاصية التكامل التي توفرت في الأنبياء الثلاثة، فموسى وعيسى ومحمد – عليهم السلام – ، إنما جاءوا ثلاثتهم لإتمام بناء واحد، وما التصوف إلا جلال وجمال وكمال.

إن الخطاب الصوفي بما هو فلسفة حياة، وخاصية سلوكية، يتخذها الإنسان في الحياة للخلاص من عبودية مادته الأرضية، وتوقا نحو الأفق العرفاني، ونهلا من الحقيقة المطلقة، يثبت كل يوم أنه جوهر الإحسان الإنساني الذي يحقق لنا إنسانا كاملا.

يعد الحضور الصوفي والانتشار السريع الذي يشهده في كل بقاع العالم، ظاهرة تستحق الدراسة ولذلك نجد المكتبة مليئة بمثل هذه الأبحاث التي بحثت خارطة توزيع الطرق الصوفية في العالم، ومن ذلك أننا نجد العديد من الدراسات التي عنيت بالحضور في العالم الإسلامي، فها هي دراسة تؤرخ للتصوف في مصر وهاهي ثانية تؤرخ له في العراق، وهاهي ثالثة تؤرخ له في الغرب الإسلامي والأندلس.. بالإضافة للدراسات التي اهتمت بالتصوف في الشرق الأوسط وفارس، وشبه الجزيرة الهندية.

لقد استطاع التصوف منذ البدايات الأولى التي التقى فيها الشرق بالغرب أن يجد له مكانا مرموقا باعتباره ضيفا كريما خصوصا وأن الحضارة الغربية المستقبلة وجدت في هذا الوارد الجديد عليها نوعا من التوافق الروحي مع ما هو موجود في الديانة المسيحية من نسك ورهبنة..

ويرجع المستشرق الفرنسي إيريك جوفروا .Eric Geoffroy – وهو واحد من أهم الدارسين المعاصرين لتاريخ التصوف في أوروبا –

بداية الاتصال الروحي بين الأوروبيين والمتصوفين إلى بداية القرن التاسع عشر خاصة بين أعضاء فرقة (الوردة ـ الصليب)Rose-croix والتي يطلق على أعضائها " المتصوفون الأوروبيون": كما يشير

إلى تأثير كتابات الشاعر الفرنسي جيرار دي نرفالGérard de Nerval (المتوفي عام 1843)، على قرائه ومعجبيه وعلى كثير من أقرانه من المثقفين الفرنسيين في منتصف القرن التاسع عشر، وقد تأثر جيراردي نرفال بالدراويش والمتصوفين أثناء إقامته في القاهرة وإسطنبول. كما كان لوجود الأمير عبد القادر الجزائري في فرنسا لمدة خمس سنوات (1847/ 1852) أثر عميق في الأوساط الثقافية والعلمية في فرنسا كما أثار إعجاب رجال الدين المسيحي وخاصة الراهبات الكاثوليكيات اللواتي تأثرن بشدة بأفكاره عن الصوفية.

ونستطيع أن نقول في السياق نفسه إن فرنسا استطاعت أن تستقطب التصوف الإسلامي قبل أي تيار فكري آخر ينتسب للإسلام خصوصا ما كانت له علاقة بالإسلام الحركي..

ومع ذلك فإن العلاقة بين الطرق الصوفية والدولة الفرنسية لم تستنفذ مخزونها بعد، بل يمكننا القول بأنها أصبحت علاقة إستراتيجية لا تجد تطبيقاتها فقط في السياسة الخارجية الفرنسية التي تراهن على التصوف من أجل حصر مد الحركات الإسلامية المتطرفة مثلها مثل باقي الدول الغربية فيما يسمى بمخطط دعم الإسلام المعتدل بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، بل كذلك في عمق الداخل الفرنسي من أجل صياغة ما أصبح يصطلح عليه اليوم في المجال التداولي الفرنسي بـ: (الإسلام الفرنسي) المتوافق مع مبادئ الجمهورية والقيم اللائكية، ويبدو هذا جليا من خلال الترويج الأكاديمي والإعلامي للتصوف، ومن خلال التواجد الملفت للطرق الصوفية بفرنسا، والمساحات الموفرة لها من أجل الاستقطاب خاصة بالضاحية الباريسية خصوصا بعد تنامي الحركة الدعوية التي يقودها كل من التيار السلفي وجماعة الدعوة والتبليغ، ومن خلال طبيعة الخطاب الذي يحاول تسويقه رسميا في أوساط المسلمين الفرنسيين خاصة عبر مؤسسة المسجد الكبير لباريس وعبر عدد من الباحثين المحدثين في التصوف الذين يروجون للتصوف الفرانكفوني أو ما يسمى بتيار التصوف الفرنسي.

إن التصوف نتيجة لبراعة شيوخه، ومنظريه استطاع خلق أطر تنظيمية مبدعة، هذه التنظيمات التي تمايزت لعدة عوامل عرفت الكثير من الأسماء، المباينة لها عن سواها من التنظيمات السرية الشبيهة، إلا أن التنظيمات الصوفية التي يصطلح عليها لدى المؤرخين للتصوف بـ: " الطرق الصوفية " استطاعت أن توجد لها مكانا في زحام الحضارة الغربية الغارقة في المدنية، وقد كانت الطرق الصوفية المغاربية عموما والجزائرية خصوصا أهم الطرق التي نسجت خطابا صوفيا يليق بالعقلية الغربية، ومن هذا النسيج ما قدمته الطرق الصوفية الجزائرية من خطاب موجه للجمهور الفرنسي، ولعل المبادرة الرائدة التي قام بها الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي (ت 1934م)، فتحت الباب واسعا أمام الخطابات

الصوفية المغاربية كلها، والتي توالت بعدها، والدارس للخطابات الصوفية المعاصرة سيشهد قوة حضور لخطاب من الخطابات الصوفية الجزائرية التي بدأت تتشكل مع بداية القرن الواحد والعشرين بفرنسا – وإن كانت إرهاصاته الأولى قد وجدت منذ بدايات حركة الهجرة الجزائرية نحو فرنسا – وهذا الخطاب هو الخطاب الصوفي للطريقة الشيخية أو البوشيخية التي تنسب إلى مؤسسها الشيخ **عبد القادر بن محمد** المعروف بـ: " سيدي الشيخ " (ت 1616م)، هذا الخطاب الذي قام شيوخ الطريقة بنقله إلى البيئة الفرنسية، خصوصا مع ما شهدته الطريقة من حكامة بمجيء الشيخ الحالي للطريقة الشيخ حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة.

وقد اخترت خطاب الطريقة الشيخية الشاذلية كنموذج تركز عليه الدراسة، وذلك بدراسة هذا الخطاب دراسة تحليلية نقدية، وفي هذا السياق فإن خطاب الطريقة الشيخية في فرنسا أخذ يحتل موقعه داخل المنظومة الفكرية والمعرفية الفرنسية بشكل فاعل وملحوظ، وذلك يعود إلى ثراء خطاب هذه الطريقة، هذا الخطاب الموجه للجمهور الفرنسي، وبذلك فقد استطاع هذا الخطاب تخطي الحدود المكانية والفواصل الزمنية، إذ اختار لنفسه فضاءات ثقافية مناسبة، كما تقمص أدوارا عديدة في التعبير عن حالاته الفكرية والوجودية والفلسفية، وبذلك كله استطاع الخطاب الشيخي أن يتحدى كبرى الخطابات الصوفية في فرنسا في العصر الراهن.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة التحليلية النقدية رصد أهم ملامح الطرق الصوفية في فرنسا عموما – مع التركيز على النموذج الذي لزمنا اختياره بالتحليل – حيث يندمج التصوف ويذوب في شبكة معقدة من العناصر السوسيولوجية والإثنية والاقتصادية والتاريخية والأمنية التي تشكل في تضافرها الظاهرة الصوفية الإسلامية بفرنسا، وتحدد كذلك طبيعة تفاعل الدولة الفرنسية معها طبقا لقانون 1905 الذي يفصل بين الدين والدولة.

أهمية الموضوع:

من خلال ما تقدم نستطيع القول بأن الخطاب الصوفي الشيخي المعاصر في فرنسا قد مكن لنفسه تمكينا تجلى في أن صار له تأثير في الساحة الفكرية الفرنسية عموما، وفي الشق الديني منها على وجه الخصوص، فأصبح بذلك نموذجا عن الإسلام الروحي السلمي، هذا الإسلام الذي لم تجد فيه الساحة الأوروبية خطرا أو تهديدا لها فصارت تشجعه وتدعمه، وهنا تكمن أهمية فهم طبيعة الخطاب الصوفي المتداول في فرنسا وأهمية استشراف آفاقه في المستقبل لمحاولة وضع هذا الخطاب في سياقاته وفق البيئة التي صدر فيها.

إشكالية البحث:

ومن كل ما ذكر من قبل فإن إشكالية هذا البحث تكمن في تجلية طبيعة الخطاب الصوفي الشيخي السائد في فرنسا، ونوعيته ومرتكزاته التي يقوم عليها، ومدى تأثيره على غيره من الخطابات الموازية سواء الإسلامية منها أم غيرها كالخطاب المسيحي واليهودي في جانبيهما الروحي، ومن هنا تتبلور الإشكالية الأساسية الآتية:

ما هي طبيعة الخطاب الصوفي الشيخي في فرنسا ؟

وتتفرع تحت هذا السؤال الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية:

وما هي الهياكل والمؤسسات التي يعتمدها في فرنسا ؟

وهل يمكن لهذا الخطاب أن يقلص الهوة بين المسلمين والغرب ؟

وما هو الدور الذي يؤديه هذا الخطاب انطلاقا من موقعه ؟

وما أثر هذا الخطاب في الساحة الروحية الفرنسية ؟

هذه الأسئلة المركبة تؤكد مدى أهمية هذه الدراسة مما تتناسب مع العنوان التالي:

" الخطاب الصوفي الإسلامي المعاصر في فرنسا، دراسة تحليلية نقدية "

وفي إطار هذا العنوان سنحاول معالجة الإشكال السابق الذي يعتبر تأزما نظريا يتضمنه الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع:

أما عن أسباب اختيار الموضوع فهي باعتبار الذاتي والموضوعي كالآتي:

أسباب ذاتية:

تكمن في اختيار الموضوع بناء على رغبتي الملحة في خوض غمار هذا الفن، لاسيما وقد عشت أياما التقيت فيها ببعض دعاة المنهج الصوفي الفرنسي " في المغرب خصوصا "، بالإضافة لمشاركتي في الملتقى الدولي للتصوف بليبيا سنة 2010 من تنظيم المكتب العالمي للتصوف، الذي كنت أصغر عضو فيه حينها، وكذا مشاركتي في الملتقى الصوفي للتعايش بين أتباع الأديان بمدينة طنجة المغربية سنة 2012، حيث شارك في الملتقى أتباع كل من الديانتين المسيحية واليهودية من العديد من الدول، وكذا مشاركتي في المهرجان الدولي للطريقة الشيخية لسنتي 2012 و2014، بالإضافة للعلاقة التي تربطني بالطريقة الشيخية الشاذلية من خلال التقائي بشيخها الحالي حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة، وكذا

للصداقة والمودة التي تربطني بمقدمي الطريقة في أوروبا، ومقدميها في كل من المغرب والجزائر وأسبانيا، وكذا علاقاتي بكثير من شيوخ وأتباع الطرق الصوفية الأخرى في أوروبا وفرنسا على وجه الخصوص.

الأسباب الموضوعية:

تتلخص في أن فرنسا تعتبر بالنسبة لأوروبا بمثابة المركز الفكري الذي تنتج فيه كل الأفكار التي عادة ما تسود أوروبا، بالإضافة إلى مكانة التصوف في فرنسا، خصوصا من حيث عدد الأتباع ونوعيتهم، حيث يستقطب الطبقة المثقفة والراقية، من أصحاب المال والنفوذ، وأصحاب المستويات الفكرية المتميزة، بالإضافة إلى الدور الريادي الذي يؤديه الخطاب الشيخي ضمن الخطابات الصوفية الفرنسية، خصوصا من خلال الخطاب المؤسساتي الجديد الذي تعتمده الطريقة الذي استطاع أن يكسب التصوف في فرنسا صفة المواطنة.

أهداف البحث:

ويهدف الموضوع إلى إبراز طبيعة الخطاب الصوفي الشيخي وتجلياته، وبيان حدوده وخصائصه بصفته خطابا جديدا، فالخطاب ممارسة تواصلية يتشكّل وفقا للموضوع الذي يصنع بنيتَه. ولكنّ الخطاب الصوفي الشيخي لا يقف عند كونه خطابا ملفوظا أو منطوقا، بل يتعدّاه إلى أن يكون سلوكا أو لغة جسدية أو لغة جماعية تنظيمية، قد تكون أحيانا أبلغ من اللغة المنطوقة.

وبات تهافت القِلّة القليلة على الإسلام، بفضل الخطابات الدينية وأهمّها الخطاب الصوفيّ، ميزة اختص بها التصوف دون غيره، حيث استطاع أن يستقطب كثيرا من عظماء الفكر والفلسفة في الغرب، وفي فرنسا على وجه الخصوص، لذا بات من الأهمية بمكان أن نبرز مميزات هذا الخطاب الذي كان له الفضل فيما سبق ذكره.

ومن هنا كان واجب الخطاب الصوفيّ الشيخي أن يحمل على عاتقه لواء مواجهة جزء من حالة التيه التي يعيشها الشعب الفرنسي، وكسر عولمته المشبوهة، واستبدالها بحداثة روحية حقيقية، ذلك أنّ الإسلام يحمل في ذاته مقوّمات العالمية الحقّة، فهو دين العالمين، به أُرْسِل الرسول للناس قاطبة، حاثّا على كلّ ما يمكن أن يوفّر الأمن والسلام للبشرية، ولن يتأتّى هذا الأمر إلاّ إذا عملنا على تحسين أخلاقنا وتهذيبها، وهي خطوة أولى نحو الانتصار على الذات وتمرّدها، ومنه إلى تحقيق السيادة العالمية التي تجمع الناس على كلمة سواء تكون فيها مصلحة الإنسان أسمى المصالح وفق تقديس مبدإ الإنسان.

ويهدف هذا البحث أيضا إلى الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية ببحوث جادة ومتخصصة،

خصوصا ونحن نشهد المكتبة الصوفية في عالمنا، تعاني من نقص فادح في الكتابات الجادة والعميقة، بالإضافة إلى الحملة المغرضة من طرف كتابات الظاهرية الجدد، والتي وإن كانت سطحية ساذجة، إلا أنها استطاعت أن تغلب على نظرة الشعوب الإسلامية وللأسف.. ينضاف إلى ذلك كتابات بعض المستشرقين، الذين حاولوا أن يبعدوا كل ما له علاقة بالإبداع عن المسلمين، بإرجاعهم التصوف إلى أصل خارجي فحسب.

تحديد نطاق البحث:

سنتناول الموضوع من وجهة نظر دقيقة وفق المفاهيم الصوفية المتعارف عليها عند أصحاب هذا الفن.

بالإضافة إلى محاولة الانفتاح على الدراسات وكذا المناهج المعاصرة، وسنحاول في هذه الدراسة أيضا أن نركز البحث في طبيعة الخطاب الصوفي الشيخي، ولا نتعداه إلى ما يمكن أن تكون له علاقة بالموضوع من بعيد، وبالتالي ستكون الدراسة مركزة جدا حيث سنأخذ الخطاب الصوفي الإسلامي المعاصر في فرنسا من خلال نموذج الشيخية، متعرضين لهذا الخطاب بالتحليل والنقد.

الدراسات السابقة:

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر في معالجة الموضوع الصوفي عموما، وهي الكتب التي ألفها أساطين التصوف الإسلامي من سلفنا.

وفيما يخص الدراسات السابقة – في حدود اطلاعي – فإني لم أعثر على دراسة تشخص طبيعة الخطاب الصوفي في فرنسا عموما وتتعرض له بالتحليل والنقد، ما عدا بعض المقالات أو الندوات في الغرب وخاصة في فرنسا حول التصوف الفرانكفوني، وكذا بعض الحصص في القنوات والمواقع المتخصصة وغيرها..

ولعل أقرب دراسة عثرت عليها لها علاقة نسبيا بالموضوع هي دراسة الكاتبة الجزائرية آمنة بلعلى، بعنوان " تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة "، وهي رسالته للماجستير، وقد طبعت في كتاب، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى سنة 2010م.

لكن الملاحظ على دراستها الإيغال في استعمال المناهج الأدبية النقدية المعاصرة، وبذلك أصبح الخطاب الصوفي أشبه ما يكون بالنص الأدبي الصرف، فكانت دراستها – على جديتها – خالية من التحليل الروحي الذي ينبغي أن يصاحب ممارس مهمة تحليل الخطاب الصوفي..

كما تحصلت على ثلاث رسائل ماجستير تناولت قضايا التصوف عموما وهي:

الرسالة الأولى كانت بعنوان: " حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي " من إعداد الطالبة صباح بعارسية، وإشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، بقسم التاريخ بجامعة الجزائر، تخصص: ماجستير التاريخ الحديث، وقد نوقشت سنة: 2006/2005، لكنها لم تقدم لي شيئا ذا بال عدا نقل بعض المعلومات التي اكتفيت بالعودة إليها مباشرة في مظانها الأصلية.

أما الرسالة الثانية فهي بعنوان: " الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين، دراسة موضوعاتية فنية " من إعداد الطالب: أحمد عبيدلي، وإشراف الدكتور: محمد الأخضر الزاوي، بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الحاج لخضر بباتنة، وقد نوقشت سنة: 2005/2004، وقد أفدت منها في مناهج التعامل مع الشعر الصوفي، الذي عرف به التصوف المغاربي عموما.

والرسالة الثالثة بعنوان: " التصوف الإسلامي في قراءة محمد عابد الجابري، دراسة نقدية "، من إعداد الطالب: عصام بوشربة، وإشراف الأستاذ الدكتور: عبد الوهاب فرحات، بقسم العقيدة ومقارنة الأديان بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وقد نوقشت سنة: 2013/ 2014، وقد استفدت من هذه الرسالة كثيرا وذلك أنها تناولت التصوف لدى أحد المفكرين في الفترة المعاصرة، وهنا تلتقي هذه الرسالة ببحثي فكانت إفادتي منها خصوصا في الفصل الأول، أما فيما يلي من فصول فلم أجد ما يمكنني أن أستفيد منه.

الصعوبات المعترضة:

إذا كان من صعوبات تكون سببا في إعاقتنا على إنجاز هذا البحث في أتم صورة فستكون انعدام الدراسات المتخصصة السابقة في الموضوع أساسا.

وتكمن الصعوبة أيضا في محاولة الجمع بين المناهج في هذه الدراسة.

بالإضافة إلى الدقة في التحليل التي يتطلبها البحث، وهو أمر يحتاج إلى حضور ذهن وجدية في البحث.

المنهج المتبع:

إن طبيعة دراستنا هذه تحتاج إلى نوع من المزاوجة بين المناهج التي عادة ما تعتمد في الدراسات الصوفية، وذلك نظرا لخصوصية الخطاب الصوفي وسنحاول خلال إنجازنا لهذا البحث أن نعتمد على:

- المنهج التحليلي النقدي وهو المنهج الأساسي في البحث.

- ونستعمل المنهج الوصفي أحيانا.

- كما استعملت المنهج التاريخي ايضا.

كما أننا عمدنا إلى تجاوز الوعي الاختزالي الإقصائي، إلى وعي مركب جامع.

خطة البحث:

لأجل معالجة الإشكالية المطروحة صغت بحثي هذا انطلاقا من خطة مكونة من أربعة فصول، مرسومة كالآتي:

أما الفصل الأول فقد كان بعنوان: " مفهوم التصوف الإسلامي وأصالته "، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث وناقشت في الأول: تعريف التصوف، وفي الثاني: التجربة الصوفية وأطوارها في الإسلام، أما الثالث: فقد خصصته لأصالة التصوف في التراث الإسلامي، ثم ختمت الفصل بخلاصة عامة.

وقسمت الفصل الثاني الذي عنونته بـ: " التصوف الإسلامي في فرنسا " إلى مبحثين، فتعرضت في المبحث الأول: حقيقة الوجود الإسلامي في فرنسا، وقد جاء المبحث الثاني بعنوان: التصوف رافد من روافد الإسلام في فرنسا، وختمت الفصل بخلاصة عامة.

وأما الفصل الثالث فقد خصصته "للطريقة الشيخية الشاذلية"، فتناولت في المبحث الأول: بيئة نشوء الطريق، وفي المبحث الثاني الطريقة الشيخية وبدايات التأسيس، وجعلت ختام الفصل خلاصة عامة.

وقد كان الفصل الرابع والأخير بعنوان: " الطريقة الشيخية بفرنسا الخطاب والامتداد "، وجاء المبحث الأول حول الطريقة الشيخية الشاذلية بفرنسا، وتعرض المبحث الثاني لخطاب الطريقة الشيخية وامتداداته، وكانت بعد المبحثين خلاصة عامة ملخصة للفصل.

وذيلت البحث بخاتمة جمعت فيها ما أمكنني التوصل إليه من نتائج. وفيها تلخيص لأهم ما ورد في البحث من مباحث، وفيها حاولت تقديم الإجابة عن الأسئلة التي طُرحت في الإشكالية إجابات مباشرة. وقد ختمت بالآفاق الممكنة في هذا الموضوع، كجانب عملي يبتغي التطبيق.

ثم أضفت جانب الفهارس: فجعلت فهرسا للآيات القرآنية، وفهرسا للأحاديث النبوية، وفهرسا للأعلام، وفهرسا للمصادر والمراجع، وفهرسا للموضوعات.

التهميش والتوثيق العلمي:

والتزاما بما يمليه العمل العلمي، فقد كانت طريقة تهميشي في هذا البحث بكتابة اسم المؤلف بالكامل، وعنوان المرجع، وكل المعلومات المتعلقة به، عند ذكره لأول مرة، وعند إعادته في نفس الصفحة أعبر عنه " بالمرجع نفسه "، مع كتابة الصفحة، وعند إعادة ذكره مرة أخرى، أكتفي بذكر اسم المؤلف مع عنوان كتابه، أو أذكر " مرجع سابق "، مع الجزء والصفحة، وإذا كان المصدر أو المرجع دون طبعة، أو دون دار نشر، فإنني أرمز لذلك بـ: " د، ط "، كما أذكر سنة الطبع إن وجدت، وإن لم توجد أرمز لها بـ: " د، ت "، وقد قمت بعزو الآيات إلى سورها، وذكر رقم الآية من السورة في الهامش، كما قمت بتخريج الأحاديث النبوية الواردة في الهامش أيضا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

مفهوم التصوف الإسلامي وأصالته

المبحث الأول: تعريف التصوف

المبحث الثاني: التجربة الصوفية وأطوارها في الإسلام

المبحث الثالث: أصالة التصوف في التراث الإسلامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: تعريف التصوف

لا نعد مبالغين إذا ما قلنا إنه ليس هناك علم من العلوم في ساحة العلوم المنسوبة للإسلام كثر حوله الجدل والأخذ والرد في كل مباحثه دون استثناء كما وقع ذلك مع علم التصوف الإسلامي، فجلي للباحث ما فيه من تضارب الأقوال والآراء ابتداء من صناعة حد له وانتهاء إلى أصالته والاقتباس.

وقد أخذ الجدل حول أصل كلمة " **تصوف** " واشتقاقاتها حيزا مهما في جانب البحث الصوفي، بالإضافة إلى الاختلافات الكثيرة حول التعريفات الاصطلاحية للتصوف كما تناثرت في كتب الدارسين من مفكري الإسلام في القديم والحديث مع ما أضافه المستشرقون للبحث الصوفي من جدل واستفهامات جديرة بالبحث دون أن ننسى الباحثين من المنكرين لهذا العلم وأصالته من خلال منطلقاتهم في صناعة الحدود.

المطلب الأول: أصل كلمة (تصوف) (mysticisme)

تثبت الأبحاث المعاصرة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية أن أهمية كل دراسة إنما تكون برصانة النقاط التي تتعرض للحدود الأساسية فيها، لذلك ومن هذا المنطلق فإننا سنتناول في هذا المطلب تعريف كلمة " تصوف " بالعودة إلى أصلها، وتكمن أهمية المصطلح في أنها تعتبر المادة الأولى التي يدور حولها هذا العلم، ومهما يكن فإن مناحي التعريف والوسائل المتدخلة في صناعة الحد تؤثر تأثيرا بليغا في توجيه الدراسة، وفي هذا المطلب سأتطرق إلى أصل الكلمة " تصوف " في اللسانين العربي والأجنبي، فأجعل الفرع الأول لأصل كلمة " تصوف " في اللغة العربية، والفرع الثاني لأصل الكلمة في اللغة الأجنبية.

الفرع الأول: أصل كلمة (تصوف) في اللغة العربية

من غير الممكن الحسم النهائي في أصل كلمة " **صوفي** " في اللسان العربي بل من المستحيل ذلك، ولعل اللغة العربية على خلاف اللغات الأخرى نجدها أكثر صعوبة في سبيل التقصي لاستجلاء معاني كلمة ما إلا أن أهم ما تتميز به لغة الضاد عن سواها من اللغات وضوح قواعد الاشتقاق فيها، ومن خلال هذه العملية فإن (كلمة " **صوفي** " العربية مشتقة بحسب الاشتقاق المتعارف عليه عموما من الصوف ويريد هذا الاشتقاق الذي لا يزال يؤخذ به أن يلمح إلى إعادة الصوفيين في لبس الخرق الصوفية البيضاء وتميزهم بها، فاستعمالها إذن قديم، وهي لا تحتوي من اشتقاقها أي معنى خاص بالعقيدة التي تميز الصوفية عن بقية الفرق في الإسلام.. وهي تعني الاشتغال بالصوفية وتستعمل للكلام

عن الصوفية وحدها)1.

وفي سياق بناء التعريف على أساس الاشتقاق يقول ابن خلدون (إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه كما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف)2.

ويذهب بعض المتخصصين في الدراسات الصوفية إلى أن (التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من " صوف " للدلالة على لبس الصوف، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفيا)3.

وهذا الرأي يجعل القائلين به متحمسين إلى حد قولهم: (ينبغي رفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون في أصل الكلمة، كقولهم إن الصوفية نسبة إلى " أهل الصفة " وهم فرق من النساك كانوا يجلسون فوق دكة المسجد بالمدينة لعهد النبي، أو أنهم من الصف الأول من صفوف المسلمين في الصلاة، أو من " بني الصوفانة "، أو إلى " صوفة القفا " وهي الشعرات النابتة عليه، أو أن اللفظ مشتق من " صوفي " مطاوع صافي والأصل صفا، وقد يستعمل هذا اللفظ المطاوع منذ القرن الثامن الميلادي للتورية مع كلمة صوفي بمعنى المتنسك لابس الصوف)4.

إلا أننا نجد الكثير من المتقدمين ممن تناولوا علم التصوف يجمعون الكثير مما قيل في أصل كلمة التصوف، وفي ذلك يقول بشر بن الحارث[5]: (الصوفي من صفا قلبه لله، وقال بعضهم الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته، وقال قوم إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه، وقال قوم إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،

1 هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط 2، 1998، ص 282.

2 ابن خلدون، المقدمة، طبعة الدار التونسية، 1984، ص 584.

3 لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، التصوف، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت لبنان، ط1. 1984. ص 26/25.

4 المرجع نفسه.

5 بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر، المعروف بالحافي، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجرة، ولد سنة ١٧٩هـ في بغداد وعاش فيها، توفي في بغداد يوم 10 محرم سنة 227 هـ، الذهبي محمد بن أحمد، يسر أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، د ط، 2001، ج 10، ص 469.

وقال قوم إنما سموا صوفية للبسهم الصوف)1.

ويذهب **أبو القاسم بن هوازن القشيري** (ت 465هـ. 1072م) بالقول (إن هذه التسمية قد غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس واشتقاق) لكن القشيري يقرر أن هذه التسمية إنما هي من باب اللقب اختصت به هذه الفئة دون غيرها (والأظهر أنه كاللقب.. ولهذا يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف)2.

ولم يتوقف القشيري عند قوله بأن أصل الكلمة كاللقب، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث انبرى إلى توهين الأقوال المخالفة، فمن قال إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي (يلاحظ أن أهل الصفة هم جماعة من الزهاد والفقراء الغرباء من المهاجرين وكانوا فيما يقرب سبعين شخصا، ولأنه لم يكن لهم مسكن أو مال أو ولد فقد سكنوا في صفة المسجد النبوي) كما يستمر القشيري في توهين باقي الآراء فيرد على من يعتبرون أصل التصوف مشتقا من الصفاء ومن الصف فيقول: (ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف)، ويخلص صاحب الرسالة القشيرية إلى (أن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق)3.

ومن الكتاب الغربيين من يرى أن الكثير من الكتاب العرب وقعوا في الخطأ في بعض ما ذهبوا إليه من أصل كلمة " تصوف " وها هو **أوليري** يقول: (إن الكتاب العرب ينظرون في إلى هذه الكلمة نظرة تتسم بالخطأ الشائع فيعتبرونها مشتقة من الصفاء، وبهذا يجعلون معناها قريبا إلى معنى كلمة " Puritan " ومما هو أوغل من ذلك في الخطأ أن بعض الكتاب الغربيين افترضوا أن هذه التسمية ترجمة للكلمة الإغريقية " Sophos "4.

---

1 أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1969، ص 29/28.

2 أبو القاسم عبد الكريم هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمد بن شريف، دار المعارف، دط، دت، ج2، ص 440.

3 المرجع نفسه، ج2، ص 440.

4 أوليري ديلاسي، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، تر: تمام حسان، عالم الكتب، دط، دت، ص 190.

ولم يكتف أوليري برد الآراء القائلة بالصفاء وغيره بل راح يقرر مذهبه في القول بأن أصل الكلمة إنما هو الاشتقاق من الصوف فنحن إذا (نشتق كلمة الصوفي من الصوف، ولهذا يقصد بها لابس الصوف، فتدل على شخص اختار أن يلبس أبسط أنواع الثياب ويتجنب كل نوع من الرفاهية أو العناية بالمظهر، والدليل على أن هذا هو المعنى الصحيح أن الفرس يستعملون في مقابل هذه الكلمة لفظ " باشمينابوس Pashminapush " ومعناها لابس الصوف)1.

ومن الأقوال أيضا ما يؤكد أن (هناك من ذهب إلى أصل الكلمة ونسبها إلى رجل زاهد متعبد في الجاهلية كاب يلقب بـ: " صوفة " واسمه هو الغوث بن بركان وفي رواية الغوث بن مر، كما أشار الزمخشري في أساس البلاغة والفيروزآبادي في قاموسه المحيط إلى أن قوما في الجاهلية سموا بهذا الاسم وكانوا يعبدون الله في الكعبة ومن تشبه بهم سمي صوفيا)2.

ويعطي المتصوف الفرنسي **عبد الواحد يحي** " روني غينو René Guénon "[3] للكلمة بعدا آخر فيذهب إلى أن (أصل كلمة " صوفي " فقد تعددت المزاعم حولها تعددا كبيرا، لكن في وجهة النظر التي يتم الوقوف عندها عادة، ليس لهذه المسألة حل بلا شك) كما يجتهد في تشكيل معنى عميقا لكلمة " صوفي " معتمدا على حساب الجمل الذي كان معروفا منذ القديم فيقول: (ونقول مطمئنين أن لهذه الكلمة الكثير من الاشتقاقات المفترضة وليس بعضها أولى ببعض حتى نطمئن إلى إحداها حقيقة، وفي الحقيقة هي بالأحرى تسمية رمزية خالصة، أي نمط من " الشفرة " إذا شئنا، وبالتالي فهي ليست في حاجة لاشتقاق لغوي كما هو مألوف، وليست هذه الحالة فريدة من نوعها، ويمكن العثور على أمثالها في تراثيات أخرى) ثم لا يرتضي جميع الأقوال والآراء في أصل الكلمة معتمدا في ذلك على قواعد النمط الرمزية.. هذه القواعد التي يؤسس عليها غينو تتناسب مع علاقات بين معاني متعددة كما يقول: (وأما الأصول المزعومة المشتقة منها فما هي في الصميم سوى تشابهات صوتية، وهي فوق ذلك تبعا لقواعد نمط من الرمزية تتناسب فعلا مع علاقات بين معاني متعددة تتجمع هكذا بكيفية ثانوية تزيد أو تنقص حول الكلمة المقصودة، لكنها نظرا لطابع اللغة العربية، وهو طابع تشترك فيه مع اللغة العبرية فإن الدلالة الأولى والأساسية ينبغي أن تعطي للأعداد، وبالفعل فاللافت للنظر بالخصوص وهو أنه يجمع القيم العددية للحروف المؤلفة لها، يكون عدد كلمة " صوفي " أي عددها بحساب الجمل: " 90+6+80+10= 186 " هو نفسه عدد كلمة " الحكمة الإلهية " أي: "

1 المرجع السابق، ص 190.

2 زكي مبارك، التصوف الإسلامي، مطبعة الرسالة، القاهرة 1938، ص 67.

3 سيرد تعريفه لاحقا.

1+30+8+20+40+5 " + " 1+30+1+30+5+10+5 " = 186، وكذلك " الحكيم الإلهي " أي: " 30+8+20+10+40+1+30+1+30+5+10 = 186، وباعتبار تاء الوصل والألف بين اللام والهاء في كلمة " الحكمة الإلهية " فإن عددها هو 582 وهو عدد كلمة " تصوف " باعتبار تضعيف الواو، وبالتالي فالصوفي الحقيقي هو الحائز على هذه الحكمة، أو بعبارة أخرى هو " العارف بالله "، لأنه تعالى لا يعلمه إلا هو وهذه هي بالذات الدرجة العظمى " الجامعة " في معرفة الحقيقة)1.

إلا أننا ومن خلال الاطلاع نجد جل الباحثين يوردون اشتقاق التسمية من الصوف، أي من اللباس (وإذا كانت التسمية الكلمة إلى الملبس وهو مظهر وشكل، فليس معنى ذلك أن التصوف مظاهر وأشكال،.. ومن أجل ذلك فإنه لا مجال لتصوف هؤلاء، والذين لا يريدون أن ينسبوا التصوف إلى الصوف بحجة أن انتسابه إلى الظاهر يحط من شأنه)2.

ومن خلال كل ما تقدم من أقوال في أصل كلمة " صوفي " في اللغة العربية فإننا نحكم بأن الأغلبية من الدارسين للتصوف من العرب ومن الغربيين المهتمين والمتخصصين في دراسة التصوف يجمعون على أن الأصل في الكلمة إنما هو الاشتقاق اللغوي من الصوف، وهو الأصح من بين الأقوال وإن لم يسعف القياس اللغوي فإن حال أصحاب التصوف وسلوكهم مسعف لهذا القول فالزهاد عمدوا إلى تجنب زخرف الدنيا بكل مظاهره انطلاقا من العدول عن لين اللباس والثياب.

الفرع الثاني: أصل كلمة (mysticisme) في اللغة الأجنبية

يوجد كثير من الباحثين في التصوف ذهبوا إلى أن أصل التسمية ومصدرها إنما هو متأثر بألفاظ أجنبية من خلال العلاقة الوطيدة بين التصوف والفلسفة، (على أن هناك من علل اللفظ بأن ربطه بالفلسفة أن التسمية ترجع إلى الأصل اليوناني للكلمة " سوفيا " التي هي " الحكمة " ونحن نعلم أن كلمة فلسفة تنقسم إلى " Philo " أي محبة، و" Sophia " أي الحكمة... فلقد انفرد البيروني، من بين الكتاب العرب بقوله: (إن هناك صلة بين اسم الصوفي والكلمة اليونانية سوفيا)، وأخذ بهذا الرأي الأستاذ جوزيف فون هامر الذي يقول: (إن كلمة صوفي مأخوذة من كلمة " Gymno Sophist " ومعناها الحكيم العاري، وهو لفظ يوناني أطلقه بعض حكماء الهنود القدماء الذين اشتهروا بحياة

1 عبد الواحد يحي" روني غينو "، التصوف الإسلامي المقارن وتأثير الحضارة الإسلامية في الغرب، ترجمة: عبد الباقي مفتاح، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط1/ 2013، ص 21/20.

2 عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، ط5، دار المعارف، القاهرة مصر، دت، ص 34.

التأمل والعبادة)1

وهذا القول يرده الدكتور زكي مبارك ولا يعتبره إلا (ضربا من ضروب الإغراب، وحتى وإن قال به **أبو الريحان البيروني** وقال به فون هامر من المستشرقين وتعصب له الأديب عبد العزيز الإسلامبولي والأستاذ محمد لطفي جمعة)2.

وفي سياق الحديث عن أصل المصطلح في اللغة الأجنبية يورد عرفان عبد الحميد (جذر المصطلح في اللغة الأوروبية " Mysticism " إلى أنه مشتق من الكلمة اليونانية " Muein " التي تفيد الصمت وكم الأفواه، والكلمة في أصلها اليوناني كانت وصفا للمراسيم السرية الخاصة والانخراط في صفوف الأديان الظلامية السرية والتي كانت تفرض على المنضم إليها الالتزام بالسرية التامة والامتناع عن إفشاء أسرار الجماعة ضنا بها على الأغيار، ومخافة من عداوة خصومهم لهم)3.

وهذا السلوك قامت بتلفيقه بعض الفرق الدينية ذات النزعات الباطنية في كل الديانات السماوية من يهودية ومسيحية وإسلام، وفي معرض الحديث عن سريان هذه النزعة في المعتقدات عموما يقول: (هكذا كان الأمر أيضا في البوذية والهندوسية إذ دل المصطلح على الصمت المطلق في البوذية وفي الهندوسية وفي التاوية الصينية، حتى ذهب " وولتر رالف أنجي Walter Ralf Ange " المؤرخ المتخصص في الآداب الصوفية إلى أن الصمت علامة مشتركة وعامة للتجربة الصوفية وذلك في كتابه عن التصوف المسيحي "**Mysticism Christian** " الذي يعد مرجعا موثوقا في دراسة التصوف المقارن)4.

وهناك أقوال أخرى ترجع الأصل إلى منهج يعتمد تجاوز المدلولات الظاهرة إلى أخرى مستترة، وهذا المنهج يرتبط تاريخيا باسم " **Philo فايلو الإسكندراني** "؛ الفيلسوف اليهودي المعاصر للمسيح، وعنه أخذ أكابر آباء الكنيسة أمثال كليمنت الإسكندراني (ت 215م) وتلميذه من بعده القديس أريجون (ت 251م) الذي يعد المحقق والمبدع الأول في المسيحية للتفسيرات الإشارية5.

---

1 أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، مصر، 1961، ص 34.

2 زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج1، دار الجيل، بيروت لبنان، ص 51.

3 عرفان عبد الحميد، في التصوف المقارن ملاحظات منهجية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ربيع 2004، العدد 36، ص 22/21.

4 المرجع نفسه، ص 22.

5 المرجع نفسه، ص 23.

المطلب الثاني: التصوف في التعريف الاصطلاحي

في هذا المطلب سنعرض تعريفَ التصوف في الاصطلاح وبما أننا نعلم أن عدد التعاريف التي اختصت بهذا الفن لا تحصى، إذ لا يكاد يتوقف البحث في هذا الفن من قبل الدارسين في شتى المعاهد والمراكز البحثية المتخصصة والمهتمة في العالم الإسلامي وكذا في شعب الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية.

وما يزيد من غزارة التعريفات ما يذهب إليه صاحب الرسالة القشيرية من (أن العلماء يستخدمون في الفروع المختلفة للعلم تغييرات أو اصطلاحات أو ألفاظ يستخدمونها فيما بينهم، كما نجد ذلك في الكيمياء والرياضيات والجبر والاقتصاد، وتنفرد كل طائفة متخصصة بها عمن سواها، ويقصدون بهذه الألفاظ تقريب الفهم على المخاطبين بها وتسهيله على أهل الصنعة)1.

الفرع الأول: التصوف السني " الزهد والأخلاق ".

كل التعريفات التي تناولت التصوف في القديم ومنذ بداياته الأولى تركز على الأخلاق والزهد والتجرد، بل وتذهب إلى التأسيس لهذا العلم على أساس الأخلاق التي هي مدار التصوف عند أوائل القوم من العارفين والسالكين طريق الله ونهج رسوله صلى الله عليه وسلم.

يذهب الدكتور الجليند إلى أن (الزهد المحمود شرعا ألا يشغل المرء نفسه بما ضرره أكثر من نفعه، أو بما يفوت على صاحبه نفعا أكبر منه، وهذه كلما معلومة من جهة الشرع نصا لا تأويلا وليس من الضروري أن يكون الزاهد فقيرا أو مسكينا، بل قد يكون غنيا وصاحب جاه، لأنه لا منافاة بين وجود الشيء في يد صاحبه وزهد صاحبه فيه، كما يكون الزهد عن عدم فإنه أيضا يكون عن وجود ومن هنا كان خطاب الله للمؤمنين ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [2] وقال محذرا من الانشغال بالشيء واللهو به ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾ [3] ﴿ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾ [4] ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا

---

1 القشيري، مرجع سابق، ج1، ص 56.

2 سورة القصص، الآية: 77.

3 سورة التكاثر، الآية: 1-2.

4 سورة الفجر، الآية: 19-20.

مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[1] والخيط رفيع جدا بين امتلاك الشيء والزهد فيه، وعدم الانشغال عما يحب الله ورسوله فكثير من الصحابة كانوا على قدر كبير من الثراء ولكن أموالهم كلها كانت قربى إلى الله لا سببا في معصيته والخروج عن منهجه)2.

ومن هذا فإن البدايات الأولى للتصوف إنما كانت على شاكلة الزهد الذي شاع في أوساط الصحابة بعد انفتاح الدنيا عليهم وتنافس بعضهم عليها فتوجه بعض كبار الصحابة للزهد والبعد عن الدنيا وزخرفها قدر الإمكان بل وذهب البعض إلى العزلة بنفسه عن الفتن التي راجت حينذاك، وفيما بعد ذلك الجيل (يلاحظ الدارس لحركة الزهد في القرن الثاني للهجرة بعض المظاهر الجديدة في الزهد التي لم تكن موجودة في عصر الصحابة والتابعين فنقرأ عن جماعة من المسلمين – وخاصة من الكوفة والبصرة – لهم نمط معين من الحياة اليومية، يتميزون بها عن عامة المسلمين وربما بدأت هذه الظاهرة في أواخر القرن الأول الهجري، مقرونة بجماعة التوابين.. فنجد في الكوفة إبراهيم بن أدهم الذي كان سليل الملوك يترك بلده ومقامه، ويقيم في غار بنيسابور تسع سنوات كاملة من عمره بعيدا عن الناس، وساح في الصحراء أربعة عشر عاما، كما يقول عنه فريد الدين العطار(، ونجد بشر الحافي الذي لقب بذلك لأنه ذهب يوما إلى الإسكاف ليصلح حذاءه فأغلظ الإسكاف القول له فقذف بشر بنعليه وأقسم ألا ينتعل طوال حياته، كي لا يحتاج إلى مخلوق ويوصي **معروف الكرخي**(200هـ)، عند مرضه أن يعطوا ثوبه الذي لا يملك غيره إلى فقير حتى يخرج من الدنيا كما جاء إليها)3.

وبداية من هذه الطبقة من الزهاد اكتمل التزهد ليصير علما قائما بذاته وهو علم الأخلاق أو التصوف الذي ملأ الآفاق شهرة بفضل توسع مباحثه وتعريفاته خصوصا ما ركز منها على جانب العمل والأخلاق وفي هذا الإطار سنورد أهم التعريفات التي ركزت على هذا المنحى وقد ذكرها الدكتور " فيصل بدير عون في كتابه التصوف الإسلامي الطريق والرجال " آخذا بعين الاعتبار الترتيب الزمني نوردها كالآتي4:

---

1 سورة الحديد، الآية: 20.

2 محمد السيد الجليند، من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، ط4، 2001، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص22.

3 المرجع نفسه، ص 26/25.

4 فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، د ط، 1983، ص21/20/19/18.

ذهب **معروف الكرخي** (**200هـ**) إلى أن التصوف (التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق)

أما **أبو سليمان الداراني** (**215هـ**) فقد قال (أن تجري على الصوفي أعمال لا يعلمها إلا الحق وأن يكون دائما مع الحق على حال لا يعلمها إلا هو)

وذهب **بشر الحافي** (**227 هـ**) إلى القول (التصوفي من صفا فلبه لله)

وقال **ذو النون المصري** (245هـ) (الصوفية قوم آثروا الله عز وجل على كل شيء فآثرهم الله عز وجل على كل شيء) وفي موضع آخر قال (الصوفي هو من إذا نطق كان كلامه عين حاله فهو لا ينطق بشيء إذا كان هو ذلك الشيء، وإذا أمسك عن الكلام غبرت معاملته عن حاله، وكانت ناطقة بقطع العلائق " الدنيوية " عن حاله)

أما **أبو تراب النخشبي** (245هـ) فيقول (الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء)1.

وذهب **السري السقطي** (257 هـ) إلى أن التصوف اسم لثلاثة معاني (وهو الذي لا تطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بباطن في علم ينقض عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله)

وذهب سهل بن عبد الله التستري (283هـ) إلى أن التصوف من يرى دمه هدرا وملكه مباحا) وقال أيضا (الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر) وقال أيضا (التصوف قلة الطعام والسكون إلى الله والفرار من الناس)2.

أما **أبو سعيد الخراز** (268 هـ) فقال (الصوفي من صفى ربه قلبه فامتلأ قلبه نورا ومن حل في غير اللذة بذكره الله)

وقال سمنون المحب (أن تكون متصوفا معناه ألا تملك شيئا ولا يملكك شيء)

وقال عمرو بن عثمان المكي (291هـ) (الصوفي معناه أن يكون العبد في كل وقت مشغولا بما هو أولى به في الوقت)

وذهب أبو الحسن النوري (295هـ) إلى أن أخص خصائص الصوفي (السكون عند العدم

1 القشيري، مصدر سابق، ص127.

2 أبو العلا عفيفي، مرجع سابق، ص 42.

والإيثار عند الوجود) وقال (الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية وآفات النفوس وتحرروا من شهواتهم حتى صاروا في الصف الأول والدرجة العليا مع الحق، فلما تركوا كل ما سوى الحق صاروا لا مالكين ولا مملوكين)، وقال أيضا (الصوفي من لا يتعلق به شيء ولا يتعلق بشيء) وذكر كذلك (التصوف ترك نصيب النفس جملة ليكون الحق نصيبها)1.

أما الجنيد البغدادي (297هـ) فقال (التصوف هو أن يغنيك الحق عنك ويحييك به، وقال (التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة) وقال (الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح) وقال أيضا (الصوفية قائمون بالله لا يعلمهم إلا هو) وقال (التصوف تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتي ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية ومجانبة نزوات النفس ومنازلة الصفات الروحية والتعلق بعلوم الحقيقة وعمل ما هو خير إلى الأبد والنصح الخالص لجميع الأمة والإخلاص في مراعاة الحقيقة واتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الشريعة)2.

وذهب **أبو محمد رويم** (**303هـ**) إلى أن التصوف (استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد) وقال (التصوف التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالذل والإيثار وترك التعرض والاختيار)

أما عن **سهل الأصفهاني** فقال (التصوف التبري عمن دونه والتخلي عمن سواه)

أما **الحسين بن منصور الحلاج** (**309هـ**) فقال (الصوفي وحداني الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحدا)

أما أبو عمر الدمشقي فقال (التصوف رؤية الكون بعين النقص بل غض الطرف عن كل ناقص بمشاهدة من هو منزه عن كل نقص)

وقال **أبو بكر الشبلي** (334هـ) (التصوف الجلوس مع الله بلا هم) وقال أيضا (الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق كقوله تعالى (واصطنعتك لنفسي) قطعه عن كل غير ثم قال لن ترن) وقال (التصوف أن يكون الصوفي كما كان قبل أن يكون)

أما **جعفر الخلدي** (**348هـ**) فقال (التصوف طرح الناس في العبودية والخروج من البشرية والنظر إلى الحق بالكلية)3.

---

1 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تقديم: محمد صدقي جميل العطار، دط، دار الفكر بيروت، 2003، ج5، ص 61.

2 الكلاباذي، مصدر سابق، ص 20/19.

3 وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، دط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ج1، ص 95.

أما **أبو عثمان المغربي** فقال (التصوف قطع العلائق ورفض الخلائق واتصال الحقائق)

وقال **أبو سعيد بن أبي الخير** (التصوف أن تتخلى عن كل ما في دماغك وتجود بكل ما في يديك ولا تجزع من شيء أصابك)

أما كلمة " الصوفية " بمعناها الاصطلاحي فقد ظهرت للمرة الأولى سنة 199هـ إذ أطلقت على مدرسة تنسكية نشأت بالكوفة، وكان آخر زعمائها " عابدك " **النباتي** " توفي ببغداد سنة 210هـ/ 825م " ثم أطلق هذا اللفظ على جماعة متنسكة العراق ليميزها عن جماعة متنسكة خراسان " الملامتية " وبعد قرنين من هذا الزمن أصبحت كلمة الصوفية تطلق على جميع النساك المسلمين دون استثناء1.

وفي سياق إيرادنا لهذه التعاريف السالفة – وهي من أهم الحدود التي صيغت لفن التصوف في بدايات تشكل هذا العلم – فإننا نلحظ أن خصوصية الزهد والأخلاق تبقى من سمات التصوف، لكن يحصل التغير في التعريف من متصوف لآخر، وبالتالي فإن ما بين الزهد والفقر والأخلاق عموم وخصوص، يقول **أبو حامد الغزالي** (505هـ) (التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر، والتصوف غير الزهد، فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد أوصاف، وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وإن كان زاهدا وفقيرا)2، والغزالي هنا يفرق بين الفقر المادي والفقر لله.

ومن خلال ما تقدم من التعاريف المتباينة لفظيا للتصوف، نلحظ أن مناهج الأخلاق عند الصوفية قد تنوعت وتعددت (كما تعددت طرق الفقهاء في البحث والاستنباط، وأنواع الأدلة وفنون القياس، وتعددت مناهج التصوف في السلوك والمعرفة والأخلاق والآداب والأذكار والأوراد والفتح والكشف وأسرار النفس) نجد:

المدرسة الأولى:

هي (مدرسة شقت طريقها إلى الله على جناح من الخوف والرهبة وسلكت سبلها في الحياة تمزج التربية والتصفية بالفقه والتوحيد وتجعل مكارم الأخلاق الأساس والجوهر لكل عبادة وطاعة، ومدرسة قامت على المحبة الإلهية ثم ابتدعت في سلوكها إلى الله المقامات والأحوال وما يترقرق بينهما من معرفة وأنوار، ومواجيد وألحان، ودعت الناس إلى المحبة والتعاطف والتراحم، وأحالت الكون كله إلى أنشودة من الصفاء والإخاء والبر الشامل لكل ذي كبد رطبة)

1 محمد ياسر شرف، فلسفة التصوف السبعيني، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط1، 1990، ص 105/104.
2 أبو حامد الغزالي، مصدر سابق، ج5، ص 61.

المدرسة الثانية:

وهي (مدرسة قامت على محاسبة النفس وتزكيتها وعصمة الجوارح وتطهيرها، ثم مشت إلى الدقائق والرقائق، فأبدعت أعظم ما عرفت الدنيا من أسرار النفس، وآداب الحس، وملهمات الوجدان والشعور وأصبح لكل مدرسة أتباعها وأحبابها وروادها)1.

الفرع الثاني: التصوف الفلسفي " الوجد والرمز "

اصطلح الدارسون للتصوف على تقسيمه في الغالب إلى قسمين رئيسيين القسم الأول وهو المتمثل في التصوف السني والقسم الثاني هو التصوف الفلسفي، وكلاهما يشترك مع الآخر في كونه يخدم التصوف الإسلامي، إلا الاختلاف حاصل في مصادر كل نوع من التصوفين، فالتصوف (باعتباره شاهدا للدين الصوفي في الإسلام، هو ظاهرة روحية لا تقدر، فهو أولا وقبل كل شيء إثمار لرسالة النبي الروحانية وجهد مستمر لعيش أنماط الوحي القرآني عيشا شخصيا عن طريق الاستبطان، فالمعراج النبوي الذي تعرف به الرسول على الأسرار " الغيوب " الإلهية يظل النموذج الأول الذي حاول بلوغه جميع المتصوفين واحدا بعد الآخر، فالتصوف هو شهادة لا تنكر واعتراض ساطع من الإسلام الروحاني ضد كل نزعة حاولت حصر الإسلام بالشريعة وظاهر النص، ولقد توصل في تفاصيله إلى تنمية تقنية روحانية خلقت بتقدمها ودرجاتها وحاصلها ميتافيزيقيا كلمة عرفت باسم " العرفان " وإذن فإن ثنائية الشريعة والحقيقة هي أمر أساسي لحياة وعقيدة الصوفية، أو قل ليكون الكلام أدق وأتم تلك الثلاثية " بدلا من الثنائية " المكونة من الشريعة " النص الظاهر للوحي " والطريقة " السبيل الصوفي " والحقيقة " الحقيقة الروحية كإنجاز شخصي ")2، لكن هذا التقسيم وإن كان العمل قد جرى به عند الدارسين لهذا الفن إلا أن الملاحظ صعوبة وجود حدود بين معيارية بين التصوفين أي بين التصوف السني والتصوف الفلسفي.

وفي إطار الحديث عن حركة تشكل التصوف الإسلامي وبزوغ التصوف الفلسفي منه نجد الخلاف واقعا فيما بين الدارسين في أنماط البداية، (إن بداية دخول الأشكال المتعددة للتصوف وخصوصا ما وسم بأنه تصوف فلسفي إنما كان من منطلق تأثير الرهبنة المسيحية التي كانت منتشرة ببلاد الشام، وقد وقع الخلاف فيما بين الدارسين للتصوف في مسألة تأثر التصوف الإسلامي بالرهبنة المسيحية إذ ذهب لويس ماسينيون إلى أن نشأة التصوف كانت في أرض الإسلام دون تأثير العوامل

1 عز الدين ماضي أبو العزائم، إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج، دار الكتاب الصوفي، مصر، ط1، 1993، ص 14.

2 هنري كوربان، مرجع سابق، ص 283.

الخارجية والمسيحية على وجه الخصوص، لكن تور أندريه يذهب إلى عكس ما ذهب إليه ماسينيون حيث يقول (بإمكان المرء – كما يؤكد ماسينيون – أن يرجع حتى تلك الآراء التي تبتعد عن الإسلام بصورة جلية لا تقبل المناقشة، كما هو الحال بالنسبة لآراء الحلاج، إلى مصادر إسلامية خالصة رسخت جذورها في أرض الإسلام) ويذهب تور آندريه إلى أن ماسينيون ومن خلال ما قدمه لم يستطع أن يعطي جوابا شافيا عن العلاقات التي سادت بين التصوف الإسلامي والمسيحية، ذلك أن العلاقة المتبادلة بينهما كانت أكثر تعقيدا مما كان يعتقد، (إنني أرى بأن الدارسين كانوا على حق عندما اتفقوا على أن قواعد التعبد التقشفي ديانة الرهبان التي كانت سائدة في الكنائس السورية آنذاك إلى اللغة العربية وإلى عالم الفكر العربي، حقا توفر المؤمنون على قرآنهم ولم يكونوا بحاجة لكتب النصارى، إلا أن هذا لا يعني طبعا أن عرى الاحتكاك كانت قد انفصمت فالفتح1 العربي عامل السكان المسيحيين برفق كبير في البلدان المفتوحة ولم يكن هناك أي شيء يمكن أن يثير شكوى الكنائس المسيحية) ولا يتوقف المستشرق السويدي تور آندريه عند هذا الحد فحسب بل يورد لذلك دليلا إذ يرى أن هذا السلوك العربي من المسلمين الفاتحين (قد دفع هذا الأمر رئيس الكنيسة النسطورية إلى أن يكتب في عام 650م قائلا " إن هؤلاء العرب لا يحجمون عن محاربة المسيحية فحسب إنهم يكبرون ديننا ويثنون عليه ويحترمون قسسنا ورجالنا المقدسين ويقدمون الهدايا لأديرتنا وكنائسنا " وما من شك في أن هذه الشهادة غير المتوقعة التي تؤكد على معاملة الفاتحين للقسس والرهبان معاملة إيجابية متميزة لم تكن من محض الخيال وإنما هي حقيقة واقعة)2.

وكثير من الدارسين يوردون بعض الروافد التي أثرت في نشأة الفكر الصوفي في الإسلام، والتي (أخذت تتفاعل في المجتمع الإسلامي منذ العصر الأموي بعد اتساع حركة الفتح العربي).

الفرع الثالث: أهم الثقافات المؤثرة في التصوف الفلسفي الإسلامي

وهنا نورد أهم الثقافات التي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر في نشأة التصوف الفلسفي كما يوردها أحد الدارسين فيما يلي3:

1/ الثقافة المسيحية: التي حملها مسيحيو المشرق في الممالك الإسلامية وهم النساطرة " الكلدان " واليعاقبة " السريان " والموارفة، وجميعهم من العنصر الآرامي شادوا في الشام والعراق أديرة

1 والأدق أن نقول " التوسع الإسلامي " بدل الفتح.

2 تور آندريه، التصوف الإسلامي، تر: عدنان عباس علي، منشورات الجمل، ط1 كولونيا، ألمانيا، 2003، ص 23/22.

3 محمد ياسر شرف، فلسفة التصوف السبعيني، ص 102/101/100.

ومناسكا، وأنشأوا مدارس راقية تنشر الثقافة اليونانية باللغة السريانية منذ أواخر القرن الرابع الهجري، وقد ظهرت في هذه المدارس الفلسفة اليونانية ممتزجة بآراء مدرسة الإسكندرية، وآراء أرسطو المحرفة عمدا أو عجزا..

كما لعب مسيحيو بيزنطة الذين أموا بغداد دورا في ترك أثر من ثقافتهم اليونانية حيثما حلوا، وكذالك الغساسنة والمناذرة الذين كانوا هم العرب المسيحيين، بما لهم من عادات وتقاليد وأعراف دينية خاصة.

2/ الثقافة اليهودية: التي ظهر تأثيرها في كتب التفسير والقصص الدينية الإسلامية من خلال ما في " التوراة أو التلمود " من مواضع تفسيرية لبعض العقائد أو المواقف، وقد لعب يهود الإسكندرية في هذا الشأن دورا فلسفيا بارزا.

3/ الثقافة اليونانية: بعد أن طغت موجة العلوم اليونانية وافدة من الأديرة المسيحية في الشام، ومن مدرسة " جند يسابور " الفارسية في " خوزستان " ومن وثنيي حران " الصابئة " في الجزيرة عكف المسلمون على دراسة كتب لا حصر لها في الفلسفة والطب، وسائر العلوم اليونانية الأخرى واتخذوها أساسا قامت عليه اتجاهاتهم الجديدة في البحث.

وقد استمد العرب من فلسفة أرسطو الشيء الكثير، من خلال شراح الأفلاطونية الحديثة الذين غلب عليهم مذهب أفلوطين وفوريوس، مما ساعد على نشر آراء الأفلاطونية الحديثة واسعا، وخاصة في بلاد الشام ومصر اللتين كانتا مركزين هامين من مراكز التصوف.

4/ الثقافة الهندية: أدخل الهنود إلى الإسلام مذهب التناسخ فإلهياتهم ذات أثر باد في التصوف الإسلامي ووحدة الوجود، فهم يعتقدون أن العالم من أصل أزلي خالد يعود إليه بعد الفناء، هو "البرهمن" أما النفس فهي " النفس الكلية " تنتقل من جسم إلى آخر سعيا وراء المعرفة والكمال، وعلى المرء أن يكتفي بالتأمل الروحي وينقطع عن كل نشاط ويتم له الاتحاد " اليوغي " فيذوب في " وحدة الوجود " وقد عمدت " اليوغا والبوذية والتانترا " إلى تحقيق نوع من انتقال الطبيعة، وقصرت همها عليه محتقرة الواقع كل الاحتقار، كما احترمت القانون " دراما " احتراما عظيما1.

5/ الثقافة الصابئية: أما الذين دخلوا الإسلام من الصابئة – بغض النظر عن أصنافها – فقد حملوا معهم العقائد التي ترى أن للكواكب أرواحا وأن للعالم خالقا لا يدرك إلا بوساطة هذه الأرواح،

1 بول ماسون، أورسيل، الفلسفة في الشرق، ص 223، نقلا عن محمد ياسر شرف، فلسفة التصوف السبعيني.

يتصل بها الإنسان الطاهر المنتصر على شهواته، وهذه الأرواح تتجلى في السيارات السبع.

6/ الثقافة الفارسية: التي عملت على تعزيز البدع الدينية وإصباغ الصبغة الفارسية على تأويل الفقه والتفسير، وقد نشر الفرس الرأي والقياس، وأضعفوا التقليد ولا سيما بعد أن دخلوا في أحشاء الدين الجديد اعتبارات الاتجاهات " الزرادشتية، والمانوية، والمزدكية " التي كانت منتشرة في المجتمع الفارسي، وما تشتمل عليه من عبادة النار وبعض القوى المجردة وصراع الخير والشر وما دعت إليه من إحلال الطهارة الخلقية وتنقية النوايا محل الطقوس الخارجية والعبادة الشكلية1.

ولعل الجلي للدارس لهذه الأطياف الفكرية الروحية وعلاقتها بالتصوف الإسلامي ليجد وجه علاقة واضح، وإن كنا المؤرخين للتراث الصوفي في الفكر الإسلامي يحاولون الانتصار للرأي القائل بعدم تأثر التصوف بمثل هذه الروافد الروحية الانسانية اللمجاورة للحضارة الإسلامية، بل ويذهب البعض من الباحثين إلى جعل التصوف بكل أطيافه ومظاهره ظاهرة إسلامية بحتة، وهي فكرة خاطئة مبعثها الربط الخاطئ بين التأثير الخارجي وعدم الأصالة بخصوص هذا الفن، هذا الأخير يجسد قمة الاكتمال للروحانية الإنسانية تماما كما الإسلام قمة الاكتمال للرسالة الخالدة من الله إلى عبيده.

1 محمد ياسر شرف، مرجع سابق،ص 102.

المبحث الثاني: التجربة الصوفية وأطوارها في الإسلام

في هذا المبحث نتعرض بالبحث والدراسة لمراحل تطور التصوف وذلك بعد أن حددنا مفهوم التصوف وحدوده، ويمكن لدارس التصوف أن يميز عدة مراحل لتطور هذا العلم والمراحل التي مر بها، وقد قسمناها في دراستنا هذه إلى خمسة أطوار، وهي الأطوار التي نرى أنها كانت بمثابة محطات أساسية أسهمت في تشكل علم التصوف واكتماله.

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أننا في هذا المبحث لسنا بصدد الحديث عن أطوار التصوف كفكرة روحية منبعها فطرة الإنسان، لأن ذلك وجد مع وجود الإنسان على هذه الأرض بل إننا سنتناول بالدراسة والتقسيم التصوف الإسلامي من حيث مراحل تشكله وتطوره.

الطور الأول: العصر المبكر لنشأة التصوف القرنين الثاني والثالث والرابع (4/3/2) للهجرة

يجمع المتخصصون في علم التصوف والدراسات الإسلامية على أن (المرحلة الأولى في نشأة التصوف هي التي تسمى بمرحلة الزهد وهي واقعة في القرنين الأول والثاني الهجريين، فقد كان هناك أفراد من المسلمين أقبلوا على العبادة يأدعية وقربات، وكانت لهم طريقة زهدية في الحياة تتصل بالمأكل والملبس والمسكن، وقد أرادوا العمل من أجل الآخرة فآثروا لأنفسهم هذا النوع من الحياة والسلوك، ونضرب لأولئك مثلا: الحسن البصري ت 110هـ، ورابعة العدوية ت 185هـ، ومنذ القرن الثالث الهجري نجد الصوفية قد عنوا بالكلام في دقائق أحوال النفس والسلوك، وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وعملهم فصار التصوف على أيديهم علما للأخلاق الدينية، وكانت مباحثهم الأخلاقية تدفعهم إلى التعمق في دراسة النفس الإنسانية ودقائق أحوال سلوكها وكانت تقودهم أحيانا إلى الكلام في المعرفة الذوقية وآدائها ومنهجها، وإلى الكلام عن الذات الإلهية من حيث صلتها بالإنسان وصلة الإنسان بها، وظهر الكلام في الفناء الصوفي خصوصا على يد أبي اليزيد البسطامي، ونشأ من ذلك كله علم للصوفية يتميز عن علم الفقه من ناحية الموضوع والمنهج والغاية، له لغته الاصطلاحية الخاصة التي يشارك الصوفية فيها غيرهم، ويحتاج فهم مراميها إلى جهد غير قليل، وقد ظهر هذا العلم بعد ظهور التدوين كما يشير إليه ابن خلدون قائلا: " فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من هذه الطريقة " أي الصوفية " في طريقهم فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعل **القشيري** في الرسالة، والسهروردي البغدادي في كتاب عوارف المعارف، فصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة

عبادة فقط "1.

(ومن ناحية أخرى نجد بعض شيوخ التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين كالجنيد و**السري السقطي** والخراز وغيرهم، يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم فتكونت لأول مرة الطرق في الإسلام التي كانت آنذاك بمثابة المدارس التي يتلقي السالكون فيها آداب التصوف علما وعملا، وكان هنالك في القرن الثالث الهجري أيضا نوع من التصوف يمثله الحلاج الذي أعدم لمقالته في الحلول سنة 309هـ، ويبدو أنه كان متأثرا فيه بعناصر أجنبية عن الإسلام)2.

لا يفتأ الدارس للتصوف وتاريخ مراحله منذ بداياته الأولى يلحظ العديد من الملاحظات إذ (يلاحظ الدارس لحركة الزهد في القرن الثاني الهجري بعض المظاهر الجديدة في الزهد التي لم تكن موجودة في عصر الصحابة والتابعين، فنقرأ عن جماعة من المسلمين – خاصة في الكوفة والبصرة- لهم نمط معين من الحياة اليومية يتميزون بها عن عامة المسلمين، وربما بدأت هذه الظاهرة في أواخر القرن الأول الهجري مقرونة بجماعة التوابين، فنجد في الكوفة إبراهيم بن أدهم الذي كان سليل الملوك يترك بلده ومقامه ويقيم في غار بنيسابور تسع سنوات كاملة من عمره بعيدا عن الناس، وساح في الصحراء أربعة عشر عاما)3.

وتروي لنا كتب التاريخ والسير أن بشر الحافي الذي لقب بذلك لأنه ذهب يوما إلى الإسكاف ليصلح حذاءه فأغلط الإسكاف القول له فقذف بشر بنعليه وأقسم أن لا ينتعل طول حياته، كي لا يحتاج إلى مخلوق، ويوصي **معروف الكرخي** (**200هـ**)، عند مرضه أن يعطو ثوبه الذي لا يملك غيره إلى فقير حتى يخرج من الدنيا كما جاء إليها، أما مالك بن دينار فيحكي عنه فريد الدين العطار أنه أقام بالبصرة أربعين عاما ولم يتناول التمر، ولما تاقت نفسه إليه حاول أن يروض نفسه بالصوم أسبوعا ثم يأكل التمر بعد ذلك، ولما ذهب إلى المسجد لأداء صلاته سمع طفلا ينادي من على السطح يا أبتاه إن يهوديا يسير إلى المسجد ويشتري تمرا ليأكله في المسجد فتعجب الرجل وقال ما شأن اليهودي بالمسجد؟ ولما ذهب والد الطفل إلى المسجد لم يجد إلا مالك بن دينار فارتمى على قدميه فسأله مالك ما هذا الكلام الذي قاله الطفل؟ والتهبت نفسه وأيقن أن هذا الطفل إنما نطق على لسان الغيب، وهتف قائلا: رباه لم أتناول الرطب وسميتني يهوديا على لسان معصوم، فكيف لو تناولته؟ إذا لشهرت

1 ابن خلدون، مرجع سابق، ص 329.

2 أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، د ت ط، ص 18/17.

3 القشيري، مصدر سابق، ص47.

بالكفر فبعزتك لن آكله أبدا وأمضى بقية عمره دون أن يتناول التمر1.

وقد غلب على هذه المرحلة الاتجاه العملي أكثر من التوجه إلى الجانب التنظيري الذي سنلحظ غلبته فيما بعد، ولعل هذه الميزة التي تميزت بها المرحلة جعلت الكثير من الباحثين يعتبرون هذه المرحلة مرحلة مؤسسة للتصوف الإسلامي، وقد كان السبب الأساس في جعل هذه المرحلة مرحلة عمل وسلوك هو قربها من العهد النبوي والمنبع الصافي الذي طبعت به حياة الصحابة والتابعين، حيث عرف عن الصحابة تقشفهم وابتعادهم عن الدنيا وزخارفها وذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الإعراض عن الدنيا، ولم يعرف في هذه المرحلة عن أي كان من السادة المتصوفة ميول للكلام في الفلسفة ومباحثها ولا الخوض في الكلام ومذاهبه وذلك لأن مذاهب المدارس الفكرية لم تكن قد استوت بعد، وكانت الأمة على رأي واحد في الكثير من المسائل الكلامية لأن التفصيل في دقائق الكلام لم يكن قد حصل بعد، بل كان كل همهم الانكباب على تطبيق القرآن الكريم في سلوكاتهم تماشيا مع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان كل تركيزهم على الأخلاق وتزكية الروح، مع بدايات تشكل مظاهر جديدة في الملبس والمشرب والمأكل (وقد صحب هذا النمط الجديد في الزهد لون جديد من الألفاظ والمصطلحات التي لم نألفها من قبل فيروى أن مالك بن دينار والحسن البصري وشقيقا البلخي ذهبوا لزيارة رابعة العدوية في مرضها فقال لها الحسن ليس بصادق في دعواه من لم يصبر على ضرب مولاه، فقالت رابعة هذا كلام يشم فيه رائحة الأنانية.

فقال شقيق: ليس بصادق في دعواه من لم يشكر على ضرب مولاه، فقالت رابعة يجب أن يكون أحسن من هذا.

فقال مالك ليس بصادق في دعواه من لم يتلذذ بضرب مولاه فقالت رابعة يجب أن يقال أحسن من هذا .

فقالوا لها تكلمي أنت يا رابعة فقالت: ليس بصادق في دعواه من لم ينس الضرب في مشاهدة مولاه.

ويبدو أن رابعة كانت على حال من الزهد جعلها كالمعلم لزهاد عصرها كيف يكون الزهد وحال الزاهد، فلقد ذهب إليها سفيان الثوري مع عبد الرحمن بن عامر لزيارتها في مرضها فقال لها سفيان ألا تدعين الله بدعاء يخفف عنك الألم فقالت: رابعة يا سفيان إنك لا تعلم من الذي أراد بي هذا المرض.. أليس هو الله ؟

1 السيد الجليند، مرجع سابق، ص 27/26/25.

فقال: بلى.

فقالت: ما دمت تعلم. فلماذا تدعوني لأن أطلب منه شيئا يخالف إرادته..؟ فمخالفة المحبوب غير مستساغة.

فقال سفيان: وماذا تشتهين..؟

فقالت: يا سفيان إنك رجل من أهل العلم. فلماذا تتكلم بمثل هذا وتقول: ماذا تشتهين..؟ فبعزة الله إن لي إثنى عشر عاما وأنا أشتهي الرطب وهو ميسور في البصرة. وأنا لم أتناوله حتى الآن لأنني أمة. وما شأن الأمة بالآمال واختيار الرغبات ؟ ويكون هذا كفرا لو أردته أنا. ولم يرده الله، فينبغي طلب شيء يريده هو حتى تكون بحق عبيده فإذا أعطاه هو فذلك شيء آخر..

قال سفيان: فسكت ولم أفه بشيء، ثم قلت لها، ما دام لا يستطاع التكلم في أمرك فتكلمي أنت في أمرنا، فقالت: إنك رجل صالح، لولا أنك تحب الدنيا، إنك تحب رواية الحديث وهذا نوع من طلب الجاه، ويقول عبد الواحد بن عامر رب ارض عني، فقالت رابعة: ألا تستحي في أن تطلب رضاء من لست راضيا عنه، إن العبد يكون قد قام بشروط العبودية حين لا يشعر بألم ولا بقسم، أي يكون في درجة من الفناء في الله حتى ينسى ألمه)1.

وفي هذا السياق يجب أن نؤكد أن هذه المرحلة الأولى من مراحل تطور علم التصوف قد عرفت بهؤلاء الزهاد الأوائل في تاريخ الإسلام، ولا أدل على ذلك من أننا لا نكاد نجد مصدرا من المصادر التاريخية في الفكر الإسلامي إلا وقد روى لنا الكثير من أمثال هاته القصص السالفة والتي هي في الأساس تروى وتتناقل لأجل تزهيد الناس في الدنيا وصرفهم عن زخارف الحياة التي فتحت عليهم فتنافسوها ولم تسلم منها إلا طائفة عرفت بانقطاعها للزهد والعبادة وتلاوة القرآن ومداومة التأمل في الملكوت كتاب الله المنظور.

1 محمد السيد الجليند، مرجع سابق، ص28/27.

الطور الثاني: عصر الاستقرار مع حجة الإسلام الغزالي القرن الخامس (5) للهجرة

في هذه المرحلة تم بناء فلسفة روحية متكاملة على أيدي رجال من أعظم رجالات السلوك الصوفي في تاريخ الإسلام، وهذه الفلسفة في ظاهرها تقرب في كثير من بنياتها إلى الموقف السلفي المتشدد ولعل ذلك يتضح في بعض كتابات حجة الإسلام الغزالي والجنيد والسهروردي والحارث بن أسد المحاسبي، كما يمكن أن تنحو هذه الفلسفة منحى فلسفيا جليا كما كان ذلك مع ابن سبعين، وهناك من جمعبين المنهجين فكان كلامه تارة يحمل على وجه سني وتارة أخرى يحمل على محمل فلسفي وهذا التيار عرف به ابن عربي والبسطامي وغيرهما كثير.

ليس التصوف فكرا أو مذهبا ابتدعه العقل، بل هو خبرة داخلية لا خيار فيها لمختبرها، وكل ما يفعله العقل حيالها هو أن يتلقاها ويصفها ويعبر عنها، فالصوفي صاحب موهبة، تماما كالشاعر والرسام والموسيقي والروائي، ولئن كان هؤلاء أحرارا نسبيا في التعبير عن موهبتهم على النحو الذي تسمح به أدواتهم، إلا أن الصوفي وأدواته اللغة ومناخه الدين، ليس حرا في التعبير عن تجربته إذا جاء تعبيره هذا مصادما أو منافيا للشريعة التي نزل بها الوحي الإلهي. من هنا كان التنظير للتجربة الصوفية الذي يرمي إلى التوفيق بين الحقيقة والشريعة وإلغاء التعارض بينهما، فكانت مؤلفات من مثل " الرسالة القشيرية " **لأبي القاسم القشيري** و" قوت القلوب " لأبي طالب المكي و" اللمع " **للسراج الطوسي** و" التعرف " للكلاباذي، إلى ما سوى ذلك وما سواه كثير، علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، هكذا كان يقول أبو القاسم الجنيد البغدادي شيخ هذه الطريقة، وهي الطريقة التي مازال الصوفية حتى عصرنا الحاضر يترسمونها ويلتزمون قواعدها في الأصول والفروع، فالصحيح بإطلاق هو الشريعة المتمثلة في الكتاب والسنة، وعلى محك منها يعرف صحيح القول من زيفه، وحقه من باطله يقول أبو سعيد الأعرابي: (كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل)، أي أن كل معرفة حصلها الصوفي من تجربته تخالف في مضمونها أو مدلولها قاعدة شرعية أو أمرا إلهيا أو سنة نبوية فهي باطلة لا يصح الأخذ بها ولا الركون إليها. وقريب من هذا قول أبي سليمان الداراني: (ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين، الكتاب والسنة). حتى أبو يزيد البسطامي وقد كان من كبار الشاطحين يحذر من الذين أوتوا الكرامات ولا يراعون أحكام الشريعة وكان يقول: " لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة "، إذا فلا بد من التماس دليل على أقوال الصوفي من الكتاب والسنة يكون بمنزلة جواز مرور، وإلا تعين عليه أن يصمت إيثارا للسلامة. وفي المنقذ من الضلال يصف حجة الإسلام التجربة الصوفية بقوله: " وبالجملة، فماذا يقول القائلون في طريق طهارتها – وهي أول شروطها – تطهير القلب بالكلية عما سوى الله

تعالى ومفتاحها الجاري منها التحريم في الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله، وهذا آخرها بالإضافة إلى ما لا يكاد يدخل الاختيار والكسب من أوائله، وهي على التحقيق أول الطريق، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه، ومن أول الطريق تبتدئ المشاهدات والمكاشفات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر أن يعبر عنه إلا اشتمل لفظه على خطئ صريح لا يمكنه الاحتراز منه، وعلى الجملة، ينتهي الأمر إلى " قرب " يكاد يتخيل منه طائفة " الحلول " وطائفة الاتحاد، وطائفة " الوصول " وكل ذلك خطأ1.

يقول أحد الباحثين هنا نجد الإمام يرفض حتى الوصول تعبيرا عن التجربة الصوفية لما قد يوهم هذا اللفظ من تحيز الحق تعالى مكانا بعينه يسعى الصوفي إلى دركه وبلوغه، لكنه في "المقصد الأسنى" يتساهل في مصطلح " الوصول " ملبسا إياه معنى غير ما يشعر به مجرد اللفظ، فيقول " وإنما الوصول أن ينكشف له – أي للسالك – جلية الحق ويصير مستغرقا به، فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله تعالى، وإن نظر إلى همته فلا همة له سواه، فيكون كله مشغولا بكله مشاهدة وهما، لا يلتفت في ذلك إلى نفسه ليعم ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق، وكل ذلك طهارة وهي البداية، وإنما النهاية أن ينسلخ من نفسه بالكلية ويتجرد له، فيكون " كأنه هو " وذلك هو الوصول، إن أبا حامد وهو الإمام المقتدى، يأخذ الأحوط من الألفاظ، لأنها منزلق خطر إذا جرى تداولها على غير معناها الاصطلاحي، وفهمها الناس على معناها الشائع في اللغة، أو فهموها فهما حرفيا، ولذلك نجده يتحرر في وصف التجربة باستبعاد ألفاظ قد توهم بالحلول أو الاتحاد أو حتى " الوصول "، مؤثرا عليها تعبيره " القرب " الذي ورد كثيرا في الكتاب والسنة2.

الغزالي وموقفه من التصوف:

ولد أبو حامد محمد الغزالي في مدينة طوس من أعمال خراسان (التي كانت مدرسة للتصوف في ذلك العصر، ومركزا للدعوات الشعبوية الهدامة)، وكان أبوه رجلا فقيرا يشتغل بغزل الصوف وبيعه في دكان، وكان على مذهب التصوف، يسير سيرة الزهاد، وسط الفقر والحاجة، مما جعل لهذه الحياة أثرها على بنيه.. فلما حضرته الوفاة أوصى بولديه أحمد ومحمد إلى صديق له يكفلهما، وكان متصوفا مثله، فقام الرجل على رعايتهما وتعليمهما، حتى إذا عجز عن الإنفاق عليهما دفع بهما هذا الوصي إلى

1 أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، مكتبة الجندي، مصر، د ت، د ط، تصحيح وتعليق محمد محمد جابر، ص 50.

2 نهاد خياطة، دراسة في التجربة الصوفية، دار المعرفة، ط1/ 1994، دمشق، ص 127/126/122/121.

نظامية نيسابور ليتابعا التعليم، وليحصل لهما قوت، وهو القوت الذي كان يجري في المدارس النظامية على نحو ما عرف في الأزهر الشريف.. وقد أمكن للغزالي أن يدرس على أشهر معلمي عصره، ومنهم الجويني إمام الحرمين، كما أمكن له تلقي علوم الفقه، والجدل، والمنطق، وشيئا من الفلسفة حتى بلغ الثلاثين ثم قصد الوزير نظام الملك، وراح يحضر مجالسه، ويناظر الأئمة والعلماء، حتى كان له التفوق عليهم، فظهرت حجته على الجميع، وذاع صيته، ووجد فيه الوزير نظام الملك رجلا مؤهلا، فاختاره للتدريس بمدرسته النظامية ببغداد سنة 484هـ.. مكث الغزالي في المدرسة النظامية أربع سنوات يدرس، ويصنف، حتى اكتسب شهرة واسعة كفقيه وأصولي.. إلا أنه لما كان علم الفلسفة – يومذاك – مقياس الشهرة وميزان التقدير، فقد انكب أبو حامد على تعلم الفلسفة عن طريق المطالعة، وقراءاته الشخصية، دون أن يتلقى عن أي من الفلاسفة مباشرة، كما يقول لنا في ذلك: (فقد شمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية، وأنا مكلف بالتدريس والإفادة إلى ثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد)، ومذ كان في نيسابور وأبو حامد يبدي عدم اطمئنانه إلى أدلة المتفقهين كما يقول الأستاذ جميل صليبا في مقدمة " المنقذ من الضلال "، لذلك كان من أوائل عهده بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد، يبحث عن أدلة برهانية يطمئن إليها قلبه، ويومها ألف كتاب " مقاصد الفلاسفة " سعيا لطمأنة شكوكه الفكرية وتهدئة لاضطرابه الباطني، وفي هذا الكتاب يسلك أبو حامد طريق الحياد فلا هو يثني على الفلاسفة فيمدحهم، ولا هو يسفه أحلامهم وينقض مقاصدهم..ويبدو أنه لم يحصل على الطمأنينة التي يريد فألف كتابه الآخر " تهافت الفلاسفة " لإبداء شكوكه في قيمة العلم وبراهينه المنطقية.. وفي هذا الكتاب يفند آراء الفلاسفة، ويحاول الرد عليهم، مستعملا طريق المنطق الذي سلكوه هم أنفسهم، مما جعل له شهرة واسعة فسماه الناس " هادم الفلاسفة ".. وهذه الشهرة هي التي حدت بالخليفة " المستظهر بالله " أن يطلب منه أن يتناول آراء الباطنية ويرد عليهم، فألف كتابا سماه " الرد على الباطنية "، عرف بعده على أنه مبطل آراء الباطنية، ولكن شكوك الغزالي كانت قد بلغت ذروتها فعزم بعد مدة السنوات الأربع تلك على اعتزال التدريس وترك الأهل والولد والمال، ثم خرج من بغداد سنة 488 هـ/ 1095م، ولكنه لم يخرج إلا ليسلك طريق الصوفية، ولم يسلك طريق الصوفية إلا لأنه بحث في الفرق المختلفة ولم يطمئن إلى أدلتها، وهو لم يبحث في أدلة الفرق إلا بعد أن عاد إلى نور اليقين.. ومعنى ذلك أن خروج الغزالي من بغداد كان بعد خروجه من الشك، وما الأزمة النفسية التي يشير إليها في هذه الفترة إلا تلك التي حصلت له عندما كان عليه أن يترك الشهرة والمال والولد، لينصرف إلى البحث عن حقيقة التصوف وهو لم يتيقن بعد من الحصول على الحقيقة من هذا الطريق..

تلك هي الأزمة التي يشير إليها الغزالي مرة ثانية عند كلامه على التصوف، ويقول بأنه كان يقدم رجلا ويؤخر أخرى إذ كان لا يزال منغمسا بعلائق الدنيا، فلا تصدق له رغبة في طلب الآخرة بكرة، إلا ويحمل عليها جند الشهوة حملة، فيفترها عشية.. ودامت الحال كذلك ستة أشهر حتى عقد لسانه وساء هضمه، وقطع الأطباء طعمهم في العلاج، وعندها سقط بالكلية الاختيار، والتجأ إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له، فأجابه الذي (يجيب المضطر إذا دعاه) وهكذا خرج الغزالي من شكه في قيمة العلم وبراهينه أولا، ثم خرج من شكه حول جدوى التصوف ثانيا، ولم تكن طريقة خروجه الثانية إلا بواسطة الكشف الباطني، والحدس الصوفي، لا عن طريق العقل والبرهان1، ونجده يقرر في " المنقذ من الضلال " (أن الحق لا يعدو واحدا من أربع فرق هي: الباطنية والصوفية والفلاسفة والمتكلمة).. وأن ذلك الحق موجود في الصوفية دون سائر الفرق الأخرى، ولكنه رغم معارضته للفلاسفة وقيامه بالرد عليهم والقول بكفرهم، ينقل مصطلحاتهم وأفكارهم، ويستعين بأساليبهم وعلومهم.. أما بخصوص التصوف فهو يعشق نظرية الإشراقيين في الفيض والتلقي، ويؤيد بها فكرة الكشف والذوق والعلم اللدني، وهو يرى الجهاد في تعذيب البدن بالجوع والسهر وما إليه، ولذلك انحصر جهده – بعد اقتناعه بالصوفية – في الكتابة حول الفضائل السلبية والمجاهدات النفسية التي تلائم نزعته الصوفية تلك، فاعتبر الخمول والتقشف والمسكنة، من أمهات الفضائل، وعد الفقر والزهد والصمت والجوع من أكبر القربات.. إذا فقد وجد أبو حامد أن التصوف هو وحده الطريق إلى " الحقيقة الخالصة " التي بحث عنها طويلا عند أصناف الطالبين – بعدما حصرهم في فرق أربع – حتى تبين له أخيرا أنها عند الصوفية وحدها من بين الفرق الثلاث الأخرى.. وعلى هذا رأى أن التصوف عمل وليس نظرا، وهذا العمل مصدره القلب وأداته الذوق لا العقل.. وبخلاف أولئك الصوفية الذين يحصل عندهم ذلك الوهم، فإن الغزالي يرى بأن الصوفية إنما يسلكون طريق الله تعالى خاصة (فسيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أذكى الأخلاق.. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به)2.

1 سميح عاطف الزين، الإمام الغزالي، دراسة وتحليل، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدلرسة، د ط، 1988، ص 34/33/32/31/30.

2 المرجع نفسه، ص 42/41/40/39.

الطور الثالث: عصر تشكل الطرق الصوفية ق6/ق 7هجريين

يذهب الكثير من الدارسين إلى (أن الصوفية قد أخذوا منذ النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، ينظمون أنفسهم طوائف وطرقا يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق طائفة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد يسلكهم ويبصرهم على الوجه الذي يحقق لهم كمال العلم، وكمال العمل: فكان من هذه الطرق السقطية نسبة إلى **السري السقطي** (**ت 251 هـ**)، والطيفورية نسبة إلى **أبي يزيد طيفور البسطامي** (**ت 261 هـ**)، والجنيدية نسبة إلى **أبي القاسم الجنيد** (**ت 297 هـ**)، والخرازية نسبة إلى **أبي سعيد الخراز** (**ت 277 هـ**)، والنورية نسبة إلى **أبي الحسين النوري** (**ت 295 هـ**)، والملامتية أو القصارية نسبة إلى **حمدون القصار** (**ت 271 هـ**)، إلا أن الملاحظ أن هذه الطرق لم تستمر طويلا، ومع ذلك فقد كانت اللبنة وحجر الزاوية والأساس الذي قامت عليه الطرق الصوفية في القرنين السادس والسابع الهجريين، وتمثل الطرق الصوفية الحركات العلمية للتصوف الإسلامي، أو بمعنى أصح هي التصوف العملي الإسلامي، ولقد كانت الطرق الصوفية في نشأتها الأولى في القرنين الثالث والرابع الهجريين، تدل على أحوال الصوفية وسلوكهم ثم أصبحت تدل فيما بعد – خصوصا فيما يلي القرن الخامس الهجري – على نظام من الرياضات الصوفية، تمتاز به كل طريقة، وأصبحت لفظة طريقة عند الصوفية المتأخرين تطبق على مجموعة أفراد من الصوفية، ينتسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويحيون حياة جماعية في الزوايا والربط والخانقاهات، أو يجتمعون اجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام.. وإذا كان **للرفاعي** (**ت 578 هـ**) **والجيلاني** (**ت 561 هـ**) دورهما الهام في نشر حركة الطرق الصوفية في كل مكان، فقد كانت هناك أيضا شخصيات صوفية هامة لعبت دورا كبيرا في الطرق الصوفية فكانت من هذه الشخصيات البارزة **أبو مدين شعيب** (**ت 594 هـ**)، و**عبد السلام بن مشيش** (**ت 626 هـ**)، و**أبو الفتح الواسطي** (**ت 632 هـ**)، الذين ساعدوا على نشر حركة الطرق الصوفية)[1].

يذهب الدارسون لتاريخ التصوف إلى أن القرن السادس الهجري أخذ نفوذ التصوف السني في العالم الإسلامي يزداد بتأثير عظم شخصية **الغزالي** (**ت 505 هـ**)، وقد ظهر صوفية كبار كونوا لأنفسهم طرقا لتربية المريدين منهم السيد **أحمد الرفاعي المتوفى سنة 570هـ**، والسيد **عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 561هـ**، ومن المعتقد أنهما متأثران بتصوف الغزالي، ثم ظهر في القرن السابع الهجري شيوخ آخرون ساروا على نفس الطريق، أبرزهم **أبو الحسن الشاذلي المتوفى سنة 656هـ**،

1 عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، ط5، د ت ط، ص 63/60.

وتلميذه **أبو العباس المرسي المتوفى سنة 686هـ**، وتلميذهما **ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709هـ**، وهم أركان المدرسة الشاذلية في التصوف، ويعتبر تصوفهم أيضا امتدادا لتصوف الغزالي السني[1].

ومنذ القرن السادس الهجري أيضا نجد مجموعة أخرى من شيوخ التصوف الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة، فجاءت نظرياتهم بين بين، لا هي تصوف خالص، ولا هي فلسفة خالصة، نذكر من هؤلاء **السهروردي** المقتول صاحب " حكمة الإشراق " المتوفى سنة 549هـ، **والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي المتوفى سنة 638هـ**، وسلطان العاشقين الشاعر الصوفي المصري **عمر بن الفارض المتوفى سنة 632هـ**، و**عبد الحق بن سبعين المرسي المتوفى سنة 669هـ**، ومن نحا نحوهم في التصوف، وواضح أنهم قد استفادوا من عديد من المصادر والآراء الأجنبية كالفلسفة اليونانية، خصوصا مذهب الأفلاطونية المحدثة، وقد قدم لنا أولئك الصوفية نظريات عميقة في النفس والأخلاق والمعرفة والوجود لها قيمتها من الناحيتين الفلسفية والتصوفية، كما كان لها تأثيرها على من تلاهم من الصوفية المتأخرين، وبظهور متفلسفة الصوفية الذين ذكرنا أصبح في التصوف الإسلامي تياران: أحدهما سني يمثله رجال التصوف المذكورون في رسالة القشيري، وهم صوفية القرنين الثالث والرابع الهجري خصوصا، ثم الإمام الغزالي، ثم من تبعهم من شيوخ الطرق الكبرى، وكان تصوف هؤلاء جميعا يغلب عليه الطابع الخلقي العملي، والآخر فلسفي يمثله من ذكرنا من متفلسفة الصوفية الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة، وقد أثار متفلسفة الصوفية فقهاء المسلمين، واشتدت الحملة عليهم لما ذهبوا إليه من القول بالوحدة الوجودية، وكان أبرز من حمل عليهم لبن تيمية المتوفى سنة 728هـ[2].

وينبه بعض الباحثين إلى أمر هام وهو أن التصوف الإسلامي، وإن كان قد تأثر في مراحل معينة من تطوره بالفلسفة وأنظارها، واصطنع بعض اصطلاحاتها واصطبغ بصبغتها، إلا أنه من حيث نشأته الأولى إسلامي، وقد أخطأ الكثير من المستشرقين الذين عنوا بدراسة التصوف الإسلامي برده إلى مصادر أجنبية عن الإسلام، ومن الملاحظ أيضا أن بعض متفلسفي الصوفية قد حاول تأسيس طرق، ولكن الطرق التي أسسوها لم يكتب لها الاستمرار في الوجود في العالم الإسلامي لما أثير حول عقيدة مؤسسيها من شبهات[3].

---

1 أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مرجع سابق، ص18.

2 المرجع السابق، ص 19.

3 المرجع نفسه، ص 20.

الطور الرابع: مرحلة التدهور من القرن الثامن " 8هـ " إلى العصر الحديث

وتبدأ هذه المرحلة منذ بدايات القرن الثامن الهجري إلى غاية مطلع العصر الحديث، وقد امتازت هذه المرحلة بالتقليد العملي وعدم الإبداع العلمي، حيث اكتفى المتصوفة على طوال هذه القرون بتقليد الشيوخ الأوائل وهم الشيوخ المؤسسون للطرق الصوفية الكبيرة المعروفة في العالم الإسلامي، فصارت كل طريقة تتقيد بتراث شيخها وتردد منظوماته وتتداول منتوجه العلمي في مجالات التصوف والأخلاق دون الانفتاح على إنتاجات باقي الطرق الصوفية ولو كانت مشتركة معها في البيئة والمشرب الفكري، فنجد الزوايا تنكب على الشروح والحواشي لتراثها الصوفي وتهتم بالحفظ للموروث الصوفي الخاص بها، وهذه الظاهرة وإن كانت لها إيجابياتها إلا أنها تعبر عن اكتفاء بالماضي وغلق لباب الإبداع والإنتاج والاجتهاد الذي عرفت به القرون الماضية، وجراء التدهور الذي مس قطاعات التصوف جميعها ظهر قلة من المبدعين الذي دعوا إلى التجديد في التصوف بل نجدهم قد ذهبوا أبعد من ذلك، إذ أسسوا لأنفسهم طرقا صوفية خاصة، وهذه الأخيرة على حداثتها إلا أنها استطاعت أن تسهم في نشر التصوف وخدمة تراثه، ولعل أشهر هذه الطرق التيجانية في الجزائر ثم إفريقيا وكذلك العلاوية والنقشبندية وغيرها من الطرق الفتية آنذاك، ومن الملاحظ أن هذه الفترة عرفت بالاهتمام أكثر بمؤلفات الصوفية الكبار كمحيي الدين ابن عربي، كما أسهمت الطرق في هذه المرحلة في حركة الجهاد في العالم الإسلامي والمقاومة للاستعمار وتثبيت الهوية وترسيخها، وكذا نشر الإسلام كما قامت به الطريقة التيجانية.

كما نجد أصحاب الفكر الصوفي الذي خصت به الزوايا قد مسهم شيء من التدهور، فاتجه أصحابه إلى الشروح والتلخيصات لكتب المتقدمين، كما عني أصحابه من الناحية العملية بضروب من الطقوس والشكليات أبعدتهم في كثير من الأحيان عن جوهر دعوتهم، وكثر أتباع التصوف في عصوره المتأخرة، ولكن لم يظهر من بين هذه الكثرة شخصيات لها ما لشخصيات التصوف الأولى من مكانة روحية مرموقة، ولعل هذا كان راجعا إلى ما سيطر على العالم الإسلامي في عصوره المتأخرة من ركود فكري إبان عصر العثمانيين، وعلى كل فإن انحراف بعض الصوفية في بعض عصور التاريخ لا ينهض دليلا على فساد دعوتهم[1].

1 المرجع السابق، ص 20.

الطور الخامس: التصوف الإسلامي الحديث والمعاصر

وتبدأ هذه المرحلة من مرحلة خروج العالم العربي والإسلامي من هيمنة الاستعمار وتخلصه الشكلي منه، وهي المرحلة التي شهدت ولادة مفكرين جدد حاولوا بعث التفكير الصوفي، هذا الأخير الذي شهد انتكاسة منذ قرون جعلته يعتبر في الكثير من الأحيان سببا في تخلف الأمة بل يعتبر رافدا من روافد الاستعمار، كل هذا جعل ثلة من المفكرين في العالم الإسلامي يسعون لتصحيح صورة التصوف في أذهان المسلمين خصوصا بعد طغيان الحياة المادية بكل فلسفاتها حيث أصبح الفرد المسلم يفتقد تلك الروحانية التي صار لا يجدها إلا في موسوعات التراث الإسلامي الروحي، فنادى هؤلاء المجددون ببعث الأخلاق في الحياة العامة للأمة وتخليق المجال العام ومن أهم هؤلاء نجد الفيلسوف **محمد إقبال، وبديع الزمان سعيد النورسي**، والفيلسوف الفرنسي رينيه جينو " **عبد الواحد يحي**، وغيرهم كثير في شتى أقطار العالم الإسلامي..

كما يجب التنبيه إلى أن هناك بعض البلدان الإسلامية التي شهدت حملة ضد التصوف ورجاله وتراثه دون تمييز بين غث وسمين، بدل استخراج كنوزه ومكنوناته، ولعل الجزائر تعتبر أكبر بلد شهد هذا الطمس والتشويه وللأسف تولى كبر هذه المهمة القذرة ثلة ممن يحسبون على الإصلاح – وإن كانوا قد أصلحوا في بعض المجالات الاجتماعية – حصل هذا في زمن كانت في بعض الدول المسلمة وحتى الغربية تعطي اهتماما خاصا للتصوف وعلومه، وكل المشاريع التي حصلت في العصر الحديث كانت بالأساس ترمي إلى دعم المسلم المعاصر بشحنة من الروحانيات اللازمة والتي لطالما افتقدها، وتبقى نتائج هذه الجهود تتوالى إلى المرحلة المعاصرة في شتى البلاد الإسلامية خصوصا منها تلك التي لم تتعرض لموجهة من تشويه تراث أمتها الروحي كما تعرضت لها الجزائر.

مشروع محمد إقبال (1294هـ – 1357هـ/ 1877م– 1938م)

ترجمته: ولد محمد إقبال في مدينة " سيالكوت " التي تقع في باكستان الغربية سنة 1877م من أسرة برهمية الأصل أسلمت على يد أحد رجال الصوفية في كشمير، ولذلك فإن النزعة الصوفية ظلت راسخة في حياة أفراد الأسرة وهو ما انعكس على فيلسوفنا محمد إقبال، حيث ترك فيه التصوف جملة من الأخلاق والصفات النبيلة، وهو الذي كان باعثا نحو العلم النافع والوعي بالحياة والتفكير العميق.

حصل إقبال على شهادة الليسانس من جامعة لاهور سنة 1897م، ثم على الماجستير في سنة 1899م، وقد بدأ ينبعث صوته عندما بدأ ينظم الشعر، وبعدها عين لتدريس الفلسفة في الكلية الشرقية في لاهور، واشتغل بتدريس الفلسفة واللغة الإنجليزية بكلية الحكومة. هذا وقد اتجه محمد إقبال

سنة 1905م إلى الإنكليز تحت تأثير أستاذه توماس أرنولد لإتمام دراسته، فالتحق بجامعة كمبريدج التي تحصل فيها على شهادة في الفلسفة الأخلاقية، ثم رحل إلى ألمانيا والتحق بجامعة ميونخ أين ناقش أطروحته الموسومة " الميتافيزيقا في فارس " ونال بها درجة الدكتوراه، وبعد ذلك عاد إلى لندن ليدرس القانون ويجتاز امتحان المحاماة، وظل في هذه المهنة حتى سنة 1934م، حيث أجبره المرض على التوقف عن العمل، وذلك قبل وفاته بأربع سنوات، وقد كان إلى جانب مهنة المحاماة يقوم بنشاطات فكرية وسياسية متعددة، إلى أن وافته المنية سنة 1938م، مخلفا آثارا فلسفية وأدبية ضمنها تصوراته وأعماله التجديدية والإصلاحية.1

وقد لخص الشاعر الألماني **هرمان هسه " ت 1936م "** العوامل التي أثرت في شخصية **محمد إقبال** وتكوينه الثقافي في ثلاثة أحياز روحية هي – من وجهة نظره – منابع آثاره العظيمة، هذه الأحياز الروحية الثلاثة هي: حيز القارة الهندية، حيز العالم الإسلامي، وحيز الفكر الغربي2.

رأي محمد إقبال في التصوف الإسلامي:

يجتهد بعض الدارسين في النظر إلى مسألة التصوف عند **محمد إقبال** من جانبين الأول منهما نقدي، أما الجانب الثاني فبنائي وذلك كالآتي:

أولا: الجانب النقدي: وفي ذلك لاحظ **محمد إقبال** أن نشأة التصوف ترجع لظروف فكرية واجتماعية وسياسية سادت في العالم الإسلامي قبيل نهاية القرن الثامن الميلادي، والنصف الأول من القرن التاسع الميلادي، إذ كانت هذه الحقبة التاريخية، مملوءة ببذرات عدم الاستقرار السياسي، وقد شهد هذا العصر ثورة سياسية أدت إلى سقوط الدولة الأموية، الأمر الذي أفضى فيما بعد إلى نشوب صراع بين الحكام المسلمين على السلطان، وقد ازدادت محنة المسلمين حينما ظهرت فكرة الشعوبية التي أدت إلى نزاع كدر صفو المسلمين وشتت شملهم، وقد تكاتفت هذه الأوضاع مع المذاهب الفلسفية الدخيلة التي آلت إلى نزعة وحدة الوجود فأوجدت حياة فكرية متدهورة، وقد أدت هذه الوضعية إلى جملة من النتائج التي يمكن اختزالها في الآتي:

- انتشار نزعة الميل نحو الثراء.

- انتشار الآراء الداعية إلى التواكل.

---

1 الشريف زيتوني، محمد إقبال وشذرات من فلسفته الإحيائية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط 2010، د ت ط، ص 16.

2 المرجع السابق، ص 15.

-ترتب عن ذلك، ظهور نزعة صوفية، تحمل بذرة الفناء والحلول في ذات الله.

وقد اعتنق بعض المتصوفة من المسلمين هذه النزعات فابتعدوا عن واقع الحياة الإسلامية.. فكانت أحد العوامل التي أدت إلى تأخر المسلمين وضعفهم الأمر الذي جعل العالم الإسلامي مسرحا لتناقضات شتى، ومجالا للنفوذ الاستعماري، فكان من الضروري أن يقوم مفكرو النهضة الإسلامية بالنقد لهذه النزعة الهدامة، الحاملة لفكرة الاتحاد والحلول، ووحدة الوجود الغريبة عن الإسلام، وقد تصدى لها **محمد إقبال** في عصر بدأت فيه النهضة الفكرية المدعمة بالنظر العلمي تظهر إلى الوجود، ولهذا فإن إقبال لم يستسغ منذ البداية هذه النزعة الصوفية السلبية التي لا تؤهل الإنسان المعاصر لمواجهة التحديات العالمية التي لا ترحم كل من تعالى على الواقع، ورفض التعامل معه بنظرة جامعة بين المثال والواقع.. لهذا فإن إقبال يرى بأن التصوف السلبي الذي نشأ متأثرا في نموه بحياة ثقافية غير إسلامية، تسبب في تدهور الحضارة الإسلامية، إذ إنه لا يعبر عن شيء سوى عن جانب نظري بحت أوجد نزعة صوفية متمردة على الفقهاء الأوائل[1]، كل هذا كان سببا حقيقيا فيما آلت إليه الأوضاع فيما بعد، يقول إقبال: ".. كانت نشأة التصوف التزهدي ونموه متأثرا في تطوره التدريجي بطابع غير إسلامي وهو جانب نظري بحت، فكان مسئولا إلى حد كبير عن هذا الاتجاه وقوي في شطره الديني البحت نوعا من التمرد على تخريجات الفقهاء المتقدمين.."[2]

ثانيا: الجانب البنائي:

بعدما رأينا نقد **محمد إقبال** للتصوف الذي يراه يحمل بذرة الفناء، والتواكل، وهو نوع من التصوف الذي لا يمت – في رأيه – بصلة للعقلانية الإسلامية، يمكن أن نبسط بشيء من التحليل موقفه الإحيائي للتصوف، وهو موقف ينبع من تقسيمه الحياة الدينية إلى ثلاثة أطوار:

الطور الأول: طور الإيمان: الطور الأول تبدو الحياة الدينية في صورة نظام تخضع له خضوعا مطلقا من غير نظر عقلي في أبعاده وغاياته، وهذا الاتجاه له أثر كبير في التاريخ الاجتماعي والسياسي لشعب من الشعوب، ولكنه قليل الأثر في الرقي الروحي للفرد.

الطور الثاني: طور الفكر: إن الحياة الدينية في هذا الطور تبحث عن أصلها في نوع من الميتافيزيقا " الإلهيات " وهي نظر في الكون متسق اتساقا منطقيا، ومن فروعه البحث في ذات الله.

---

1 الشريف زيتوني، مرجع سابق، ص 129/128/127.

2 محمد إقبال، تجديد الفكرالديني، ط2، ترجمة: عباس محمود، مراجعة: مهدي علام، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1967، ص 173.

الطور الثالث: الاستكشاف: أما في هذا الطور فهو الذي يتم فيه تجاوز التصور المنطقي إلى الاتصال المباشر بالحقيقة الإلهية فيكون الدين عبارة عن تمثل فردي للحياة والقدرة، ويكسب الفرد شخصية حرة، لا بالتحلل من قيود الشريعة، ولكن بالكشف عن أصلها البعيد في أعماق شعوره هو1.

وقد نجح **محمد إقبال** إلى حد كبير في ربط التصوف بالطور الثالث بكل معانيه، وهو الذي يمثل – في نظره – الدين في أسمى مراتبه وبذلك يصبح التصوف تجربة حية وحقيقة، فالدين كما يراه إقبال (هو في جوهره تجربة، وقد أدرك أنه لا بد من أن تكون التجربة أساسه قبل أن ينتبه العلم إلى اصطناع هذا الرأي بوقت طويل، فالدين سعي صادق صحيح يستهدف توضيح الشعور الإنساني، هو بوصفه هذا يمحص مستواه في التجربة شأنه في ذلك شأن المذهب الطبيعي الذي يمحص مستوى تجربته كذلك)2 ويقول في السياق نفسه (بما أن القرآن يسلم بأن الاتجاه التجريبي مرحلة لا غنى عنها في حياة الإنسان الروحية، فإنه يسوي في الأهمية بين جموع ضروب التجربة الإنسانية باعتبارها مؤدية إلى العلم بالحقيقة اللانهائية التي تكشف عن الآيات الدالة عليها في نفس الإنسان وفي خارج النفس على السواء، فإحدى الطرق غير المباشرة لإيجاد الصلات بيننا وبين الحقيقة التي تواجهنا هي: الملاحظة التأملية والسيطرة على العلاقات التي تدل عليها تلك الحقيقة كلما تكشفت هذه العلاقات عن ذاتها للإدراك الحسي، أما الطريقة المباشرة فتكون بالاتحاد مع الحقيقة عندما تتجلى في داخل النفس اتحادا مباشرا.. لغرض أنبل يؤدي إلى تحرر حركة الحياة الروحية في رقيها وتساميها)3

وقد خلص إقبال من خلال ما سبق إلى جملة من الخصائص التي تتعلق بالرياضة الدينية يوجزها أحد الباحثين4 فيما يلي:

1/ إنها تجربة تصل إلى النفس مباشرة، وهي بذلك لا تختلف عن غيرها من مستويات التجربة العادية التي تمدنا بالمعارف، وكما أن التجربة العادية تخضع لتأويل موضوعات الحس لتحصيل العلم بالعالم الخارجي، فكذلك مجال التجربة الصوفية يخضع للتأويل لتحصيل المعرفة بـ" الله ".

2/ الرياضة الصوفية كل لا يقبل التحليل، لأن الحالة الصوفية تصلنا بالحقيقة وصلا يعبر بنا طريق الوصول إليها جميعه.

---

1 المصدر نفسه، ص 223.

2 المصدر السابق، ص 223.

3 المصدر نفسه، ص 23/22.

4 الشريف زيتوني، مرجع سابق، ص 137/136.

3/ إن المعرفة الصوفية ليست مغايرة كل المغايرة للمعرفة العادية، بل هي شبيهة بعض الشيء بها، لأن الحالة الصوفية عند المريد هي لحظة من الاتصال الوثيق بذات أخرى فريدة سامية محيطة تفنى فيها الشخصية الخاصة للمريد فناءا مؤقتا.

4/ بما أن المعرفة الصوفية معرفة مباشرة، فمن الواضح أنه لا يمكن أن يطلع عليها، أي من الصعب نقلها إلى إنسان آخر، لأن الحالات الصوفية أشبه بالشعور منها بالعقل، وما يعلنه الصوفي أو النبي من تفسير لفحوى محتويات الشعور الديني نفسها لا يمكن الاطلاع عليها أي نقلها للغير1.

مشروع بديع الزمان سعيد النورسي (1293هـ – 1379هـ/ 1876م– 1960م):

ترجمته: ولد **سعيد النورسي** سنة 1293هـ/ 1876م، في قرية " نورس " من قرى ولاية " بتليس " في شرقي الأناضول، من أسرة كردية صالحة تقية، كانت أسرته تشتغل بالفلاحة، فتوجه هو إلى التعليم في الكتاتيب والمدارس الدينية، وكان يأخذ دروسه على أخيه " الملا عبد الله " وغيره من العلماء، واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو، ثم بدأ ينتقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس ليتلقى العلوم الإسلامية، من كتبها المعتبرة بشغف عظيم، وكان يساعده في ذلك ذكاء خارق، اعترف به أساتذته جميعهم بعد اختبارات صعبة، كان يجريها له كل منهم، واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة، بحيث إنه درس وحفظ كتاب " جمع الجوامع " في أصول الفقه – وهو كتاب غاية في الصعوبة – في أسبوع، وشهد له أستاذه كتابة على ظهر نسخته، ولم تلبث شهرة هذا الشاب أن انتشرت بعد أن أفحم في مناقشاته علماء منطقته جميعا فسموه بـ: " سعيد المشهور "، ثم ذهب إلى " بتليس " ومنها إلى مدينة " تيلو " حيث اعتكف مدة في أحد أماكن العبادة وحفظ هناك قاموس المحيط للفيروز آبادي إلى باب السين، وفي سنة 1892م ذهب " الملا سعيد " إلى مدينة " ماردين " حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة، ويجيب على أسئلة الناس، ثم وشي به إلى الوالي فأصدر أمرا بإخراجه، وسيق إلى " بتليس " فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم ألح عليه أن يقيم معه، فأقام معه، وهناك وجد الفرصة سانحة لمطالعة الكتب العلمية الإسلامية، لا سيما في الفلسفة وعلم الكلام والمنطق وكتب التفسير والحديث والفقه والنحو، حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم " ثمانين متنا "، وفي هذه المدينة أخذ آخر دروسه الدينية من العالم الجليل محمد الكفروي.

وفي سنة 1894م ذهب إلى مدينة " وان " وانكب فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات

1 محمد إقبال، مصدر سابق، ص 28/27.

والفلك والكيمياء والفيزياء وعلم طبقات الأرض " الجيولوجيا " والفلسفة الحديثة والتاريخ والجغرافية، حتى تعمق فيها إلى درجة إفحام الأساتذة المختصين، فسمي لأول مرة بـ: " بديع الزمان " اعترافا من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير، وفي هذه الأثناء قرأ بديع الزمان في الجرائد المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني " غلادستون " صرح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلا: " مادام هذا القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به "، زلزل هذا الخبر كيانه وأقض مضجعه، وأدرك بذكائه وبمعرفته الواسعة وحسه الإسلامي، أن المسألة خطيرة جدا، وأن الغرب بزعامة بريطانيا مقدم على هجوم واسع بمخطط شامل على الإسلام والمسلمين، ومن هنا قرر شد الرحال إلى إسطنبول عام 1896م ليقدم مشروعا لإنشاء جامعة إسلامية حديثة في شرقي الأناضول تقوم بمهمة نشر حقائق الإسلام وعلومه ودعوة المسلمين إلى التقدم العلمي والاهتمام بترقية حياتهم المادية والمعنوية، إلا أنه لم يلق العون من المسؤولين، فرجع خائبا إلى الشرق، وفي سنة 1907م ذهب مرة أخرى إلى إسطنبول، وكانت شهرته العلمية هذه المرة سبقته إليها، فتجمع حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة، فاعترف له الجميع بالإمامة، بأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أحدا قط.. وفي اسطنبول قدم إلى السلطان عبد الحميد الثاني طلبا بفتح المدارس التي تعلم العلوم الكونية الحديثة بجانب العلوم الإسلامية، حيث كان يؤمن بضرورة الدراسة المندمجة وعدم الفصل بينهما، جريا على المنهج الإسلامي الصحيح، في الوحدة بين العلوم الكونية والدينية[1].

ولم تخل حياة النورسي طوال الخمسينيات، حتى عام وفاته 1960م من مضايقات مستمرة ومحاكمات ظالمة، وضجات مفتعلة ضده على صفحات الصحف اللادينية والماسونية، ولكنه شق الطريق بكل قوة وإصرار، يرشد تلامذته ويدرسهم في رسائل النور، ويشرف على طبع رسائله وكتبه حتى وفاته في الخامس والعشرين من رمضان سنة 1379هـ الموافق للثالث والعشرين من آذار سنة 1960م[2].

رأي بديع الزمان النورسي في التصوف الإسلامي:

لقد كان النورسي زاهدا في حياته الشخصية، يدعوا إلى تطهير النفس والإخلاص لله تعالى وإنقاذ الإيمان من مخاطر الفلسفات المادية، ولم يكن صوفيا بأي معنى من معانيه الاصطلاحية، سواء أكان

1 محسن عبد الحميد، النورسي متكلم العصر الحديث، سوزلر للنشر، القاهرة مصر، د ط، د ت ط، ص 13/12/11/10.
2 المرجع نفسه، ص 49/48.

فيلسوفا يتكلم في الروحانيات من برج إشراقي عاجي، أم شيخ طريقة يحيط نفسه بالادعاءات الضخمة، والهالات البراقة، والمظاهر البدعية الخرافية.. ويؤكد النورسي على كونه صوفيا في مناسبات كثيرة منها: " فهناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة أمثال: الفناء في الشيخ، الفناء في الرسول، وأنا لست صوفيا "، " وحيث إن مسلكنا حقيقة علمية وليست طريقة صوفية فلا نرى أنفسنا مضطرين مثلهم إلى مباشرة تلك الرابطة بالافتراض والخيال " ويقول أيضا: " أيها السادة إنني لست شيخا صوفيا، وإنما أنا عالم ديني، والدليل على هذا أنني لو كنت قد علمت أحدا من الناس الطريقة الصوفية.. لكان لكم الحق في الارتياب والوقوع في الشكوك، ولكني لم أقل لمن أتاني إلا أن الزمان ليس زمان الطريقة، الإيمان ضروري، والإسلام ضروري " ويردد النورسي هذا المعنى كثيرا في رسائله: " إن هذا العصر ليس بعصر تصوف وطريقة وإنما هو عصر إنقاذ الإيمان "1.

ومن خلال ما قدمناه يظن البعض أن النورسي كان ضد التصوف والروحانيات والحقيقة غير ذلك، فالنورسي كان ضد فكرة التنظيمات الطرقية التي سادت في عصر الخلافة العثمانية بصورة جعلت من الصوفية آنذاك أبعد الناس عن واقع أمتهم وتحدياتها الكبرى التي تواجهها، حيث يرى النورسي أن التصوف الذي يناسب العصر الذي نعيشه يجب أن يكون عاملا متحركا يعتمد العلم والجهاد، حاملا لدعوة الإسلام للعالم، وبهذا الاعتبار لا يمكن اختزال المنهج الصوفي في الذوق، والرياضة الروحية، وإنما ينبغي تدعيم هذا بالمنهج العلمي والعقلي، بما يوائم تحدي الفلسفة المادية المعادية للدين، وأن أقطاب التصوف كعبد القادر الجيلاني والشاه النقشبندي وغيرهم لو عاصروا هذه التحديات لبذلوا ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، لأنهما منشأ السعادة الأبدية، وأن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي2.

بالإضافة إلى أن نظرة النورسي إنما اعتمدت مبدء الأولوية خصوصا في ظل الظروف الطارئة التي كانت تمر بها أمة الإسلام كيف لا والنورسي الرجل الغيور على أمته يراها مرأى العين تقسم من طرف الغرب تقسيم الكعكة وفي السياق ذاته يؤكد النورسي على أولوية إرساء الحقائق الإسلامية تزامنا مع ما يشهده الإيمان من هجوم جماعي منظم يهدد أسسه ويهدم أركانه، وأن أغلب الكتب والرسائل التي يعكف عليها متصوفة عصره غير كافيةلمواجهة هذا التيار الرهيب ومقاومته3.

وما يؤكد لنا أن النورسي مبدعا في إجراء فقه الأولويات على واقع أمته قوله: " لا يمكن دخول

---

1 المرجع السابق، ص 205/204.

2 بديع الزمان النورسي، المكتوبات، تر: إحسان قاسم الصالحي، ط3، سوزلر، مصر، 2001م، ص 27.

3 بديع الزمان النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، تر: إحسان قاسم الصالحي، ط3، سوزلر، مصر، 1999م، ص 105.

الجنة دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون دون تصوف، فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة، فالتصوف فاكهة، والحقائق الإسلامية خبز "1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 عبد الحليم محمود، قضية التصوف، المنقذ من الضلال، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ص 108/105.

المبحث الثالث: أصالة التصوف في التراث الإسلامي

للوهلة الأولى، يصدم الدارس للتصوف وتاريخه في سياقه الإسلامي العديد من التساؤلات، كما لا يحصل ذلك مع أي فكر، ولعل كل ما يثار اليوم ضد أو مع التصوف من كلام وندوات ومؤتمرات، إنما يعد مظهرا من مظاهر الحراك الفكري والتثاقف الحضاري، الذي استطاع أن يكون التصوف جزءا من مواضيعه، ويحصل هذا الجدل عبر كل العصور، فمنذ النشأة الأولى، والتي شهدت إرهاصات متباينة لبزوغ هذا العلم إلى الطور الذي اكتمل فيه واستوى، لم تخل مدونات الفكر التي تناولت التصوف من تباين في وجهات النظر، لكن هذا الحراك سيشهد شكلا آخر، في العصر الحديث والمعاصر، إذ يأخذ أبعادا عقدية خطيرة، فنجد طرفا يصنفه ضمن المبتدعات في الدين، في حين نجد طرفا آخر يعتبره لب الدين، لولاه لما كان للدين معنى، وهذا الحراك لا يمت للحراك السالف الذي تحدثنا عنه بصلة فهذا الأخير إنما يعبر أصدق تعبير عن الحالة الفكرية الهزيلة التي تعانيها الأمة.

المطلب الأول: شبهات وردود حول التصوف

بين من يصفه بدعة ومن يصفه إحسانا ومن يراه من تراث الإنسانية المشترك، يقف الدارس للتصوف مشدوها، لكن الحقيقة التي يبتغي نيلها تجعله يتتبع أدلة كل فريق بالدراسة والتحليل والنقد، وهذا الأخير كفيل بتمحيص كل المواد العلمية التي كانت إنتاجا في هذا السياق، وفي هذا المطلب سنحاول عرض بعض الآراء المناهضة للتصوف، من داخل البيئة الإسلامية وسنورد بعض الأدلة التي يستعملها أصحابها لتقويض بنيات التصوف ونقضه، كما نحاول أن نحكمها للمنهج العلمي المستعمل في سياق الباحثين المنتصرين للتصوف ونقف الموقف الذي نرى أن الحقيقة التي نبتغيها أوصلتنا إليه.

الفرع الأول: التصوف بدعة

لا توجد مدرسة من المدارس المناوئة للتصوف ركزت على فكرة بدعية التصوف كما قامت بذلك المدرسة السلفية " الوهابية "، ومن أبرز دعاة هذه المدرسة نجد أبوبكر جابر الجزائري الذي يركز تركيزا شديدا على تبديع التصوف والصوفية، إذ نجده في معرض حديثه عن تعريف التصوف يقول: (لقد اختلف منتحلوه في وضع حد له حتى بلغت تعاريفهم له نحوا من ألفي تعريف، كلها حدود ورسوم لا واقع لها في الخارج، والتعريف الصحيح للتصوف هو: أنه بدعة " ضلالة " من شر البدع، وأكثرها إضلالا، وأكبرها ضلالة، إذ لم يعرف التصوف في زمن نزول الوحي، ولا بعده وإلى أن انقرض من شاهد نزول الوحي المحمدي وعاصر نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يرد لفظ التصوف على لسان رسول الله ﷺ قط، فلم يحدث عنه ولم يخبر به، اللهم إلا ما كان من تحذيره ﷺ من البدع والإحداث في الدين في مثل قوله: " إياكم

ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "1، وقوله: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "2 فإنه قطعا يدخل في البدع والمحدثات التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف، وكما أن النبي ﷺ لم يحدث عنه ولم يخبر به فضلا عن أن يشرعه ويدعو إليه، فإن الصحابة رضوان الله عليهم لم يؤثر عن أحد منهم أنه عرف التصوف أو نطق به، وكذا التابعون من أبناء الصحابة وأبناء أبنائهم وهم أهل القرون المشهود لهم بالخيرية والفضل في قول الرسول ﷺ فإنه لم يعرف بينهم ولم يؤثر عن أحد منهم، لا بالعبارة ولا بالإشارة، فلذا هو بدعة قطعا ولا شك في بدعيته وإحداثه، وحتى أهل اللسان العربي أنكروا أن يكون لفظ التصوف عربيا، إذ صيغة التفعل لا بد وأن تكون مشتقة من فعل لازم يؤتى بها لأغراض كالمطاوعة أو التكلف كالتعلم والتشجع من فعلى علم، وشجع اللازمين، والتصوف ما هو الفعل المشتق منه ؟ هل فعله صفا يصفو، أو صف يصف، والجواب لا، فلم يرد من صفا التصوف ولا من صف كذلك، ولذا التصوف بدعة في شكلها وموضوعها، يأباها الكتاب والسنة، ولغتها معا3.

وفي سياق الرد وتبيان حقيقة التصوف نورد قول الإمام **القشيري**: (كان الناس بعد النبي يسمون بالصحابة، إذ لا فضيلة فوقها، ثم من أدرك الصحابة يسمون تابعين، ثم أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فسمي خواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين، الزهاد والعباد.

ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق، فانفرد خواص أهل السنة، المراعون أنفسهم مع الله، الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف.

قال: واشتهر هذا الاسم لهم قبل المائتين من الهجرة، وقال: كان أحمد بن حنبل يقول لأبي حمزة البزار البغدادي: ماذا تقول في هذه الفلسفة يا صوفي، وكان فقيها عالما بالقراءات، ثم اختلف الناس في أن هذه نسبة إلى ماذا ؟ فقال بعضهم: نسبة إلى الصفاء، لما صفت قلوبهم، وتنقت من الكدورات جعلت لهم هذه النسبة4.

---

1 رواه أبو داود والترمذي، وهو حديث صحيح.

2 رواه مسلم.

3 أبو بكر جابر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، دار البصيرة، الإسكندرية، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، د ط، 1990، ص 16/15/14.

4 كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوري المصري، الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، تحقيق وتقديم وتعليق: محمد عيسى صالحية، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1988، ص 38/37.

الفرع الثاني: التصوف ومخالفة الشريعة

من أبرز الدارسين الذين نجدهم يسرون على أن التصوف يعد مخالفة صريحة لشرعة الإسلام، ويعده أيضا بدعة في ملة الإسلام نجد إحسان إلهي ظهير في كتابه " دراسات في التصوف " حيث عنون الباب الثالث بعنوان: " التصوف ومخالفة الشريعة "، وعنون الباب الرابع من كتابه بعنوان " التصوف – بدعه وخصائصه " إذ يقول: (إن المنصف لما يتعلق في كتب المتصوفة ورسائلهم وصحفهم، في سيرهم وسلوكهم، أحوالهم وطبقاتهم، أسسهم وقواعدهم، ليرى أن أمرهم مبني: إما على التطرف أو مخالفة الشريعة، أو مكون من البدع والزيغ والضلال.. ونورد ههنا ما ابتدعوه واستحدثوه باسم الدين في التصوف، ولو أن كل هذا من حيث المبدأ والمآل من قسم واحد لأن التطرف أيضا بدعة في الدين، ومخالفات الشرع منهي عنها في الإسلام، ولكننا خصصنا في هذا الباب لبيان أشياء اختص بها المتصوفة، وجعلوها من ميزاتهم وشعاراتهم، بل إنها من لوازمهم وخصائصهم، قلما يتصور صوفي ولا يتصور هذه الأشياء معه أو يتصور هذه الأشياء ولا يحضر في الذهن التصوف والمتصوفة من قديم الزمان وحديثه باختلاف الكم والكيف مثل الرقص والغناء، والوجد والتواجد، والأناشيد والواجيد، والقصائد والترانيم، والأذكار والأوراد بألفاظها المخصوصة وأدابها الخاصة، وتصور الشيخ، وصحبه المريد، والخلوات والخانقاوات وآداب المكوث فيها، وغيرها من الأمور التي خصصوا لبيانها أبوابا وفصولا في كتبهم، ويلاحظ الباحث أن للقوم نظاما خاصا، ومميزا عن نظام الإسلام، وآدابا ومناهج لم يرد ذكرها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تعرف في القرون الأولى المشهود لها بالخير، بل أخذوها من غير المسلمين، والبعيدين عن الإسلام وعقائده، أفكاره ومعتقداته، بل هي تخالف في شكلها وصورتها، وبحروفها وألفاظها، وكلماتها ومنطوقها، ومعانيها ومدلولاتها، واسمها ورسمها، وسيرتها وتشكيلها، وأدائها وأسلوبها من الإسلام الساذج، غير المتكلف والمصطنع، دين الفطرة ودين البساطة، فأين هو وتعاليمه من الرقص والتمايل وجدا وطربا، والذكر وحلقاته، والحركات على التصفيق والبكاء والتصدية، وضربات الذكر، وتتحريك الرأس والجسم آليا وبهلوانيا، والجلوس بين يدي الشيخ كالجلسة بين يدي الرب الخشوع والخضوع، وعدم التنفس أمامه والسؤال منه والاعتراض عليه وعلى كل ما يفعله ويأمر به، والمكوث في سراديب الأرض واللبث في كهوف الجبال وغيرانها، وغير ذلك من الخرافات والخزعبلات)[1].

إذ يرى أن الإسلام على خلاف ما هو عليه التصوف (فالإسلام دين يشمل الدنيا والآخرة،

1 إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، العربية السعودية، ط1، 2005م، ص 159/158.

ويعامل الإنسان كما خلق في أحسن تقويم، مكرم ومعظم، وله حقوق، وعليه فرائض، وله إخوان وخلان، وأهل وعيال، ووالد وما ولد، وأقارب وجيران، وأسرة وبيئة يعيش فيها ومجتمع يحيطه، فلا يستغني عنهم ولا يستغني عنه، وعلى ذلك يقال: إن الإنسان مدني الطبع، وهو كذلك، ولذلك بعث الله النبيين وأرسل الرسل ليهدوه ويسلكوا به المؤمنين المتقين والمعتدلين يراعون الذمم، ويصلون الرحم، ويوفون بالعهود، ويرحمون الصغير، ويوقرون الكبير، ويداوون المريض، ويواسون الجريح، ويجبرون المكسور، ويقرون الضيف، ويراعون اليتيم، ويعطون المسكين، ويحافظون على ما أمر الله بحفظه، ويراعون الله فيما أمرهم برعايته، ويخافونه ويتقونه حق تقاته، ولكن التصوف ليس هكذا، فهو انزواء وحشة وتنافر من الناس واعتزال عنهم: ثم رقص وسماع، وأكل وشرب على الاسجداء، ونوم في الروابط، لا الكسب ولا الطلب، ولا الزواج ولا المعاشرة، ومخالفة فطرة الله التي فطر الناس عليها.. فمن بدعهم ما يسمونه سماعا، وهو سماع أناشيد وأبيات غزلية فيها ذكر الهجر والوصل، والقرب والبعد، والعذاب والملامة، والعذل واللوم، والقطيعة والشوق، والحب والعشق، والحبيب والمعشوق، والقدود والخدود، والحسن والجمال، والغنج والدلال، والخمر والكئوس، والساقي والسيقان، مع الآلات وبدونها مكاء وتصدية، دون سماع القرآن وأحاديث سيد الأنام)1 وجلي حجم الادعاءات المغلوطة فيما سبق ذكره، وجلي ما في هذا الكلام من عورات مكشوفة، ونتساءل هنا، كيف يعقل أن يكون المتصوفة أبعد الناس عن سماع القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ؟.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " الإبراهيمي نموذجا ":

ومن بين النماذج التي اشتبه عليها أمر التصوف نجد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (ت 1965م) – من مؤسسي " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " والرئيس الثاني لهذه الجمعية – إذ يقول: (فالتصوف شيء غامض يسعى إليه بوسائل غامضة، ويسهل على كل واحد ادعاؤه والتلبيس به، فإن خاف مدعيه الفضيحة لم يعدم سلاحا من الجمجمة والرمز وتسمية الأشياء بغير أسمائها، ثم الفزع إلى لزوم السمت والتدرع بالصمت والإعراض عن الخلق والانقطاع والهروب منهم ما دام هذا كله معدودا في التصوف وداخلا في حدوده)2.

ويقول أيضا: (أما المذاهب الصوفية فهي أبعد أثرا في تشويه حقائق الدين وأشد منافاة لروحه وأقوى تأثيرا في تفريق كلمة المسلمين، لأنها ترجع في أصلها إلى نزعة غامضة مبهمة تسترت في أول

1 المرجع نفسه، ص 160/159.

2 محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية مقتطفات من تصدير نشرة " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "، مكتبة الرضوان، الناشر مكتبة الغرباء الأثرية، باب الوادي، الجزائر، تقديم: مشهور حسن سلمان، ط1، 2008، ص 29.

أمرها بالانقطاع للعبادة والتجرد من الأسباب والعزوف عن اللذات الجسدية والتظاهر بالخصوصية، وكانت تأخذ منتحليها بشيء من مظاهر المسيحية – وهو التسليم المطلق – وشيء من مظاهر البرهمية وهو تعذيب الجسد وإرهاقه توصلا إلى كمال الروح زعموا، وأين هذا كله من روح الإسلام وهدي الإسلام ؟ ولم يتبين الناس خيرها من شرها لما كان يسودها من التكتم والاحتراس حتى جرت على ألسنة بعض منتحليها كلمات كانت ترجمة لبعض ما تحمل من أوزار، فراب أئمة الدين أمرها، وانفتحت أعين حراس الشريعة فوقفوا لها بالمرصاد، فلاذ منتحلوها بفروق مبتدعة يريدون أن يثبتوا بها خصوصيتهم، كالظاهر والباطن والحقيقة والشريعة إلى ألفاظ أخرى من هذا القبيل لا تخرج في فحواها عن جعل الدين الواحد دينين، وما كاد السيف الذي سل على الحلاج وصرعى مخرقته يغمد، ويوقن القوم أنهم أصبحوا بمنجاة من فتكاته حتى أجمعوا أمرهم وأبدوا للناس بعض مكنونات أسرارهم ملفوفة في أغشية جميلة من الألفاظ، ومحفوفة بظواهر مقبولة من الأعمال، وحاولوا أن يصلوا نحلتهم تلك، بعجرها وبجرها، بصاحب الشريعة أو بأحد أصحابه، فلم يفلحوا وافتضحت حيلتهم وانقطع الحبل من أيديهم، فرجعوا إلى ادعاء الكشف وخرق الحجب والاطلاع على ما وراء الحس إلى آخر تلك " القائمة " التي لا زلت تسمعها حتى من أفواه العامة وتجدها في معتقداتهم، ثم أمر.. هذه الصوفية وتقوت على الزمن والتقت مع الباطنية وغيرها من الجمعيات التي تبني أمرها على التستر على طبيعة دساسة وعرق نزاع ومزاج متحد، واختلطت تعاليم هذه بتعاليم تلك وتشابهت الاصطلاحات وابتلي المسلمون من هذه النحل بالداء العضال.. وقد اتسع صدرها بعد أن تعددت مذاهبها، واختلفت مشاربها في القرون الوسطى والأخيرة من تاريخ الإسلام، فانضوى تحت لوائها كل ذي دخيلة سيئة وعقيدة رديئة، حتى أصبح التصوف حيلة كل محتال وحيلة كل كذاب، وإن هذه الطرق المنتشرة بين المسلمين، والتي تربو على المذاهب الفقهية عدا، كلها – على ما بينها من تباين الأوضاع واختلاف الطباع وتنافر الأتباع – تنتسب إلى هذا التصوف، ولكنه انتساب صوري اسمي، وشتان ما بين الفرع وأصله، فمبنى التصوف في أغلب مظاهره – كما أسلفنا – على الانقطاع والزهد في الدنيا والتجرد والتقشف ورياضة النفس على المشاق وفطمها عن الشهوات، ومبنى هذه الطرق في ظاهر أمرها وباطنه على حيوانية شرهة لا تقف عند حد في التمتع بالشهوات، والانهماك في اللذائذ، واحتجان الأموال من طريق الحرام والحلال، واصطياد الجاه، وحب الظهور، والاختلاط بأهل الجاه، وإيثارهم والتزلف إليهم..)[1].

وهنا تتجلى مشكلة المدرسة الإصلاحية والتي تمثلها الجمعية، إذ تعاني من مشكلة منهجية، فلنسلم جدلا أن الطرقية كانت سببا في تخلف الأمة وما تعانيه من وهن، فما الذي قدمته جمعية العلماء

1 المرجع السابق، ص 34/33.

المسلمين الجزائريين طوال هذه المدة التي تناهز القرن؟ فهي لم تقدم شيئا سوى هدم صروح العلم بالزاويا الجزائرية، وكان نتيجة ذلك تزهيد الناس في هويتهم، وتدينهم الموروث والراسخ منذ أربعة عشر قرنا، حيث أصبح حالنا كحال المنبت لا إصلاح تحقق ولا إرثا حافظنا عليه.

ولا يتوقف **الإبراهيمي** عند هذا الحد من التحامل بل يصل إلى حد اتهام المتصوفة بتزهيد الناس في القرآن الكريم فيقول: (فهي التي – أي الطرق الصوفية – غشت المسلمين لأول ما طاف بهم طائفها، وغشيتهم بهذه الروح الخبيثة، روح التزهيد في القرآن، وكيف لا يزهد الناس في القرآن، وكل ما فيه من فوائد وخيرات وبركات قد انتزعتها منه الطرق وجردته منها ووضعته في أورادها المبتدعة، ورسومها المخترعة، ونحلته شيوخها ومقدميها وصعاليكها ؟) ولا بد هنا من التكلم بوضوح إذا أردنا خدمة هذا الوطن والإسلام فيه، **فالإبراهيمي** يدعي أن الطرق هي التي أبعدت الناس عن القرآن، في حين نجد في واقعنا أن القلاع التي كانت فيها الجمعية بقوة لا تكاد تجد فيها حافظا لكتاب الله، أما الأماكن التي كانت تعج بالزوايا ففي كل الأسر دون استثناء حفاظ كتاب الله، كيف لا ؟ وفي عرف الطرق الصوفية لا تعتبر الزاوية زاوية إذا لم يتل فيها كتاب الله في كل الأوقات.

ولكي تتضح حقيقة عدم اطلاع **الإبراهيمي** على أوضاع الزوايا وأدوارها، فلننظر لاتهامه لواحد من كبار الأولياء والمجددين في العالم الإسلامي، بل تعدى أثره لعالم الغرب إذ نجده يقول: (وقد كان قدماؤهم يتخذون من مراحل التربية مدارج للوصول إلى معرفة الله فيما يزعمون وفي ذلك تطويل للمسافة وإشعار بأن المطلوب شاق، حتى جاء الدجال " **ابن عليوة** " وأتباعه بالخاطئة فأدخلوا تنقيحات على الطريق ورسوما أملاها عليهم الشيطان، وكان من تنقيحاتهم المضحكة تحديد مراحل التربية " الخلوية " لمعرفة الله بثلاثة أيام " فقط لا غير " تتبعها أشهر وأعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الشجر، ورعي البقر، وحصاد الزرع، وبناء الدور مع الاعتراف باسم الفقير والاقتصار على أكل الشعير)،كل من ينظر في كلام الإبراهيمي يقف محتارا كل الحيرة، فأثر هذا الرجل الذي يصفه بالدجل – **أحمد بن مصطفى العلاوي** – في كل العالم أشهر من نار على علم، كيف لا وقد ترك من التراث العلمي في شتى العلوم المنقول منها والمعقول الشيء الكثير، وهنا ننوه بأن هذه المدرسة قد استعملت الوسائل نفسها التي استعملتها غالب الزوايا في مداراة فرنسا الاستعمارية، ومن ذلك نجد شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (لسنا أعداء لفرنسا ولا نحن نعمل ضد مصلحتها، بل نعينها على تمدين الشعب وتهذيب الأمة، ونساعدها)1.

1 شعار مجلة " السنة النبوية المحمدية " لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وللتوسع في معرفة مواقف الجمعية من فرنسا ينظر:

ويكمل الإبراهيمي: (لئن سألتهم لم نزلتم مدة الخلوة إلى ثلاثة أيام ؟ ليقولن: فعلنا ذلك مراعاة لروح العصر الذي يتطلب السرعة في كل شيء، فقل لهم: قاتلكم الله ولم نقصتم مدة الخلوة، ولم تنقصوا مدة الخدمة أيها الدجاجلة ؟) وهذا اعتراض من الإبراهيمي بعيد كل البعد عن منطق تتبع الحقائق، وتعليل المواقف، فقد صارت الغاية إثبات التهمة للصوفي أينما كان، ولو كان ذلك على حساب العلم والمنطق، وهذه من الشيخ **الإبراهيمي** حيدة جلية.

ويواصل **الإبراهيمي** قائلا: (وقد قرأنا كثيرا من رسائلهم التي يتراسلون بها، فإذا هم ملتزمون لصفة واحدة يصف بها بعضهم بعضا وهي صفة " العارف بالله " وأكثر الطرقيين سخاء في إعطاء هذا اللقب هم العليوية،.. فقد عرفنا كثيرا من هؤلاء " العارفين بالله " فلم نعرفهم إلا حمرا ناهقة)1. وهنا أتساءل، هل كانت معرفة **الإبراهيمي** بالإخوان العلاويين مبنية على نفس الأسس التي عرف بها الشيخ **أحمد بن مصطفى العلاوي** ؟ ولا أظنها إلا هي، وبالتالي فإن **الإبراهيمي** لا يعرف من العارفين أحدا، فما دام العلاوي الشيخ المجدد يعتبر دجالا فما بال من هم دونه من أتباعه، ولعل الدارس لتاريخ جمعية العلماء الجزائريين ليلحظ الحكمة البالغة التي كان يتمتع بها **الشيخ عبد الحميد (ت 1940 م)** المؤسس لهذه الجمعية، إذ أنه كان صاحب نظرة شاملة لا تقصي أحدا من المحسوبين على العلم، لذلك فإنه كان باستطاعته الذهاب بجمعية العلماء بعيدا في سبيل تحقيق التنوير الحقيقي الذي ينقص شيوخ الزوايا، وهذه الرؤيا نجدها غائبة تماما في تفكير **الشيخ الإبراهيمي** و**العربي التبسي** على وجه الخصوص.

ولا تزال جمعية العلماء المسلمين مبادرة نبيلة من ثلة من أصحاب العلم أرادت خدمة العلم في ربوع هذا البلد، ولكنها ولعدم استعمالها منهجا علميا، لم تستطع التعامل مع قلاع العلم حينذاك وهي الزوايا، هذا بغض النظر عن أن مبادئ قيام هذه الجمعية لم تكن وليدة هذه البيئة، فمبادئها واستراتيجية عملها متشابهة إلى حد كبير مع بعض الحركاة الإخوانية في العالم، وجلي ما يبدو من تأثر ببعض زعماء الإخوان، وقد يكون ذلك بسبب تشبع شيوخ الجمعية بهذا الفكر من خلال صداقاتهم مع بعض دعاة الحركة الإخوانية مصر، بالإضافة إلى أن نقطة الإعلان عن نشوء هذه الجمعية كانت في بيئة غير الجزائر، إذ كان ذلك في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، ولعل الفرص متاحة اليوم أكثر من أي وقت مضى في تصحيح هه الجمعية وذلك بإيجاد علاقات جديدة بين الزوايا الجزائرية والمدارس الإصلاحية،

عبد الحميد بن باديس، نصوص مختارة، جمع وتعليق الدكتور محمد القورصو، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهارANEP، طبعة 2005.

1 الإبراهيمي، مرجع سابق، ص39/38/37.

وهذا يحتاج إلى فئة من العلماء العاملين الذين يستطيعون تجاوز الخلافات التاريخية الوهمية بين هذين المدرستين العظيمتين، فكلاهما كان يحمل هم الجزائر وشعبها.

وقد شغلت قضية السبق والمبادرة بالدعوة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اهتمامات الطبقة المثقفة وأذكت احتدام النقاش حول هذه المسألة فئة واسعة من المؤيدين للرأي القائل بأن الفكرة كانت أول ما صدرت من قبل الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أبلغها للشيخ البشير الإبراهيمي في سطيف سنة 1924 وأخبره بأنه عازم على تأسيس جمعية للعلماء تجمع شملهم وتنظم نشاطهم[1]، ويأتي من الشيخ **مولود الحافظي** رد سريع لا يتمحور حول الخطوات العملية والأرضية الأساسية للخطوات الموصلة إلى تحقيق هذه الغاية النبيلة حين قدم ذلك في مقال نشر في الشهاب عدد 9 بتاريخ: 1926/01/17، وكان سبب احتدام النقاش في السبعينات هو صدور مذكرات الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي نسب الفكرة إلى نفسه، مما أثار حفيظة رجال جمعية العلماء فانعقدت ندوة أو أكثر في هذا الموضوع بالمركز الثقافي الإسلامي بالجزائر حضرها إلى جانب الأستاذ أحمد توفيق المدني جمع غفير من رجال جمعية العلماء، غير أن الذي يذهب إليه الدكتور **محمد ناصر** يفيد أن الدعوة في أول أمرها قد جاءت من قبل جريدة لسان الدين (لتشكيل حزب ديني يتخلل فروعه سائر القطر يتألف من رجال مخلصين في أعمالهم صادقين في قلوبهم يبذلون في سبيل تأييد مشروعهم النفس والنفيس خطتهم في ذلك المناضلة عن الدين والمحافظة على المروءة)[2]، وهذا المقال قد جرت عنه المعقبة إذ لم تطق السلطات الاستعمارية صبرا بهذه الدعوة الجريئة منها فعطلتها، ويذكر الدكتور محمد ناصر بأن دعوة لسان الدين لعقد هذه الجمعية الدينية يمثل هذه الكيفية إرهاص لظهور فكرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931[3].

الفرع الثالث: التصوف مؤامرة على الإسلام

كثيرا ما يركز المناوءون للتصوف على ما يسمعونه من دعم الدول الكبرى في الغرب لمناهج التصوف في العالم الإسلامي، بل والدعوة لتشجيع الطرق الصوفية في العالم العربي والعالم أجمع، والتمكين لشيوخ الطرق في الحياة السياسية والاجتماعية العامة، وسنورد هنا بعض أهم الأحداث التي جعلها بعض الدارسين السطحيين للفكر الإسلامي دليلا على عمالة الصوفية وانسحابهم من واقع

1 جريدة الشهاب، العدد: 3، نوفمبر 1925.

2 مقال بعنوان: مسلمو الجزائر وحالتهم الدينية، جريدة لسان الدين، العدد: 12، 2 شعبان 1341 الموافق لـ 20 مارس 1923.

3 محمد الصالح آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية من 1920 إلى 1955، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 2001.

حياتهم العامة وحال أمتهم وتبعيتهم للغرب، وفي هذا السياق يقول الدكتور **عبد الوهاب المسيري** – في مقال له على موقع الجزيرة –: (مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصوفية، ومن أكثر الكتب انتشارا الآن في الغرب مؤلفات محيي ابن عربي وأشعار **جلال الدين الرومي**، وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية، فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي..)، وكلام المسيري هنا فيه الكثير من المغالطات ونتساءل ما الذي عساه يقدمه غير المتصوف في سبيل مواجهة الاستعمار الغربي ؟

ويؤكد المستشرق الألماني " **شتيفان رايشموت** " أستاذ علم الإسلاميات وتاريخ الإسلام بجامعة بوخوم، أن (مستقبل العالم الإسلامي سيكون حتما للتيار الصوفي)، ومن الجدير بالملاحظة أنه في عام 2001م، أطلقت مجموعة من الخطابات السياسية حول الإسلام الذي يريده الغربيون، فقد شرح رئيس الوزراء البريطاني المقصود بهذا في خطاب موجه للزعماء والمسئولين في الدول الإسلامية، دعاهم فيه إلى أن يعملوا جاهدين على أن يهيمن الإسلام (العادي أو الرئيس) (استخدم لفظ main stream) بحيث يخضع له جميع المسلمين في شتى أنحاء العالم.

والفكرة ذاتها عبر عنها وزير الخارجية الأمريكي السابق " **كولين باول** " في شهر نوفمبر 2001م، في خطاب ألقاه في جامعة " لويسفيل " بولاية كنتاكي، حيث أشار إلى تبلور رؤية أمريكية للمجتمعات الإسلامية تقوم على أساس من قيم معينة تمس التكوين الثقافي والسياسي والعقدي لتلك المجتمعات، وفي يناير عام 2001م، أقيم المؤتمر العالمي الأول لدراسات الشرق الأوسط والذي عقد بمدينة ماينز الألمانية، وقد كان برنامج المؤتمر مكتظا بالبحوث والدراسات المتنوعة، أما ما يتعلق بالإسلام والحضارة الإسلامية فثمة بحثان هما: الإسلام الحديث والطريقة النقشبندية المجددية الصوفية، والأولياء الصوفيون وغير الصوفيين – وقد أقيم هذا المؤتمر بجامعة يوهانسن جوتنبرج، كما أن المبادرة التي عقدت جاءت من رابطة دراسات الشرق الأوسط في أمريكا الشمالية، وتقرر أن يعقد تحت الإشراف المشترك لهذه الرابطة والرابطة الأوروبية لدراسات الشرق الأوسط، والروابط الفرنسية والألمانية والبريطانية والإيطالية لدراسات العالمين العربي والإسلامي، وقد حضره ألفا باحث وعالم ومفكر، كما شارك في المؤتمر قرابة الألف من السياسيين الرسميين وغير الرسميين –[1].

1 محمد بن عبد الله المقدي، التصوف بين التمكين والمواجهة، د ط، د ت، د د، ص 13/12.

تقرير راند:

في صيف 2002م، أصدرت مؤسسة " راند "[1] البحثية مقالة[2] عكست فيها رؤيتها للفروقات والتباينات بين الفئات والجماعات الإسلامية المختلفة في العالمين العربي والإسلامي، وسوف نورد منه بعض الفقرات التي تبين مدى اهتمام الغرب بالصوفية أو ما يسمونه بالإسلام التقليدي، يقول التقرير: (ومن الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية بل العالم الصناعي المتمدن بأسره يفضلون عالما إسلاميا يتماشى مع بقية النظام، أي عالما إسلاميا يتسم: بالديمقراطية، بالقابلية للنمو، بالاستقرار السياسي، بالتقدم الاجتماعي، بالتبعية لقوانين ومعايير السلوك الدولي، هذا بالإضافة إلى أن هذا العالم الإسلامي " المفضل " ملزم بالمساهمة في منع أي " صدام للحضارات "، بكل صوره المتاحة والممكنة الممتدة من القلاقل المحلية المتصاعدة بسبب الصراعات بين الأقليات المسلمة والمواطنين (الأصليين) في الغرب إلى العمليات العسكرية المتصاعدة عبر العالم الإسلامي، وما ينتج عنها من إرهاب وعدم استقرار.. ومن ثم.. فإنه من الحكمة والاتزان تشجيع تلك العناصر – المتواجدة في داخل الخلطة الإسلامية – التي تظهر أكبر قدر ممكن من التعاطف والانسجام تجاه السلام العالمي، والمجتمع الدولي والديمقراطية والحداثة، إلا أن الأمر لا يبدو بهذه السهولة، فتعريف تلك العناصر وإيجاد الأسلوب الأمثل والأنسب للتعامل معها ليس بالأمر الهين..

ثم رصد التقرير أربعة عناصر متواجدة في الساحة الإسلامية وهي:

-الأصوليون الذين يرفضون القيم الديمقراطية والثقافة الغربية الراهنة، فهم يبغون دولة سلطوية متزمتة، تطبق رؤيتهم المتشددة للقانون الإسلامي، إلا أنهم لا يمانعون استخدام التكنولوجيا الحديثة للوصول إلى هدفهم..

-التقليديون الذين يسعون إلى خلق مجتمع محافظ، مع الابتعاد قدر الإمكان عن كل ما يمت بالتغيير والتجديد والحداثة..

-الحداثيون (أهل الحداثة) الذين يبغون عالما إسلاميا مندمجا في داخل الحداثة العالمية، مما يستلزم – من وجهة نظرهم – تحديث الإسلام وتغييره ليتماشى ويتواكب مع ظروف العصر..

---

1 هي مؤسسة غير ربحية ترتكز على إيجاد حلول للتحديات التي تواجه القطاعات العامة والخاصة في العالم.

2 التقرير من صياغة (شارل بينارد) وهي زوجة (زلماي خليل زاده) الذي يشغل منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، وكبير مستشاري الأمن القومي المسئول عن الخليج العربي وجنوب شرق آسيا، وقد عين سفيرا للولايات المتحدة لدى العراق، ويعتبر خليل زاده الأمريكي من أصل أفغاني الوحيد الذي ينتمي إلى المحافظين الجدد ويعرف بآرائه المتطرفة.

-العلمانيون الذين يريدون عالما إسلاميا مختزلا للدين في الدوائر الخاصة على غرار الديمقراطيات الغربية، حيث الفصل بين الدولة والكنيسة..

-ثم يوصي التقرير بوصايا متعددة للتعامل مع هذه التصنيفات ومن أهم الوصايا:

-تأييد الاتجاه الصوفي ونشره والدعوة إليه..

-يقول الأستاذ **فهمي هويدي** معلقا على التقرير حول هذه النقطة: (وفي حين تطرح العلمنة حلا لمشكلة الأمة الإسلامية، فإن التقرير لا يخفي دعوة صريحة إلى تشجيع التصوف، وهو ما يعد نوعا من الدعوة إلى التعلق بما يمكن أن نسميه بـ: (الإسلام الانسحابي) الذي يقلص التدين في دائرة " الروحية " لا يتجاوز حدودها، فهو يتحدث صراحة عن أهمية " تعزيز الصوفية " و" تشجيع البلدان ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على ذلك الجانب من تاريخها، وعلى إدخاله ضمن مناهجها الدراسية " بل ويلح على ذلك في عبارة أقرب إلى الأمر تقول: لا بد من توجيه قدر أكبر من الانتباه إلى الإسلام الصوفي 1.

-تعليق ورد:

-إن الباحث المتجرد يقر بأن الغرب يشجع ويسعى للتمكين للتيار الصوفي في العالم الإسلامي وفي غيره من أماكن وجود الإسلام والأقليات المسلمة، ولا يعني ذلك أبدا عمالة هذا التيار أو تبعيته للغرب وتوجيه هذا الأخير له، بل بالعكس يعد هذا مكسبا لهذا التيار الذي يثبت يوما بعد يوم بأنه الأصلح على الإطلاق لحمل راية الإسلام في العالم أجمع وما ذلك إلا لأن دعاته ليس لهم من هدف سوى هداية الناس إلى الخير وليس لهم في أبجدياتهم أي ميل للسيف كما هو في كثير من الأدبيات الحركية الإسلامية.

وقد أورد أحد الدارسين لمعالم المشروع الصوفي أصناف المنتقدين للتصوف وهم كالآتي:

أولا: الفلاسفة وأصحاب المذاهب العقلية

فقد عابوا طريقته إلى المعرفة وأنكروا أن يكون التفرغ والتجرد من تبعات الحياة سبيلا إلى المعرفة، بل سبيل المعرفة عندهم هو تغليب قوى العقل وإرادته، كما وصفوا الانتصار العقلي على الحواس بأنه أرفع مراتب السعادة " كما يقول **ابن رشد** ".

وهم بذلك يؤيدون الصوفية أكثر مما ينتقدونها لأن في سعيهم إلى تغليب العقل نزوعا إلى الصوفية

1 محمد بن عبد الله المقدي، مرجع سابق، ص 15/14/13.

أكثر مما ينتقدونها لأن في سعيهم إلى تغليب العقل نزوعا إلى الصوفية وإن اختلف الوضع فنادوا بالعقل ونادى المتصوفون بالروح، والعقل عند الصوفية واحد من قوى الروح، فالخلاف لفظي لا غير.

ثانيا: علماء الاجتماع ورجال الأخلاق

تهكموا بالصوفية وأساليبها، لأنها في نظرهم لا تصلح للحياة العلمية، ولا يقوم بها نظام المجتمع، وتلك على علاتها شهادة للتصوف لا عليه، فهي تدلنا ضمنا على أن الصوفية لا ينشدون مظهرا في الحياة ولا يلتمسون مغنما من مغانمها، وإنما ينشدون طهرا وقربا من الله وفوزا برضوانه.

بل إن التصوف الإسلامي جعل العبادة أصلا والمعرفة فرعا، وعندما يريد العبد وجه الله بعبادته فهو يؤدي رسالته العملية في الحياة على أحسن الوجوه فيستقيم نظام المجتمع، ويمضي باسم الله في سبيل الترقي الصحيح لإيجاد المجتمع الصحيح، الذي هو شريعة الله ودستورها القرآن والسنة.

والصوفيون لا يقولون إن طريقهم للناس جميعا لأن المثالية لم تكن يوما من الأيام مباحة لكل من يخطو بقدميه على الكوكب الأرضي، خصوصا المتمسلفة الذين جفت في بواطنهم منابع الوجدان والعاطفة والذوق الإنساني الرفيع.

ثالثا: الفقهاء وعلماء الكلام والسلفية

فقد هاجموا المتصوفة هجوما عنيفا، بل غالوا في هجومهم حتى رموهم بالمروق ومفارقة الشريعة ظلما وافتراء، اعدم تعمقهم في البحث وطلب الحقيقة، وإغفالهم الجانب الأبيض المشرف الذي هو التصوف الصحيح، واكتفائهم بالجانب الأسود الذي شاب التصوف واندس فيه.

زهنا يبدو موقفا دقيقا، ففريق من المنتسبين إلى التصوف وإن كانوا قلة بالغة يتبرأ منهم بقية الصوفيين قد غالوا وأفرطوا كجماعة الحلوليين والاتحاديين والمخرفين والقائلين بوحدة الوجود الكفرية وفريق آخر عبث بظاهر الشرع وأفرط في السبحات والوثبات والاستغراقات، حتى تحلل من الفرائض والآداب المحمدية الصحيحة1.

ولكن التصوف الصادق لا يعترف بهؤلاء ولا هؤلاء، بل يبرأ منهم ويهاجمهم بأشد من هجوم الفقهاء أنفسهم، ما لم يحتمل كلامهم التأويل ومسايرة الشريعة فيتوقفون في الحكم عليهم.

---

1 إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي، المختار من كتاب المرجع، معالم المشروع والممنوع من ممارسات التصوف المعاصر، مؤسسة إحياء التراث الصوفي، تقديم وتعليق: محمد زكي إبراهيم، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط5، 2005، ص 95/94.

>المطلب الثاني: مصادر التصوف في الإسلام

يذهب أغلب الدارسين للتصوف الإسلامي وتاريخ تطوره إلى أن الباحثين في الموضوع انقسموا إلى فريقين (فريق يرى أن نشأة التصوف الإسلامي ترجع إلى عناصر أجنبية وفريق يرى أن نشأة التصوف الإسلامي ترجع إلى عناصر إسلامية، وهذا لا يمنع من أن نادى فريق بالجمع بين العاملين: الإسلامي والأجنبي)، وبما أننا تناولنا فيما سبق المصادر التي أثرت في التصوف الإسلامي فإننا في هذا المطلب نقتصر على المصادر الداخلية الأصلية (وعلينا الآن أن نبين نشأة التصوف الإسلامي نفسه بناء على المصادر الإسلامية ذاتها، وهذا المصدر الإسلامي يتمثل كما سنرى في القرآن وفي الأحاديث النبوية، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يتمثل أخيرا في أقوال الصحابة والتابعين، على أننا قبل أن نخوض في بيان أمر هذه المصادر في نشأة التصوف الإسلامي نشير إلى صعوبة بالغة لفتت أنظار نفر من الباحثين ألا وهي أن الإسلام نفسه قد أتى بالنصوص الواضحة التي توضح بما لا يدع مجالا للشك التوحيد الإلهي في صورة منزهة محددة، إذ أن ثمة آيات كثيرة كلها تنص على أن الله ليس كمثله شيء وأنه سبحانه لا تدركه الأبصار وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ثم إن أقوال الرسول جاءت فيما بعد مؤيدة لهذه الآيات حيث ذكر أن كل ما خطر ببالنا فإن الله سبحانه خلاف ذلك، وهذا معناه بعبارات بسيطة وموجزة أن الله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء، وأنه منزه عن الصاحبة والولد وأنه بلا كم ولا كيف، وأنه لا في آن ولا في زمان)[1].

الفرع الأول: القرآن الكريم

يرسم الصوفية طريقا يسلكه كل مريد وتابع لكي يصل إلى الله، وهذا الطريق الصوفي يعتمد كما سبق أن ذكرنا على مجاهدة النفس وتطهيرها من شوائب البدن وبعدها عن هموم الدنيا وآلامها وعقد الآمال عليها، وهذا الطريق الصوفي لا بد وأن يمر بمراحل متعددة قبل أن يصل إلى غايته، وهذه المراحل تتمثل عند المتصوفين فيما يعرف بالمقامات والأحوال، ذلك أن المعرفة بالنفس الإنسانية وبأحوالها وبأخلاقها وتطهيرها إنما يقوم على العادة والرياضة والمجاهدة وكا مجاهدة وعبادة ورياضة ينشأ عنها حال، فإن استقر صار مقاما وإلا فهو حال والمقام عند الصوفية هو درجة أو رتبة يكون فيها العبد بين يدي الله عز وجل بشأن ما يقوم، في داخله هو من رياضة ومجاهدة وعبادة وانقطاع إلى الله، وقد ذكر الله في القرآن الكريم: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[2] وكذلك أيضا قوله سبحانه: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ

---

1 بدير عون، مرجع سابق، ص 78/ 79.

2 سورة: إبراهيم، الآية: 14.

مَّعْلُومٌ ﴾[1]

أما الحال فهو ما يحل في القلب من صفاء الأذكار بدون مجاهدة أو تفكر ولذلك قيل إن الحال هي الذكر الخفي، ولهذا فإن الحال كما يقول أحد الصوفية " ليس من طريق المجاهدات والعبادات والرياضات، بل هي تهجم على القلب، كما أنها تزول عنه فجأة، أو هي كما ذهب **القشيري**، معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب ولا اكتساب كالطرب والحزن والقبض والشوق والانزعاج والهيبة..إلخ، ولهذا فإن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من غير الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود، وصاحب المقام ممكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله "، وبعبارة أخرى فإن المقامات يصل إليها الإنسان بمجهوده فهي لهذا مكاسب، أما الأحوال فتهجم على القلب ولذلك فهي مواهب تأتي من دون قصد من الإنسان، ولهذا نجد أن المقام صفة تتصف بالثبات، أما الأحوال فليست كذلك إذ قد تعرض للإنسان وقد تزول عنه لأن هذا حالها.. ولا بد للسالك الصوفي من أن يسير بنظام من مقام إلى مقام، وللصوفية آراء متنوعة في ترتيب المقامات وأعلى هذه المقامات وهو الغاية القصوى.. ومعلوم أن أصل كل سلوك صوفي هو الإيمان والإخلاص ثم الطاعة التي تثمر ثمرتها. والمقامات بحسب آراء الصوفية يأتي بعضها بعد بعض ولا بد في كل مقام أن يكون مبنيا على ما قبله مترتبا عليه بحيث إذا حصل خلل في مقام رجع الإنسان إلى ما قبله وتركه، والسالك يحتاج إلى تخليص العمل من الشوائب والوصول إلى ثمرة العمل وتخليصه من الشوائب يكون بتخليص النية والقصد وتبرئة ذلك كله من الأمور الدنيوية وجعله خالصا لله، وقد ذكر الصوفية أن من أهم المقامات التوبة والزهد والورع والصبر والفقر والشكر والخوف والرجاء والتوكل، أما الأحوال فهي كثيرة منها المحبة والشوق والأنس والهيبة والقرب والحياء والصحو والسكر والفناء والبقاء2.

والصوفية يذهبون إلى هذا الطريق الذي يذهبون إلى أن هذا الطريق الذي يبدأ بمجاهدة النفس، والتغلب على شهوات البدن والوصول إلى الله ابتداء من المقامات والأحوال حتى نهاية الطريق الذي ينتهي بالفناء والبقاء في الذات الإلهية، والصوفية إنما تستند في سلوكها هذا الطريق وعبور مقاماته على أصول إسلامية في المقام الأول، فالصوفي يرى أن مصدر التصوف وأساسه إنما يرجع إلى عناصر إسلامية خالصة ولا يرجع البتة إلى أي عنصر أجنبي، ولهذا نجد أن الصوفي أينما تكلم عن مجاهدة النفس وعن مقام من المقامات وحال من الأحوال إنما يجعل عمدته القرآن والسنة وسيرة الصحابة والتابعين،

1 سورة: الصافات، الآية: 164.

2 المرجع السابق، ص 84/83/82.

والمتصوف إنما يريد بذلك أن يقول: إنني وإن كنت أتحدث عن مجاهدة نفسي وتطهيرها وتخليصها من شرور البدن وإني وإن تحدثت عن المحبة الإلهية والشكر الإلهي والوصول والبقاء والفناء وغيرها من اصطلاحات صوفية، فإني إنما أعبر عن ما ذكر في القرآن بلغة خاصة دون تغيير في المعنى، فالتوبة إلى الله والرجوع إليه وردت في النص القرآني، وقل ذلك في المحبة الإلهية والتقرب إلى الله والفناء فيه وسنرى خلال حديثنا عن المقامات والأحوال إلى أي حد أثر القرآن والسنة النبوية وسيرة الصحابة في هذا الصدد وسوف نكتفي الآن بإيراد بعض الأمثلة الموجزة:

ففيما يتعلق بمجاهدة النفس تجد الآية الكريمة: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[1] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾2 وإلى مقام التقوى إشارات الصوفية إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [3] وإلى الزهد بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[4] وإلى التوكل بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[5] وإلى الشكر بقوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [6]وفيما يتعلق بالصبر قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[7] وإلى الرضا بقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [8] وإلى الحياء بقوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[9] وإلى المحبة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[10]

---

1 سورة: النازعات، الآية: 41/40.

2 سورة: يوسف، الآية: 53.

3 سورة الحجرات، الآية: 13.

4 سورة: النساء، الآية: 77.

5 سورة: الطلاق، الآية: 3.

6 سورة: إبراهيم، الآية: 7.

7 سورة: البقرة، الآية: 155.

8 سورة: المائدة، الآية: 119.

9 سورة: العلق، الآية: 14.

10 سورة: المائدة، الآية: 54.

أما الأحوال فقد أشار إليها القرآن الكريم بطريقة أو بأخرى فقال سبحانه:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1]

وقال أيضا: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[3]

وباختصار فإن ثمة آيات عديدة استطاع الصوفية أن يفسروا رياضاتهم ومجاهداتهم ومقاماتهم وأحوالهم على ضوئها، وهم بهذا إنما أرادوا أن يوضحوا للأعداء والأصدقاء على حد سواء، أن حركتهم حركة شرعية وأنها تستند إلى الفهم الصحيح للقرآن والسنة وإن القرآن علم وعمل ولا يصح علم بلا عمل ولا عمل بلا علم، وعلى المرء أن يهتم بالباطن أولا فإذا صلحت السريرة صلح الفرد، أي أن على المرء أن يعمل بما يؤمن به بحيث تكون أعماله صورة مطابقة لما يبطن وهنا نجد النزعة الأخلاقية الصوفية في أوج كمالها.

وفضلا عما سبق فإن الإسلام نفسه قد مهد الطريق للتصوف من باب آخر وهو أن الدين الإسلامي كما يرى نيكلسون دين من أهم أركانه الإيمان بالحياة الآخرة وبالعذاب لمن طغى وعصى وتكبر وبالنعيم لمن آمن واهتدى، وهذا الإيمان المتعلق بالحياة الآخرة من شأنه أن يفرض على الإنسان سلوكا معينا أقل ما يقال فيه عدم الاهتمام بشؤون الدنيا والاهتمام بما يتعلق بالحياة الأخرى4.

الفرع الثاني: السنة النبوية

تأتي السنة النبوية في المرتبة الثانية التي يستند إليها الصوفية في بيان أن اتجاههم إسلامي النشأة والمنبت، وإذا كنا قد رأينا في الجزء السابق كيف يفسرون القرآن وكيف يميزون فيه بين ظاهر اللفظ وباطنه فإننا هنا أيضا نجدهم يستندون إلى سنة الرسول الكريم في أعمالهم، كيف لا والسنة فضلا عن أنها معتمدة على القرآن وشارحة له فهي أيضا قد بينت بالدليل العملي أن التصوف غاية الغايات، هكذا يقول الصوفي، ولقد نص القرآن على أن للمسلمين في رسول الله أسوة حسنة، صحيح أن الرسول كان في حياته جامعا بين الدين والدنيا والعلم والعمل بناء على قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ

1 سورة: الأعراف، الآية: 56.

2 سورة: العنكبوت، الآية: 5.

3 سورة: فاطر، الآية: 34.

4 المرجع السابق، ص 86/85/84.

ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1] وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾[2] إن ذلك كله وضعه الرسول موضع التنفيذ، وكما نعلم فإنه عليه السلام قد تزوج أكثر من مرة، ولكنا نعلم تمام العلم أن الرسول لم يجعل جل همه الدنيا وما فيها ولعل اهتمامه بشؤونها راجع إلى أن سلوكه سيكون من بعده شريعة عامة وقانونا كليا بحيث إذا أهمل الدنيا وزهد فيها وابتعد عن الناس وأخذ يعبد الله بعيدا عن أعين الناس نقول: إن الرسول لو كان فعل ذلك لأدى هذا لتفتيت وحدة المسلمين وانطواء كل مسلم على نفسه بعيدا عن الشؤون العامة التي تهم كل مسلم وحينئذ لن يكون ثمة إسلام أو مسلمون إذ سرعان ما يذوب كل فرد فيتلك التيارات التي كانت تهب على المسلمين بين فترة وأخرى، ومع ذلك كله نستطيع أن نقول مع الصوفية إن الرسول كان زاهدا في حياته حقا، ولقد نص على أن الزهد عبادة وفضيلة ينبغي على كل مسلم أن يتحلى بها فقال صلى الله عليه وسلم: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)3، وقال: (إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعيوبه)4، وقال: (احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)5، فلقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على الصبر والشكر والرضا والإيمان بقضاء الله وقدره، لقد كان عليه السلام مثالا للبساطة والنزاهة، فلم يكن يأكل مثلا حتى يشبع ولم يكن يسعى إلى جمع المال وتكديسه ولم يكن يحتقر ما دونه ويكبر ما فوقه، لقد كان يبجل الصغير قبل الكبير، ويهتم بالفقير قبل الغني6.

ولعلنا نرى أن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تعتبر أقوى مصادر الصوفية المسلمين (ثم إن الروايات التي ذكرها لنا المؤرخون قد أجمعت على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته يذهب إلى غار حراء بعيدا عن صخب الحياة وهمومها، بقصد التعبد والتأمل في الوجود ومعرفة نفسه

1 سورة: القصص، الآية: 77.

2 سورة: الأعراف، الآية: 32.

3 أخرجه ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، من حديث سهل بن سعد الساعدي، رقم: 174.

4 أخرجه البخاري، من حديث معاوية بن صخر، رقم: 3116.

5 أخرجه الترمذي، من حديث عبد الله بن عباس، رقم: 2516.

6 المرجع نفسه، ص 90/89.

وإدراكها وإدراك علة الوجود إلى أن نزل عليه القرآن هناك حيث قال له جبريل " اقرأ "..1

ولقد كان من غير المعقول أن يهبط الوحي على الرسول ﷺوهو منغمس في أهوائه.. إن تعبده في غار حراء كان مقدمة ضرورية لا بد منها لهبوط الوحي، مقدمة لا بد أن يزيد من خلالها تطهر نفسه ومجاهدتها حتى تصفو صفاء كاملا وحتى يرق حسه ويدق لمعرفة الأمور مباشرة وحتى يصفو قلبه وتجلو مرآته بحيث يصير بوسعه إدراك الوجود كله وما يقتضيه هذا الوجود مباشرة، إن تعبده في غار حراء كان أمرا ضروريا وضح له فيه النور من الظلام والخير من الشر والحق من الخلق والباطل من الزور والعلل الحقيقية من العلل الوهمية الزائفة، لقد أجمع المؤرخون على أنه عليه السلام " كان عابدا أخلص ما تكون العبادة وأفضل ما يكون الزهد فقد كان يجهد نفسه ابتغاء مرضاة الله لدرجة ذهب فيها القرآن إلى نهي النبي عن إجهاده نفسه ﴿طه مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[2]

وفضلا عن هذا كله فإن أخلاق الرسول كانت مثالا لا يتطلع إليه الجميع من بعده " إنك لعلى خلق عظيم، كيف لا ولقد كان خلقه القرآن: حيث كان يعمل ما أمره الله عن طيب خاطر واقتناع كامل ويبتعد عن ما حرمه الله عليه بنفس راضية مرضية، فقد قالت **عائشة:** (كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه) ناهيك عن الآيات العديدة والروايات الكثيرة التي تظهر أن الرسول بالمؤمنين رءوف رحيم وأنه أخ كريم للأعداء قبل الأصدقاء، إنه كان ينصر الحق ويصل الرحم ويطعم الجائع.. ليس هذا فحسب بل إن المتصوفة قد اتخذوا من مسألة الإسراء والمعراج أكبر دليل على ما يمكن أن يحدث للنفس البشرية من رؤية ومشاهدة واطلاع على معرفة أمور لا يستطيع المرء في حياته العادية، ومن خلال اعتماده على الحس والعقل، أن يصل إليها، ومن المؤكد أن الغالبية الكبرى من المتصوفة قد أكدوا على أن الإسراء كان بالروح فقط وليس بالجسد، إذ لا قيمة للجسد في هذه المسألة، لأن الجسد من حيث هو كذلك لا يرى ولا يسمع، إذ أن المسائل الخاصة بالمعرفة كلها في الحقيقة من شأن النفس الناطقة، فإذا أضفنا إلى ذلك بعض الروايات التي يستنبط منها أن الرسول ﷺ كان يفنى عن نفسه، أدركنا إلى أي حد أفاد الصوفية من أقوال الرسول ومن سلوكه وأنهم قد اعتمدوا عليه اعتمادا أساسيا إلى جانب اعتمادهم على النص القرآني بطبيعة الحال لبيان أن التصوف طريقهم إسلامي بحت وأنهم إنما كانوا يتبعون النص الديني وسنة الرسول الكريم3.

---

1 حديث بدأ الوحي.

2 سورة: طه، الآية: 2/1.

3 المرجع السابق، ص 92/91/90.

ومن الأحاديث القدسية التي يوردها الصوفية، ويردون إليها بعض مذاهبهم، الأثر الذي أخبر فيه الرسول ﷺ على لسان الله فقال: (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق فبي عرفوني)1، فالصوفية يتخذون من هذا الحديث القدسي مصدرا لمذهبهم في الحب الإلهي الذي هو عندهم المبدأ الأول في خلق العالم، إذ هم يرون أن الله كان ولا شيء معه، وأحب أن يرى ذاته، في شيء غير ذاته فخلق الخلق، وكان العالم منه بمثابة المرأة المجلوة التي يرى فيها ذاته، وإنهم ليفرعون على ذلك تفريعات عدة نجدها منبثة في تضاعيف مذهبهم في وحدة الوجود، ومن الأحاديث القدسية أيضا ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم: (.. ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يسعى بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يعقل، وبي يبطش، وبي يمشي..)2، فهذا حديث قدسي وجد فيه أصحاب الأذواق والمواجيد من الصوفية مجالا خصبا ومنبعا فياضا بمعاني الاتحاد الذي يقوم عندهم على فناء العبد في الرب، أو المحب في المحبوب، أو الخلق في الحق، بحيث يصبح الإنسان في حالة روحية يشعر فيها أن ذاته من حيث هو محب قد غلبت عليها ذات محبوبة وهو الله، فإذا بالذاتين تتحدان، وتصبحان ذاتا واحدة هي التي يصدر عنها كل ما يحسه الإنسان بجوارحه، وكل ما يشعر به في جوانحه3.

ومن كل ما سبق فإننا نلحظ أن أساس مصدر " السنة النبوية " في نشأة التصوف الإسلامي يرتكز رأسا على أخلاق النبي ﷺ، بالإضافة إلى آدابه العامة في الحياة مأكلا وملبسا وبدرجة أقل أقواله ﷺ ووصاياه.

الفرع الثالث: حياة الصحابة رضي الله عنهم

تعتبر حياة الصحابة الكرام الذين عاشوا مع الرسول الكريم وتخلقوا بأخلاقه أقرب النسخ الفعلية لسلوكات الرسول محمد ﷺ، لذا نجدهم قد عرفوا بنوع رفيع من التعبد لله والزهد والورع المصحوبين بحب كبير للرسول ﷺ، وهذا الأخير كان هو الملهم لجميع الصحابة في حياته وبعد مماته، لذلك (كانت حياة الصحابة وأقوالهم أيضا منبعا استقى منه الصوفية، لأن حياتهم وأقوالهم حافلة بالشيء الكثير من الزهد والورع والتقشف والإقبال على الله، ولا يستطيع باحث منصف في تاريخ التصوف الإسلامي أن يغفل

1 أخرجه العجلوني في كشف الخفاء، برقم: 2016.

2 أخرجه البخاري، من حديث أبي هريرة، برقم: 6502.

3 محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، د ت، ص 39/38.

ما انطوت عليه حياة الصحابة – إجمالا لا تفصيلا – وأقوالهم من المنازع الروحية والأذواق القلبية، وذلك حينما يريد التعرف على الأسس التي قامت عليها حياة الصوفية الروحية، لقد كان الصحابة في الحقيقة مقتدين بالنبي ﷺ في أقواله وأحواله، وقد امتدحهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]

وقد أشار الرسول ﷺ إلى علو منزلتهم، فقال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)2 ومن هنا نظر الصوفية إلى الصحابة على أنهم قدوة في جميع معانيهم الظاهرة والباطنة على حد تعبير **الطوسي** في كتابه " اللمع "، ونحن لا نستطيع هنا أن نذكر كل ما روي عن صحابة الرسول من الأقوال والأحوال التي جعلها الصوفية مصدرا لهم في حياتهم الروحية، وحسبنا أن نشير إلى بعض ذلك مما له دلالة على ما نحن بصدده:

فمما روي عن أحوال الصحابة إجمالا قول أبي عتبة **الحلواني**: " ألا أخبركم عن حال كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ، أوله: لقاء الله تعالى كان أحب إليهم من الحياة، والثانية: كانوا لا يخافون عدوا قلوا أم كثروا، والثالثة: لم يكونوا يخافون عوزا من الدنيا، وكانوا واثقين برزق الله تعالى"، وكان أبو بكر الصديق زاهدا حتى ليروى عنه أنه كان يطوي ستة أيام، وكان لا يزيد على ثوب واحد، وكان يقول: " إذا دخل العبد العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله حتى يفارق تلك الزينة"، وتحدث عن التقوى واليقين والتواضع فقال: " وجدنا الكرم في التقوى، والشرف في التواضع"، وتحدث عن المعرفة فقال: "من ذاق من خالص المعرفة شيئا شغله ذلك عما سوى الله، واستوحش من جميع البشر "، وحكى عنه الجنيد قال: " أشرف كلمة في التوحيد قولة أبي بكر سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته "، وقد ذكر الطبري روايات كثيرة عن تعبده وأدعيته وبره وزهده ورضاه وخوفه وورعه وتواضعه وحلمه، وغير ذلك مما جعله الصوفية فيما بعد أساسا لكلامهم في هذه المعاني3.

---

1 سورة: التوبة، الآية: 100.

2 رواه ابن عبد البر، جامع العلم، ج2، ص 191. ومعناه غير صحيح لتعارضه مع بعض الأحاديث كحديث أم سلمة الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: (إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه) في مسند الإمام أحمد، ج6، ص 317. وكذلك الحديث الذي يرويه سهل بن سعد عن النبي ﷺ (ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول إنهم مني، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي) رواه البخاري (6212) ومسلم (2290)، ومنه فإن صحبة النبي ليست شفاعة لأحد، ولو كانت كذلك لكانت الصحبة أصلا من أصول الإيمان.

3 التفتازاني، مرجع سابق، ص 51/50.

وكان **عمر بن الخطاب** صافي النفس طاهر القلب، حتى لقد قال عنه النبي مخبرا عن ربه: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)1، وكان عمر متقشفا حتى ليروى عنه أنه كان يخطب وهو خليفة وعليه قميص فيه اثنا عشرة رقعة، وتكلم عمر في معنى الرضا والصبر، فقال في كتاب وجهه إلى أبي موسى الأشعري: " أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر "، وكان آية في التواضع حتى لقد روي عنه قوله: " رحم الله امرئ أهدى إلي عيوبي "، وقد ذكر الطوسي عن اقتداء الصوفية بعمر ما نصه: " ولأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر ﷺ بمعاني خص بها.. من اختيار لبس المرقعة، والخشونة وترك الشهوات، واجتناب الشبهات، وإظهار الكرامات، وقلة المبالاة من لائمة الخلق عند قيام الحق، ومحق والباطل، ومساواة الأقارب والأباعد في الحقوق، والتمسك بالأشد من الطاعات".

وقال **طلحة بن عبد الله**: " ما كان عمر بأولنا إسلاما، ولا أقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا، وأرغبنا في الآخرة "، ويرى الصوفية في ظهور خوارق العادات من المكاشفات والكرامات على يد عمر أنه قد بلغ أعلى درجة من درجات الصديقين، ودلائل ذلك كما يقولون ظهرت عليه لما كان يخطب فصاح في وسط خطبته: " يا سارية الجبل، وسارية في عسكر على باب نهاوند، فسمع صوت عمر ﷺ عندئذ، وأخذ نحو الجبل، وظفر بالعدو، وقيل لسارية كيف علمت ذلك ؟ فقال: سمعت صوت عمر ﷺ يقول: يا سارية الجبل "2.

أما **عثمان بن عفان** ﷺ فكان قدوة أيضا لأهل التصوف في أمور كثيرة، ففي مجاهدته لنفسه يروى عنه أنه حمل حزمة حطب من بعض بساتينه، وكان له عدة مماليك، فقيل له: لو دفعتها إلى بعض عبيدك، فقال: إني استطعت أن أفعل ذلك، فدل ذلك على أنه كان لا يدع مجاهدة نفسه، فلا يسكن إلى ما جمع من الأموال، لأنه ليس في ذلك كغيره، ويروى عن زهده – مع كثرة ماله – أن الإنفاق كان أحب إليه من الإمساك فهو قد جهز جيش العسرة، واشترى بئر رومة من يهودي كان يمنع المسلمين عنها، حتى قال عنه الرسول ﷺ: (ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا)3 وقد بين عثمان أن للمال عنده وظيفة اجتماعية، فقال: " لولا أني خشيت أن يكون في الإسلام ثلمة أسدها بهذا المال ما جمعته "، وروي عنه كثرة تعبده وكثرة تلاوته للقرآن، وكان يقول: " هذا – أي القرآن – كتاب ربي، ولا بد للعبد إذا جاءه كتاب سيده أن ينظر فيه كل يوم ليعمل به "، وقد ذكر **المحب الطبري** شيئا كثيرا من

1 رواه ابن عمر عن أبي هريرة، وأخرجه الإمام الأحمد في المسند، ج2، ص 53، رقم: 5145.

2 المرجع السابق، ص 52/51.

3 سليمان بن أحمد الطبراني، مسند الشاميين، من حديث عبد الرحمن بن سمرة، بلفظ " ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم "، رقم: 1274.

أخلاقه الحياء والجود والزهد والخوف والورع والتواضع والشفقة وحسن الصحبة للناس، وغير ذلك، وقد قتل عثمان وهو يقرأ القرآن، وقد فلسف صوفية الإسلام حادث مقتله هذا فلسفة خاصة، فيقول الطوسي في " اللمع ": (ومما يدل على تخصيصه – أي عثمان – بالتمكين والثبات والاستقامة، ما روي عنه أنه يوم قتل لم يبرح من موضعه، ولم يأذن لأحد بالقتال، ولا وضع المصحف من حجره إلى أن قتل ﷺ، وسال الدم على المصحف، وتلطخ بالدم، ووقع الدم على موضع هذه الآية: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾1 والتمكين حال رفيع سمعت أبا عمرو بن علوان يقول: سمعت الجنيد رحمه الله ليلة من الليالي، وهو يقول في مناجاته إلهي أتريد أن تخدعني عنك بقربك، أم تريد أن تقطعني عنك بوصلك، هيهات هيهات، قلت لأبي عمرو: ما معنى قوله ؟ قال: التمكين، ويقول القشيري في رسالته عن معنى التمكين: " التمكين صفة أهل الحقائق، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل تمكن "، وهذا رأي الصوفية أن **عثمان بن عفان** كان متحققا بالوصول إلى الله، وبمقام التمكين الذي جعله ثابتا لجاري الأقدار لا يزعزعه شيء مما حوله، وقد روي عن عثمان أقوال لها دلالة صوفية، منها قوله: " وجدت الخير مجموعا في أربعة: التحبب إلى الله تعالى، والثاني: الصبر على أحكام الله تعالى، والثالث: الرضا بتقدير الله عز وجل، والرابع: الحياء من نظر الله عز وجل، فكأنه يتحدث هنا عن مقامات أربعة من مقامات السلوك، وهي: المحبة والصبر والرضا والحياء من الله "2.

وأما **علي بن أبي طالب** ﷺ فله عند الصوفية منزلة خاصة رفيعة، فقد قال عنه أبو على الروذباري، أحد كبار أوائل الصوفية: " ذاك امرؤ أعطي العلم اللدني – أي العلم الذي هو من لدن الله – والعلم اللدني هو العلم الذي خص به الخضر عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾3 ويقول **الطوسي** في " اللمع ": " ولأمير المؤمنين علي ﷺ خصوصية من بين أصحاب رسول الله ﷺ بمعاني جليلة، وإشارات لطيفة، وألفاظ مفردة، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم، وغير ذلك، وخصال شريفة، تعلق وتخلق به أهل الحقائق من الصوفية "، وكان علي مثلا بارزا في الزهد والتقشف والدعوة إليهما، فقال لعمر ابن الخطاب: " إذا أردت أن تلقى صاحبك، فرقع قميصك، واخصف نعلك، وقصر أملك، وكل دون الشبع "، وقد قال عنه ابن عيينة أنه كان أزهد الصحابة، وشهد له

1 سورة: البقرة، الآية: 137.

2 المرجع السابق، ص 53/52.

3 سورة: الكهف، الآية: 65.

الإمام الشافعي بأنه كان عظيما في الزهد.

وقد صور الإمام علي حال مجاهدته لنفسه قائلا: " ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم، كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب "، وسأل رجل عليا عن معنى الإيمان فقال: " الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، ثم شرع يصف كل مقام من هذه المقامات على عشر " وهنا يعلق الطوسي قائلا: (إذا صح ذلك فهو أول من تكلم في الأحوال والمقامات)، ويقول الطوسي أيضا: " ولعلي ﷺ أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال والتي يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية "1.

وهنا نكتفي بذكر هؤلاء العظماء الأربعة في تاريخ الإسلام، الذين كان لكل واحد منهم الأثر البارز في التأصيل للتصوف الإسلامي، ونتوقف عندهم لأن كل واحد منهم يعتبر مدرسة كاملة الأركان في التصوف وإن كنا نجد الإمام عليا عليه السلام أعظمهم من ناحية المعرفة الملازمة لأولياء الله، وليس معنى ذلك أننا (لا نجد بذور الحياة الروحية الإسلامية مغروسة في قلب النبي وصحابته من الخلفاء الأربعة فحسب، وإنما نجدها أيضا في قلوب صحابته من غير الخلفاء، فأهل الصفة من الصحابة مثلا كان لهم أثر قوي في تاريخ الحياة الروحية الإسلامية، حتى أن البعض يذهب إلى أن اسم التصوف مشتق من اسمهم، وقد كان أهل الصفة جماعة من فقراء المهاجرين والأنصار، لم يكن لهم أهل ولا مال، فبنيت لهم صفة في مسجد الرسول – الصفة مؤخرة المسجد – انقطعوا فيها إلى الله وعكفوا على العبادة ورياضة النفس والتجرد عن أعراض الدنيا وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى مخاطبا الرسول: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾2

وقد وصف أبو نعيم الأصفهاني في كتابه (حلية الأولياء) أهل الصفة فقال: " هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء، لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا، ولم يفرحوا إلا بما أيدوا به من العقبى " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبهم ويجالسهم ويحث الناس على إكرامهم ومعرفة فضلهم وكان أبو هريرة من أشهر من سكن الصفة طيلة حياة النبي ولم يبرحها، وقد ذكرت لنا كتب الطبقات الشيء الكثير عنه وعن زهده وتقشفه،

1 المرجع السابق، ص 53/ 54.

2 سورة: الكهف، الآية: 28.

وأحواله وأحوال غيره من الصحابة الذين لزموا الصفة، وهناك طائفة أخرى من الصحابة أخبارها في الزهد والنسك معروفة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: معاذ بن جبل، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري، وأبا عبيدة بن الجراح، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وحذيفة بن اليمان، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي.. ومن أراد الوقوف على أحوال هؤلاء وأقوالهم فعليه بالرجوع إلى كتب مثل " حلية الأولياء " لأبي نعيم الأصفهاني، و" اللمع " للطوسي، ونكتفي بهذا القدر من الكلام عن أحوال وأقوال الصحابة التي يمكن أن تكون مصدرا استقى منه صوفية الإسلام الذين جاءوا فيما بعد)1.

ملاحظة: وفي الأخير فإننا نجد أنفسنا أميل إلى الرأي القائل بـ (أن رد محاولة التصوف الإسلامي إلى مصدر واحد أو مصدرين سواء كان هذا المصدر أو ذاك، داخليا أو خارجيا محاولة غير مجدية وليست من التفسيرات العلمية في شيء، إن على الباحثين أن يضعوا في اعتبارهم وهم بصدد البحث عن أصل التصوف ومصدره اعتبارات عديدة منها القرآن والسنة وسيرة الصحابة، ومنها ما هو خاص بالعقلية العربية الإسلامية ذاتها ومنها ما هو خاص بظروف العصر أو العصور التي مر بها التصوف ومنها ما هو خاص بالديانتين الكبرتين ومنها ما هو خاص بالتيارات الفلسفية وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة، كذلك لا ينبغي أن ننسى التيارات شبه الدينية كالمانوية والزرادشتية والبوذية وغيرها، ففي رأينا كما أشرنا من قبل إن كل عامل من هذه العوامل ساهم بطريقة أو بأخرى وتغلغل في التصوف الإسلامي مرتديا ثوبا إسلاميا، إن علينا أن ندرس العوامل المختلفة التي ساعدت مجتمعة على تشكيل " التصوف " وأن نضع كلا من هذه العوامل في موضعه اللائق به وندرس الصلة بينها ثم نميز بقدر المستطاع ما كان لكل منها من الأثر، فإن هذه العوامل تكون في جملتها الظروف التي نشأ فيها التصوف وترعرع سواء في ذلك تلك العوامل الخارجية التي ذكرناها وتلك الخاصة بالبيئة الإسلامية والتي يمكن أن تنقسم إلى عوامل سياسية وعوامل اجتماعية وعوامل عقلية كالاضطرابات والفتن الداخلية الدامية في عصر بني أمية وموجات الشك والتعصب العقلي التي طغت على المسلمين وكالتطاحن المر بين أصحاب المقالات والفرق أو الجمود على مذهب أهل السنة من جانب العلماء)2.

1 المرجع السابق، ص 55/54.

2 بدير عون، مرجع سابق، ص 95/94.

خلاصة الفصل:

في آخر هذا الفصل الذي تناولنا فيه ثلاثة مباحث، محاولين في ذلك أن نترك شيئا من التعليقات المهمة على بعض الأفكار، وقد كان المبحث الأول بعنوان (تعريف التصوف)، ومن خلال ما توصلنا إليه من أقوال تصب في تعريف التصوف، وجمع كل ما يمكن في أصل التسمية والاشتقاق، وقد حاولت ذكر ما له علاقة بأصل الكلمة المستعملة في اللغة الأجنبية، سعيت أن أوازن بين الآراء وترجيح ما يمكن أن يكون الأقرب إلى الصواب، وقد كان عنوان المبحث الثاني بعنوان (التجربة الصوفية وأطوارها في الإسلام) إذ تناولت المراحل التي مر بها التصوف منذ عصر النشوء مرورا بمرحلة الاكتمال والازدهار، ثم ختمت بطور العصر الحديث والمعاصر، مع ذكر ما مميزات كل عصر ومكانة التصوف وأبرز المتصوفة الذين طبعوا عصرهم، وجعلت المبحث الثالث بعنوان (أصالة التصوف في التراث الإسلامي) ذكرت الشبهات التي تثار حول التصوف ومصادره بنسبته لمصادر نائية عن المصادر الإسلامية، وبينت وجه الحقيقة مع رد الشبهات وتوضيح المصادر الأصيلة للتصوف الإسلامي مع إثبات تداخل الروافد الإنسانية الروحية في نشأة التصوف، ومن أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا الفصل:

1/ إن كلمة (صوفي) قد أخذت من الجدل حول أصلها واشتقاقها حيزا مهما في جانب البحث الصوفي، بالإضافة إلى الجدل الذي مس التعريفات الاصطلاحية للتصوف، وهو ما نلحظه جليا في كتب الدارسين من مفكري الإسلام في القديم والحديث، وكذا في مؤلفات المستشرقين الذين اهتموا بالتراث الصوفي الإسلامي، مع ما أثارته هذه الدراسات من جدل واسع.

2/ من خلال كل ما تقدم من أقوال في أصل كلمة " صوفي " في اللغة العربية فإننا نحكم بأن الأغلبية من الدارسين للتصوف من العرب ومن الغربيين المهتمين والمتخصصين في دراسة التصوف يجمعون على أن الأصل في الكلمة إنما هو الاشتقاق اللغوي من الصوف، وهو الأصح من بين الأقوال وإن لم يسعف القياس اللغوي فإن حال أصحاب التصوف وسلوكهم مسعف لهذا القول فالزهاد عمدوا إلى تجنب زخرف الدنيا بكل مظاهره انطلاقا من العدول عن لين اللباس والثياب.

3/ إن استعمال كلمة (صوفي) ليس اسما، بل هو لقب – مع أن الأصل في الكلمة الاشتقاق – عرفت به هذه الطائفة، على الرغم من أن هذه الطائفة قد عرفت بلبس الخرق الصوفية البيضاء وتميزها بها، فاستعمال لفظة صوفي استعمال قديم، وهي لا تحتوي من اشتقاقها أيا من المعاني التي تجعل أصحابها يتميزون عقديا عن غيرهم من الفرق الإسلامية.

4/ إن المرحلة الأولى من مراحل تطور التصوف قد عرفت بالزهد كما عرفت بعظماء الزهد في

التراث الإسلامي، إذ لا نكاد نجد مصدرا من المصادر التاريخية في الفكر الصوفي الإسلامي إلا وقد روى لنا الكثير من القصص التي تحكي سيرة كبار الزهاد، وبهذا تعتبر هذه المرحلة مرحلة التصوف العملي بامتياز دون سواها من المراحل، رغم أن هذه المرحلة عرفت بعض المظاهر الجديدة التي لم تكن موجودة في عصر الصحابة، كالأنماط الخاصة للحياة التي بدأت تظهر خاصة في الكوفة والبصرة.

5/ تمتاز المرحلة الثانية من مراحل التصوف بظهور بناء فلسفي روحي متكامل، وذلك على أيدي أعظم رجالات السلوك في تاريخ الإسلام، ومن أهم العلماء الذين طبعوا هذه المرحلة نجد حجة الإسلام **أبو حامد الغزالي** بالإضافة للجنيد والسهروردي والحارث المحاسبي، وفي هذا الطور تم وضع قواعد التصوف الإسلامي السني وتمييزه التصوف الفلسفي الذي عرف في هذه المرحلة.

6/ إن أطول مرحلة مر بها التصوف الإسلامي هي المرحلة الرابعة وهي التي تبدأ من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحديث، وهي المرحلة التي مس التصوف فيها التدهور والخرافة والخزعبلات، في حين نجد المرحلة الثالثة السابقة لها أقل زمنا إلا أنها مرحلة إبداع حقيقي، ففيها اكتمل تشكل كبرى الطرق الصوفية في العالم الإسلامي.

7/ تعتبر المرحلة المعاصرة للتصوف مرحلة مصاحبة لحركة التحرر التي مست العالم الإسلامي، وقد شهدت هذه المرحلة ولادة مفكرين جدد حاولوا بعث التفكير الصوفي، هذا التفكير الذي يشهد انتكاسة طال زمنها، وهذه الصحوة الصوفية ساهمت في تصحيح الصورة حول التصوف في أذهان الكثير من الباحثين في الفكر الإسلامي والصوفي على وجه الخصوص، وعلى الرغم من أن الحركة الصوفية الحديثة قد صاحبت أشكال التحرر التي مست عالمنا الإسلامي، إلا أن الحالة الثقافية الصوفية في الجزائر قد شهدت انتكاسة عظمى إذ تم القضاء على أغلب التراث الصوفي فيها، ولعل هذا بسبب عدم الفهم الذي مس الطبقة المثقفة سواء الإصلاحية – جمعية العلماء – منها أم المحافظة – الزوايا – إذ نلحظ أن الصحف التي كانت تصدر حين ذاك من لدن المدرستين لم تكن تحمل شيئا من الثقافة أو الفكر بقدر ما كانت تعج به من اتهام للطرف الآخر، أو دفاع عن المنهج.

8/ إن الباحث المتجرد يقر بأن الغرب يشجع ويسعى للتمكين للتيار الصوفي في العالم الإسلامي وفي غيره من أماكن وجود الإسلام والأقليات المسلمة، ولا يعني ذلك أبدا عمالة هذا التيار أو تبعيته للغرب وتوجيه هذا الأخير له، بل بالعكس يعد هذا مكسبا لهذا التيار الذي يثبت يوما بعد يوم بأنه الأصلح على الإطلاق لحمل راية الإسلام في العالم أجمع وما ذلك إلا لأن دعاته ليس لهم من هدف سوى هداية الناس إلى الخير وليس لهم في أبجدياتهم أي ميل للسيف كما هو في كثير من الأدبيات

الحركية الإسلامية.

9/ إن التشجيع الذي يتلقاه التصوف والطرق الصوفية في الغرب على وجه الخصوص من الحكومات الغربية في العصر الحديث لا يعني أن أتباع هذا التيار الروحي لا يمتون بصلة لأمتهم، بل يجب فهم ذلك من خلال النظرة التي ينطلق منها المتصوفة تجاه الآخر الذي يسمى إطلاقا في الأدبيات الإسلامية " كافرا " فنظرة الصوفي للإنسان أنه واحد مهما اختلف فبدل أمة الإسلام نجد أمة الإنسان في سلم الأوليات، ومن هذا ظهر ما يعرف بـ: (التصوف الكوني) وهنا تكمن أهمية الدعم الذي يقدمه الغرب للطرق الصوفية في الغرب وحتى في العالم المسلم، فهذه الطرق دون سواها من أطياف الإسلام تحمل جينات الإسلام الناعم الذي يؤمن بمقدرات الإنسان وما توصل إليه من إبداع سياسي على وجه الخصوص، وراسخ في أذهاننا ما قدمه الغرب من دعم للإسلام المتطرف في العالم المسلم، وأحداث أفغانستان ولعبة الأفغان العرب والقاعدة، وباقي أطياف الإسلام الحركي، وهذا وغيره يكفي دليلا لاقتناع الغرب بخطر هذه الحركات السياسية المأسلمة على الإنسان عموما، وما يتلقاه من تخويف وتفجير نتيجة لدعمه ذاك.

10/ إن تنوع مصادر التصوف الإسلامي لا يعني أنه ليس أصيلا في البيئة الإسلامية، مع أننا نثبت أن الأصل الإسلامي كان أساسيا خصوصا في طور النشوء، إلا أن الإنصاف يقتضي أن نقر بدخول المصادر الأجنبية وأهمها تأثير الرهبنة المسيحية واليهودية وطقوسهما التعبدية في حركة الزهد الإسلامي، بالإضافة إلى تأثير روحانيات الحضارة الشرقية في أشكال التصوف الإسلامي، وهذه الإفادة من الحضارات الأخرى يعتبر عامل تميز لصالح التصوف، إذ يثبت أتباعه بذلك قابليتهم للاستفادة من كل منجزات الإنسان الروحية.

11/ إن الغرب وجد في الصوفية ما لم يجده في غيرهم من قابلية للحوار وللآخر في الوقت الذي نجد غير الصوفية لا يقبلون حتى ببعضهم البعض، وهذه الحقيقة إنما هي بسبب سوء المناهج التي بنيت عليها معارف أتباع هذه الحركات، فكيف يمكن للذي لا يقبل بالمختلف معه في فهم آية واحدة من كتاب مقدس يجمعه به أن يقبل بالآخر الذي يراه كافرا ؟. أما الصوفية فمناهجهم قد تجاوزت هذه العوائق إلى تحقيق أعظم غايات الإسلام، في تحقيق أعظم مقصد جاء به محمد ﷺ ألا وهو مقصد الإنسان.

الفصل الثاني:

التصوف الإسلامي في فرنسا

المبحث الأول: حقيقة الوجود الإسلامي في فرنسا

المبحث الثاني: التصوف رافد من روافد الإسلام في فرنسا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: حقيقة الوجود الإسلامي في فرنسا

إن المطالع لتاريخ الفتوح الإسلامية ليجدها قد توسعت بشكل ملفت جعل منها ظاهرة مرتبطة بوثوق بالحكم الإسلامي للعهد الأول وقد (نالت فكرة الامتداد الإسلامي إلى مناطق الشرق القديم الذي كانت تتقاسمه إمبراطوريتان عظيمتان هما الدولة الساسانية والإمبراطورية البيزنطية، وهو ما اصطلح عليه " الفتوحات الإسلامية " أهمية مضاعفة، فأول من أولها بالمتابعة والتوثيق والأرشفة هم المؤرخون أو الإخباريون المسلمون، فأنتجوا في ذلك أكثر من مصنف وكتاب، اختص تحديدا بمتابعة الفتوح الإسلامية، فمنها من حمل عنوان الفتوح المطلق أو المقيد ببلد من البلدان أو الأقاليم)1.

وفي عصرنا الحاضر وفي سبيل فهم وجود الدين عموما في الساحة الفرنسية، وفهم ظروف الإسلام هناك وفي سياق عملية إعادة بناء الأسئلة، نريد أن نبدأ بسؤال قد لا يخلو من غرابة، لكنه السؤال الأكثر جذرية والأكثر أهمية: هل فرنسا اليوم بالفعل هي جمهورية علمانية ؟ وإلى أي حد يمكن اعتبارها كذلك ؟2.

ليس في نيتنا العودة إلى روح بابا الفاتكان، فربما لا يتعلق الأمر في الأخير سوى بأعراض ظرفية وطارئة، بل ربما أن الأمر لا يتعلق سواء بالنسبة لمشاركة الرئيس الفرنسي وقتها " جاك شيراك " في مراسيم الجنازة، أو بتنكيس الأعلام، أو الدعوة إلى الصلاة الرسمية، سوى بهفوات جانبية لا ترقى إلى مستوى المساس بأصالة العلمانية، لذا حسبنا أن نعود إلى الثوابت التي ليس بالإمكان ادعاء نسبيتها، حين حصل الفاتكان على العضوية، بصفة مراقب، داخل هيئة الأمم المتحدة سنة 1964، كان الأمر يبدو كما لو أنه مؤشرا دالا على مستوى تدهور قيم العلمانية داخل مؤسسة يناط بها مسؤولية تنظيم العلاقات بين الدول، وقد يدعي حماة العلمانية الفرنسية بأن مسؤوليتهم في هذا الجانب جد محدودة، والواقع أن فرنسا هي أول من يتحمل مسؤولية تدهور العلمانية داخل مجال العلاقات الدولية، وذلك بعد أن قررت سنة 1921، استعادة علاقاتها الدبلوماسية مع الفاتكان، وأن تجعل لها سفيرا منتدبا وسفارة دائمة هناك، إن ذلك على أية حال، ليس من أجل نشر العلمانية داخل حضيرة الفاتكان، إن الفاتكان ليس بدولة لها سيادتها، وإنما هو مجرد منظمة غير حكومية تستوطن حيا في وسط العاصمة

1 مقدمة المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، فرانشيسكو كبريلي، محمد والفتوحات الإسلامية، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ط1، 2011، ص 5.

2 سعيد ناشيد، اليسار الفرنسي والإسلام قراءة تحليلية نقدية في الخطاب الفرنسي حول الإسلام، منشورات دفاتر عائلية، الشركة المكتبية ومطبعة فارير، سطات المغرب، ط1، 2007، ص 87.

الإيطالية، والتي لذات السبب يقال: كل الطرق تؤدي إلى روما، ولا بأس من التذكير فقط بأن " دولة " الفاتكان لا تتجاوز مساحتها بضعة أمتار، ومعظم مواطنيها من الذكور، والقليل منهم من يستوطن بها بشكل دائم1.

المطلب الأول: وجود الإسلام والمسلمين في فرنسا

صدرت مؤخرا ثلاثة كتب تؤرخ للوجود الإسلامي في فرنسا – وتجمع الكتب الثلاثة على أن الوجود الإسلامي ليس بتاريخ وجود المهاجرين في فرنسا الذي لا يزيد عن قرن وبضع سنوات – فالبعض من مؤرخي الإسلام في فرنسا يربط وجود الإسلام في فرنسا بموضوع التفكير في بناء مسجد باريس الذي افتتح في سنة 1926، فكتاب الأستاذ الصادق سلام الذي صدر عن منشورات " Fayard " بباريس وأعيد نشره بباريس وهو بعنوان (فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية) وهو كتاب صدر بالفرنسية في طبعتين " طبعة باريسية " 2006 و" طبعة جزائرية " 2007، وهو بهذا العنوان:

La France et ses musulmans – un siècle de politique musulmane 1895-2005.

أما كتاب الباحث **حسن بن منصور** الذي صدر مؤخرا في الجزائر ويوزع في باريس وهو بعنوان: (الشجرة التي تغطي المسجد) (L'arbre qui cache)

La mosquée – L'histoire millénaire de L'islam en France.

منشورات دار " النعمان " بالجزائر بالتعاون مع منشورات " Dialogue " بباريس وفي هذا الكتاب يكشف الباحث **حسن بن منصور** – المختص في الاقتصاد الإسلامي والذي يعيش في باريس – الغطاء عن الوجود الإسلامي في فرنسا الذي يمتد إلى مئات السنين، ويقول: (إن القارئ للتاريخ الإسلامي لا يلحظ وجود أي أثر لهذا الوجود وكأن الإسلام لم يمر على هذا البلد ولم يترك بصماته أساسا، فالكنيسة والمجتمع والدولة الفرنسية يتجاهلون هذا الجانب من التاريخ الفرنسي، فقليلا ما يتوقف الفرنسيون عند معركة بلاط الشهداء بين عبد الرحمن الغافقي وشارل مارتال التي تمت في 732م، والواقع شيء آخر) ورغم الدور الطلائعي الذي قام به المسلمون في حروب فرنسا الاستعمارية فلم يحظ مسلمو فرنسا اليوم بتمثيل في البرلمان، ولا في مجلس الشيوخ، ولا مكان يذكر في مصدر مراكز القرار، علما بأن بلدا كالسويد أصبح برلمانه يضم 15 شخصية من أصول غير سويدية جلهم من

1 المرجع السابق، ص 88/87.

أصول إسلامية وعربية وغيرها من جنسيات مختلفة، يقول الأستاذ حسن بن منصور في الصفحة 13 من كتابه: إن هناك تجاهلا من المؤرخين الفرنسيين لـ 13 قرنا من الوجود الإسلامي في فرنسا1.

الفرع الأول: الأمير عبد القادر وتأثيره في الساحة الفرنسية

تجاهل المؤرخون الفرنسيون الوجود الإسلامي في مناطق الجنوب وفي " الميدي " في العصور الوسطى مرورا بـ " لاكيتان " و" بواتوشارنت " و" ليون " و" جورا " و" الألب " بل إن الفرنسيين عمدوا إلى محو كل الآثار التي خلفها وراءهم المسلمون – حتى لا تبقى هذه الآثار تدل على وجودهم في غابر الأزمان فوق التراب الفرنسي – وقد تفنن الفرنسيون في محو هذه الآثار بشكل يدل على الحقد والكراهية للإسلام، ولا يريدون أن يبقى شيئ يذكرهم بالوجود الإسلامي في بلادهم وهو ما أكده المؤرخ الفرنسي " **فيليب سناك** " " **Philippe Senac** "، إن **حسن بن منصور** يريد أن يؤكد من خلال كتابه هذا أن الإسلام في فرنسا اليوم ليس إسلاما جاء مع المهاجرين وبدأ معهم، وانتهى بهم – ألم يقل وزير فرنسي إذا كان المسلمون لا تعجبهم القوانين الفرنسية فليغادروا فرنسا، ناسيا أو متناسيا بأن حوالي نصف مليون من مسلمي فرنسا ومليونان ونصف يملكون الجنسية الفرنسية وبالتالي فهم مواطنون فرنسيون لهم حقوق وعليهم واجبات مثلهم مثل باقي المجتمع الفرنسي، إن كتاب الأستاذ حسن بن منصور كما أكد في الصفحة 14 بأن هذه الدراسة المتواضعة لا تعالج قضية الإسلام حاليا في فرنسا أو ما يسمى " إسلام المهاجرين " الذي بدأت طلائعه الأولى في مطلع القرن العشرين، فهذا الإسلام قد تناولته صحف ومجلات وأحاديث إذاعية وتلفزيونية، ونظمت حوله ملتقيات وندوات – أما كتاب بن منصور فهو يهدف في أساسه إلى تقديم إسلام مئات السنين كان له وجود في فرنسا – بينما تاريخ فرنسا اليوم قد عمل على محو هذا الإسلام من ذاكرة الفرنسيين2.

إن البعض يقدم الإسلام في فرنسا بأنه حدث جديد وأنه وليد مرحلة قصيرة، وقد نجد الفرنسيين ما انفكوا يتجاهلون تضحيات المسلمين إلى جانب الشعب الفرنسي في كل الحروب التي خاضتها فرنسا في الفترة التي كانت فيها الجزائر مستعمرة فرنسية، ولطالما كانت فرنسا تخوض العديد من الحروب فيما وراء البحار، وكان الجزائريون وقود لهذه الحروب، ولا ننسى ما قدمه المسلمون من أجل فرنسا في حرب 1870 دفاعا عن التراب الوطني الفرنسي، كما حاربوا إلى جانب فرنسا والجبهات الحربية الأخرى في الحربين الكونيتين (1914-1918) و(1939- 1945)، ويذكر الكاتب بن منصور في الصفحة

1 سعدي بزيان، من وهج البصائر، دار الأمل للطباعة والنشر، دط، دت، ص 12/11.

2 المرجع نفسه، ص 13/12.

15 من كتابه أن فرنسا من خلال القناة التلفزيونية الثالثة اعترفت في 31 مايو 2004 بالدور الهام الذي قام به المسلمون خلال الحرب العالمية الثانية في الدفاع عن فرنسا أرضا وشعبا وكرامة، وإن هذا الكتاب كما يؤكد مؤلفه يحاول أن يبين للفرنسيين وغيرهم بأن الإسلام في فرنسا ليس غريبا في هذا البلد، بل هو يشكل جزءا من تاريخ فرنسا وعلى الفرنسيين أن يعتبروا أن الحضور الإسلامي في فرنسا اليوم هو امتداد لتاريخ طويل عرفته فرنسا، ويخطئ الفرنسيون وهم يكتبون تاريخهم أن سنة 732م سنة هامة في تاريخهم – ذلك أن **شارل مارتل** الذي صد زحف المسلمين قد أنقذهم من " الهمجية الإسلامية " ويعتبر الفرنسيون **شارل مارتل** هو بطلهم التاريخي، إذ لولاه لتحولت أوربا كلها إلى إسلامية، إن معركة " بواتيي " حسمت الموضوع لفائدة المسيحيين على حساب المسلمين، هكذا يتحدث مؤرخوا فرنسا اليوم.. ويورد بن منصور في كتابه مكانا بارزا في غزوات المسلمين لفرنسا ومدنها ويقول بهذا الصدد إن سنة 732م يعتبرها الفرنسيون بمثابة مرحلة أسطورية، فهي التاريخ الذي تم فيه إنقاذ المسيحية من " البرابرة المسلمين " وأن بطلهم في ذلك هو **شارل مارتل**، ويحتفل به اليوم في فرنسا كبطل لكل المسيحية، وبدون **شارل مارتل** لكانت أوربا مسلمة اليوم، ونستطيع أن نستنتج بأن التاريخ الطويل للإسلام في فرنسا إذ يخلص بنا في نهاية القول بأن التاريخ الطويل للوجود الإسلامي في فرنسا ظل مجهولا ليس فقط عند الرأي العام البسيط بل حتى عند النخبة والجامعيين، وهناك فئة قليلة من المؤرخين الفرنسيين حاولوا منذ منتصف القرن العشرين كشف الغطاء عن هذه المرحلة وإطلاع الرأي العام الفرنسي بحقيقة الوجود الإسلامي في فرنسا منذ قرون – وله امتدادات وتفرعات ظلت مجهولة إلى عهد قريب ومع الأسف فإن المجتمع الفرنسي بصفة عامة لا يعرف عن تاريخ الإسلام في فرنسا سوى معركة " بواتيي " " La bataille de poitiers " بينما المسلمون وإن هزموا في هذه المعركة إلا أنهم واصلوا مسيرتهم ورسالتهم وامتد حضورهم ليشمل عدة مدن فرنسية، وعاد المسلمون إلى فرنسا اليوم في ظروف ومعطيات أخرى، إن كتاب حسن بن منصور يعتبر مصدرا لا غنى عنه لمن أراد معرفة مسيرة الإسلام في فرنسا عبر قرون – وليس كما هو متداول في جل الكتب التي تؤرخ للإسلام في فرنسا مع وصول المهاجرين إلى فرنسا، وكأنه إسلام جاء مع المهاجرين وتوقف عندهم وهو مغالطة تاريخية1.

أما فيما يخص الوجود الإسلامي في العصر الحديث في فرنسا على وجه الخصوص فيجب علينا أن ندرس قضية الهجرة، ومن أجل فهم قضية الهجرة وآلياتها وأبعادها والمشكلات الناتجة عنها تعتبر دراسة الحالة في فرنسا نموذجية لعدة أسباب أهمها:

1 المرجع السابق، ص 14/13.

أولا: إن لفرنسا سحرا خاصا ربما ينبع من تاريخها المتألق ومن وضعها كبؤرة للأفكار الجديدة والتيارات الأدبية والمدارس الفنية على مدى القرون الأربعة الماضية، وتعد مدينة باريس نقطة جذب خاصة لسائحي العالم نظرا للمسات الجمالية الفاتنة التي تميز كل شبر فيها، وقد كانت فرنسا بالنسبة لرواد التنوير والثقافة في مصر منارة للمعرفة وقطبا للاحتكاك الفكري بدءا من رفاعة الطهطاوي حتى **طه حسين** والحكيم مرورا بعشرات المصلحين والمثقفين ومن بينهم الشيخ الجليل **محمد عبده**، ولا ننس الدور الريادي الذي لعبته مصر على مستوى العالم العربي.

ثانيا: لأن فرنسا تتميز عن غيرها من الدول الأوربية بالمصارحة العلنية حول قضية الهجرة والمهاجرين، فبعد فترة من التردد بدأت الطبقة السياسية الفرنسية وأجهزة الإعلام تجهر بالمشكلة وتناقشها بكل التفصيلات ومن كل الزوايا في لقاءات عامة وبرامج تليفزيونية وإذاعية تبث على الهواء، وقد ثبت من هذه التجربة أن إخفاء القضية لا يقلل من خطورتها بل على العكس يضاعف من تفاعلها الخفي ويهدد بتفجرها بعنف دون مقدمات على السطح كما حدث في ألمانيا خلال النصف الثاني من عام 1991 حيث أصبحت الاعتداءات العنصرية ضد الأجانب ظاهرة عامة في البلاد.

ثالثا: إن فلسفة فرنسا لمواجهة المشكلات الناجمة عن الهجرة تختلف عن غيرها من الدول الأوروبية.. فهي ترى أن السبيل الأمثل لحل المشكلة هو اندماج المهاجرين في المجتمع الفرنسي، في حين أن دولا أخرى مثل بريطانيا وألمانيا تترك المهاجرين يعيشون حياة هامشية وتنحصر علاقاتهم بالدولة المضيفة في علاقات العمل وتقاضي الأجور، كذلك فإن لفرنسا تاريخا قديما مع الإسلام إذ ظل جزء من جنوبها مسلما لعدة قرون بعد وقف الزحف الإسلامي في معركة " بواتيي " 732م التي تحدثنا عنها سالفا، وهناك مدينة هامة في جنوب فرنسا اسمها " راماتويل " وهي تحريف لاسم " رحمة الله " كما أن مدينة " بلادوليد " الأسبانية أصلها " بلد الوليد ".. ولفرنسا أيضا تاريخ حديث مع الإسلام وخاصة منذ حملة نابليون (1798-1801) ولها تقاليد استشراق راسخة وعرف شعبها (جاذبية الإسلام) على حد تعبير عنوان كتاب المستشرق ماكسيم رودنسون1.

ورغم كل ما يحصل للمسلمين من حالة ترهل فيبقى تراثهم الروحي إرثا يسيل لعاب عالم الغرب (فإذا كان الغرب يفوقنا سياسيا واقتصاديا وعلميا فإن للعالم العربي والإسلامي تراثا ثقافيا مضيئا يتيح له أن يكون ندا للغرب إن لم يكن متفوقا في هذا المجال، فالروائع الفكرية والفنية التي خلفها ابن سينا و**ابن**

1 شريف الشوباشي، هل فرنسا عنصرية؟، دط، دت، ص 10/9.

رشد والجاحظ والمتنبي.. وعشرات غيرهم تمنح حاملي لواء هذه الثقافة قوة لا يستهان بها وربما يدركها كبار المثقفين الغربيين أكثر من مثقفينا أنفسهم، وإذا كان الغرب يتفوق علينا بآلاف الأميال على الصعيد المادي فإن لدينا بعدا روحيا يتوق إليه سكان العالم الشمالي، ويتخذ البعض ضعفنا في هذه المرحلة ذريعة للانغلاق ورفض الحوار متغافلين عن أن وضعنا كان أسوأ بكثير خلال القرون الماضية وخاصة في الحقبة التي كان عالمنا يرزح فيها تحت نير الاستعمار، أما اليوم فإنه يتوجب علينا ليس أن نقبل الحوار فحسب وإنما أن نسعى إليه ونطالب به، وعلينا ونحن نخوض هذا الحوار أن نحاول التخلص من العقد السابقة ومن المحرمات التي فرضها البعض على عقولنا، وأن نكسر طوق الحلقة المفرغة التي يعيش فيها الفكر العربي لأنه لا يجرؤ على كسر القوالب التقليدية ومواجهة الواقع المعاصر..)[1].

الفرع الثاني: الحياة الروحية والفكرية للأمير عبد القادر في فرنسا

رغم الخيانة التي وقعت للأمير من الداخل، ورغم الحصار الذي ضرب عليه من الخارج، ورغم استسلامه للعدو بسبب ذلك فإنه بقي متمسكا بدينه إلى الرمق الأخير من حياته، وقد انتصر بفكره التصوفي في مراسلاته وفي سجنه وفي منفاه وفي إنتاجه الفكري على الدوام، فلم يثنه ما تعرض له من المحن، وأحسن ما نرد به على الذين يحاولون تشويهه والاستنقاص من قيمته هو ما كتبه قدور بن الرويلة كاتبه الخاص: (إن الحاج عبد القادر زهيد في دنياه، لا يتعلق بحطامها، وهو يجد نفسه في الابتعاد عن ذلك، وطعامه عادي وبسيط، ولباسه كذلك، يقوم الليل مصليا مسبحا، ولا أفضل عنده من الصلاة والصيام، تحاشيا للتردي في كل خطيئة يخاف الله طيب مع الجميع، لا يريد أن يتكبر على عباد الله، إنه نبيل يتحاشى إظهار ذلك، إنه أمين ولا يريد أن يأخذ شيئا من أموال الدولة، يحكم بالعدل والقسطاس، ينصف أبسط المسلمين، لا يغادر المسجد إلا نادرا ولا يشرب ولا يأكل ولا يلبس إلا ما أمرت به شريعته، عدالته لينة وصارمة في نفس الوقت وأحكامه مطابقة لما جاء في الشرائع السماوية، لا يتسامح مع من يرتكب غلطة خطيرة ولا يتورع عن معاقبة ابنه، والقصاص لو اقترف ذلك، يكره من لا يتبع الطريق المستقيم، ولكنه يحب الإنسان المتدين والذي لا يؤذي أحدا، وهو يستنكر ويتخلى عن أقرب أفراد عائلته إن ارتكب ما حرم الله)[2].

وقد كان يلقب عند المؤرخين الأوروبيين بالإمام العسكري أو الفارس المتصوف، وكان شعاره

---

1 المرجع نفسه، ص 12.

2 محمد الطاهر عزوزي، تصوف الأمير عبد القادر – مقال –، أعمال الملتقى الوطني: " الحياة الروحية للأمير عبد القادر " مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 29 يونيو/ 01 يوليو 1998، ص 92/91.

العلم والعمل والإيمان وقد غدرت به فرنسا، وعوض أن تذهب به إلى المشرق العربي، ذهبت به إلى سجون فرنسا بحاشيته يوم 23 ديسمبر 1847م الموافق 1264هـ، ومع ذلك لم يستسلم وتفرغ للعبادة والكتابة والتدريس، وخيرته فرنسا على أن يبقى فيها، ولكنه رفض رفضا باتا، بقي الأمير متصوفا حتى في منفاه وإلى وفاته، فقد كان يزوره العلماء ورجال الدين من مختلف الديانات والمذاهب وكبار الضباط الذين كانوا أسرى عنده أثناء الجهاد في السجن وحينما أطلق سراحه في عهد نابليون الثالث، وفي 21 ديسمبر 1852م، ذهب إلى بروسة جنوب البحر الأسود، ومكث فيها ثلاث سنوات، ختن فيها أولاده وأطعم فقرائها وأنفق على من لحق به من الجزائريين ثم انتقل إلى دمشق بعد ثلاث سنوات بسبب الزلزال في 05 ربيع الثاني سنة 1272هـ، وقد استقبل فيها استقبال العظماء، ولما استقر بها كانت تأتيه الرسائل من أصدقائه في فرنسا وترده الأسئلة في شتى المسائل.. ونجده في هذه المرحلة قد زار المآثر الإسلامية وقبور الأنبياء في الشام، وتحركت في نفس الأمير الحمية الإسلامية فتدخل لتحرير الإمام شميل في القفاز، واسترجع دار الحديث الأشرفية وأوقفها على الشيخ يوسف، وكان ملتزما بالتصوف، واشترى دورا وبساتين أنفق ريعها على الفقراء والمساكين، وأطفأ الفتنة بين المسلمين والمسيحيين في جبل لبنان ودمشق سنة 1860م وبذلك أصبح محل احترام الجميع من طرف المسلمين والمسيحيين والرؤساء والملوك من مختلف دول العالم[1].

وقد كان الأمير لا ينقطع عن التدوين سواء في السجن بفرنسا أم في بروسة أم في دمشق وقد ألف كتبا نذكر منها:

1/ كتاب " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل " ألفه سنة 1855م.

2/ موسوعة " المواقف " وهي تتكون من ثلاثة أجزاء، وتعتبر أهم ما تركه لنا من تراثه الفكري والصوفي، وقد طبع طبعة أولى سنة 2004، تحقيق: الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحُسيني الشاذلي الدرقاوي، ضمن منشورات محمد علي بيضون، طباعة ونشر دار الكتب العلمية ببيروت، ومن أبرز التعاريف التي حظي بها هذا الكتاب الشهير والنادر ما أورده المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله في موسوعته " تاريخ الجزائر الثقافي " حيث يقول: (هو كتاب يضم 372 موقفا طبع مرتين أولاهما كانت في عهد ابنه محمد، سنة 1911م وقد قدم الأمير كتابه بعبارات صوفية مغرقة ووشح ذلك بمقامة أدبية خيالية عن معشوقة تشبه معشوقة ابن الفارض، وكل موقف من مواقفه تقريبا يبدأ بآية ذات معنى توحيدي أو صوفي، ثم يأخذ في شرح الآية شرحا صوفيا يتغلب عليه الفكر الباطني الذي يعبر عنه

1 المقال نفسه، ص 93/92.

بالأسرار والغيبة عن الشهود، وطالما عرض الأمير بأهل الرسوم وعلماء الظاهر الذين لا يدركون أسرار الوجود ولا الحقيقة الإلهية.. وقد أورد عددا من المرايا التي حدثت به، وجاء بأخبار ومواقف، حديث له يقظة أو مناما منذ كان بالجزائر[1]، يقول الأمير في المقدمة: (هذه نفثات روحية وإلقاءات سبوحية بعلوم وهبية وأسرار غيبية، من وراء طور العقول، وظواهر النقول، خارجة عن أنواع الاكتساب والنظر في كتاب قدمتها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا، إذا لم يصلوا إلى اقتطاف أثمارها تركوها في زوايا أماكنها، إلى أن يبلغوا أشدهم، ويستخرجوا كنزهم، وما قيدتها لمن يقول هذا إفك قديم وأساطير الأولين)[2].

3/ كتاب " المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد " وهذا الكتاب ألفه بالسجن بقصر أمبواز بفرنسا.

4/ وترك ديوان شعر جمعه ولده محمد وحققه ممدوح حقي بدمشق سنة 1960[3].

عوامل التصوف عند الأمير عبد القادر: إن الكلام عن أسباب التصوف عند الأمير يقودنا إلى الحديث عن العوامل النفسية التي تشبعت بها فطرته، وكذا إلى الحديث عن المحيط الذي تربى فيه ونشأ فيه، والحوادث التي اصطدمت به في مسيرة حياته وعلى رأسها الفترة التي كان مسجونا فيها بفرنسا.

يذهب بعض الدارسين إلى أن (العامل النفسي والاستعداد الفطري الذي كان يعيشه الأمير في صغره في حبه وميله إلى الروحانيات وكل ما يتعلق بالإيمان لدليل على قوة صافية وطاقة كامنة في أعماقه تنبئ عن رغبته في التصوف فقد جاء في قوله: " كنت مغرما بمطالعة كتب القوم منذ الصبا.. فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقوم منها شعري وتنقبض منها نفسي "، وإذا تأملنا دلالة الكلمات في هذه العبارة استنتجنا أمرين:

الأول: في قوله: منذ الصبا، وهو ما يعني أن قراءته لكتب القوم كانت منذ بدايات حياته وبالتالي فقد شب عليها.

الثاني: قوله: يقوم منها شعري وتنقبض منها نفسي، انقباض النفس يكون من أمر يجهله القارئ فيدخل في نفسه اضطرارا ويحدث أثرا عميقا على الشخص وهذا يكون لمن يملك صفاء داخليا، وقد

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ج 7، ص 118/117.

2 الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، المواقف، ط 1، 2004، تح: عاصم إبراهيم الكيالي الحُسيني الشاذلي الدرقاوي، منشورات محمد علي بيضون، طباعة ونشر دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص 9.

3 المقال نفسه، ص 94/93.

حدث هذا للأمير في سن مبكرة جدا)[1].

ولا يفوتنا أيضا أن المحيط الأسري الذي ترعرع فيه الأمير لعامل مؤثر على شخصيته، فقد حرص الوالد محي الدين على تربية الابن عبد القادر تربية الابن عبد القادر تربية صحيحة سليمة بأن لقنه الأخلاق والمفاهيم الدينية والعادات والتقاليد والأعراف المستوحاة من الشريعة، فمنها: الحياء، والوفاء بالعهد والتواضع، والإخلاص في العبادة والعمل والصدق في القول، وغيرها.. وأيضا لا ننسى أن تلك العائلة كانت عائلة علم، فالأب محي الدين شيخ زاوية كبير يلقي الدروس على تلاميذه في الدين والتشريع والآداب والروحانيات، ومن باب أولى أن يتلقى الابن تلك التعاليم.. أما المرحلة التي كان مسجونا فيها، فهي منتهى الأفق الروحاني المشرق، فعندما ضاقت عليه الأرجاء متواثبا مع وقدة الاضطهاد تارة، ووقدة الشوق تارة، وهذه الحادثة يومئ إليها الأمير في حديثه الرصين بقوله: " دخلت مرة خلوة فعندما دخلتها انكسرت نفسي وضاقت علي الأرجاء وفقدت قلبي، وإذا الأنس وحشة، والمطايبة مشاغبة... فكان نهاري ليلا وليلي ويلا، وتمكن الشيطان بالتمريج والتخليط.. فلم يبق معي من أنواع الصلات إلا الصلاة، وفي أثناء هذا الابتلاء رأيت رسول الله في المنام.." فتلك الإلهامات التي تؤنس وحشة الأمير كانت تزيد من قربه من الله تعالى والأمل فيه "[2].

الأثر الصوفي للأمير في الساحة الفرنسية:

يخلص المفكر الفرنسي إريك جوفروا إلى أن عظمة الروح التي طبعت شخصية الأمير عبد القادر قد بعثت في الكثير من أحبابه الذين كانوا يحتكون به من الفرنسيين الإعجاب به والولوع بعظمته وهذا التأثير إنما كان على الجنسين، فقد (كان كل من خالطه من الفرنسيين قد أُعجِب بشخصيته الفاتنة، كما وتظهر لنا بعض الوثائق غير المنشورة أخوات مسيحيات يرغبن في مرافقته إلى منفاه الروحي في الشرق، ومن مفارقات الاستعمار الفرنسي في نهاية القرن التاسع عشر أنه مكّن بعض المواطنين ذوي الأصول الفرنسية من الفكاك من أسار الحضارة الغربية التي بدأت تفقد سحرها، ومن العودة إلى " الصحراء " أو إلى "الشرق" – بحسب الرغبة – لإعادة التزود من الأصل، إن هؤلاء المتصوفة الفرنسيون الأوائل – أو ذوي الثقافة الفرنسية – هم في الغالب فنانون رسامون (إيتيان دينيه Dinet/ إيفان آغيليAgueli) أو كتّاب (إيزابيل إيبرهاردتEberhardt)، إنهم ينخرطون في " أسطورة " الشرق

1 موصدق خديجة، الأمير عبد القادر صوفيا- مقال، مجلة الأثر، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، العدد 03، أبريل 2009، ص 112.

2 المقال نفسه، ص 113.

الروحي، ويتقمصونه في حياتهم وأعمالهم. يرتبطون بطرق صوفية منتظمة، ومن كان منهم يعيش في الجزائر لفظته الجاليات الفرنسية، إن قيمة آغيلي تكمن في كونه من زرع أول شجرة للبس الخرقة في فرنسا، واستطاع أن يدفع غينون إلى الانخراط في الطريقة الشاذلية سنة 1912 في قلب باريس، أما الطريق الذي سلكته إيزابيل إيبيرهاردت (ت1904) – وهو طريق خاطف لأنها توفيت ولها من العمر سبعة وعشرون عاما– فهو أكثر غرابة، فأصولها تبدو غامضة، والبعض يرجعون أبوّتها إلى (أرتور ريمبو Rimbaut) وقد أصبحت فرنسية لتزوّجها من صوفي جزائري، وأصبحت تطبق أصول التصوف ضمن الطريقة الرحمانية)[1].

المطلب الثاني: نظرة الرأي العام الفرنسي للإسلام والمسلمين

في الغرب وفي فرنسا بالذات لم يهضم الفرنسيون عدة أشياء في الإسلام مثل قضية عدم مساواة الرجل والمرأة في الميراث، وتعدد الزوجات في الإسلام وهو موضوع يراه الغربيون أمرا مخالفا لمنطق قوانينهم السائدة، والتي ما انفكت تثير جدلا حول الإسلام في فرنسا، هذا بالإضافة إلى الوجود الإسلامي المتنامي عددا، والذي يطرح قضايا لم يسبق أن عاشها الفرنسيون فيما مضى واهتموا بها، فالمسلمون اليوم متهمون تارة عن جهل بأشياء مغرضة نابعة من الحقد على المسلمين في فرنسا، كما نرى ذلك عند بعض الشخصيات الفرنسية التي جعلت من الوجود الإسلامي في فرنسا همها الأوحد، كما هو الشأن بالنسبة لفيليب دوفيلي الذي أصدر كتابا عن مساجد مطار رواسي وهي أساسا عبارة عن مصليات يلتجئ عمال المطار المسلمين إليها لأداء صلواتهم وجعل منها دوفيلي قضية وطنية فرنسية، وطرح الوجود الإسلامي في فرنسا بمثابة خطر يهدد المجتمع الفرنسي، كما أن قضية الأئمة لم تحسم حتى الآن فالفرنسيون يريدون أئمة من فرنسا[2].

إن الخوف من الإسلام لا يعود تاريخه إلى أحداث 11 سبتمبر 2001 ولا إلى اندلاع الأحداث المأساوية الأخيرة في الجزائر ولا حتى إلى ثورة الإمام الخميني 1979، بل هناك جهل بالإسلام، مع العلم أن فرنسا اتصلت بالإسلام منذ أكثر من قرنين وأن الإسلام اليوم هو الديانة الثانية في فرنسا، بوجود أكثر من 5 ملايين مسلم فوق الأرض الفرنسية، فهناك في فرنسا اليوم أكثر من تيار إسلامي متهم، منها التيار " السلفي الوهابي " وحركة " الإخوان المسلمين " التي تتجسد في رأي الإعلام

---

[1] http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=29551 تاريخ 2010/03/12/ / تم إضافته بتاريخ: الاطلاع: 2014/11/18.

2 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 30/29.

والكتاب والسياسيين الفرنسيين، في " اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا " " Union - UOIF - Organisation Islamique de France "

وقد تعرض الكاتب الجزائري الأستاذ صادق سلام - في كتابه الذي يعد تتويجا لما كتبه عن الإسلام في فرنسا إذ أرخ للوجود الإسلامي في فرنسا خلال قرن كامل ليؤكد أن الإسلام في فرنسا ليس إسلام المهاجرين أي الذي وفد مع المهاجرين من المغرب العربي ومشرقه - وكان هذا الكتاب قد سبق وظهر في منشورات فايار Fayard بباريس سنة 2006، وقد أعادت منشورات القصبة بالجزائر نشره – في الفصل الأول إلى الاتفاق الذي أبرمه ملك فرنسا فرانسوا الأول، وسليمان القانوني عن تركيا سنة 1535 والذي أصبح بموجب هذا القانون يحق للمسلمين التابعين للإمبراطورية العثمانية الحضور إلى فرنسا، وقد مهد هذا الاتفاق الطريق إلى الموريسكيين من مسلمي أسبانيا بعد سقوط آخر معقل للإسلام في قرطبة 1492، وطرد بقايا المسلمين من هذا البلد، وكان ملك أسبانيا قد أخلف العهد شأنه في ذلك شأن الغزاة المسيحيين، وذلك عندما أعطى وعدا بأنه سيحترم الدين الإسلامي ودور عبادته، ولكننا نراه يعمل العكس إذ باشر بسرعة عملية تنصير بالقوة لمن بقي من المسلمين، وكان ملك فرنسا هنري الرابع تعهد باستقبال العديد من هؤلاء الموريسكيين من بقايا المسلمين في أسبانيا، والعدد الآخر هاجر إلى بلدان المغرب العربي فرارا بدينهم، والعديد منهم التهمته أمواج البحر قبل نزولهم بالشواطئ الآمنة في المغرب والجزائر، كما احتفظ هنري الرابع بالعديد من هؤلاء وكان منهم الأغنياء وكبار الحرفيين فاستثمر ذلك في صناعة الفسيفساء والحديد وصناعة الحرير، ويذكر أن الآلاف من هؤلاء قد اعتنق الديانة المسيحية البروتيستانتية[1].

نظرة المجتمع الفرنسي للإسلام:

في فرنسا اليوم حوالي 7 ملايين مسلم منهم حوالي 3 ملايين هم أبناء المغرب العربي ويعيش هؤلاء ظروفا صعبة رغم أن حوالي مليونين منهم يحملون الجنسية الفرنسية، وهم بالتالي مواطنون فرنسيون بحكم القانون، بل إن أبناء المهاجرين من الجيلين أدى جلهم الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي، بل إن البعض من هؤلاء شارك في مغامرات فرنسية حربية في لبنان وتشاد ومات منهم عدد لا نعرف بالضبط رقمه، إن مسلمي فرنسا في حيرة من أمرهم فهم من جهة يقرؤون صباح مساء أن فرنسا بلد حقوق الإنسان – وحرية الديانة، وحرية التعبير – غير أنهم في الحياة اليومية يواجهون مشاكل جمة فقد عاشوا حوالي 16 سنة على وقع معركة الحجاب، صورة من معاناة المسلمين في المهجر، وقد صادق

1 المرجع السابق، ص 31/30.

البرلمان الفرنسي بغرفتيه على قانون منع الحجاب، وأثيرت مؤخرا قضية أخرى وهي قضية الأئمة " العاملين " فوق الساحة الفرنسية، وتتهمهم السلطات الفرنسية بأنهم أصوليون، معادون للنظام العلماني السائد في فرنسا، كما تتهمهم السلطات الفرنسية بجهلهم للمجتمع الفرنسي بسبب جهلهم للغة الفرنسية، وتطالب السلطات الفرنسية بأئمة مكونين في فرنسا يحملون الجنسية الفرنسية ويتقنون اللغة الفرنسية وملمين بالحضارة الفرنسية، وهذا حسب السلطات الفرنسية يتطلب إنشاء مراكز لتكوين الأئمة في فرنسا بدلا من استيراد الأئمة من أقطار المغرب العربي أو مشرقه[1].

الفرع الأول: الإسلام والمسلمون في اهتمامات الكتاب الفرنسيين

تم إجراء استفتاء مؤخرا[2]، حول موقف الرأي العام الفرنسي من الإسلام والمسلمين في فرنسا، وقد قامت به جريدة " فرانس سوار " ولأهمية هذا الاستفتاء نورده لمعرفة حقائق عن الإسلام في فرنسا، وكانت أسئلة الاستفتاء كالتالي:

السؤال الأول: هل تفكر في التعرف على الإسلام ؟

فأجابت نسبة 22% بـ: (نعم نفكر جيدا في ذلك)

وأجابت نسبة 77% بـ: (لا نفكر أبدا في ذلك)

السؤال الثاني: هل قرأت كتابا منذ 10 سنوات على الإسلام ؟

فأجابت نسبة 24% بـ: (نعم قرأنا عدة كتب حول الإسلام)

وأجابت نسبة 33% بـ: (أنها تملك صورة إيجابية عن الإسلام)

وأجابت نسبة 53% بـ: (أنها لاحظت تطورا وسط المجتمع الفرنسي إزاء الإسلام والمسلمين)

السؤال الثالث: هل يتعارض الإسلام مع العلمانية وقيم الجمهورية ؟

فأجابت نسبة 33% بـ: (أن الإسلام لا يتعارض مع قيم الجمهورية التي تحكم المجتمع الفرنسي)

السؤال الرابع: الإسلام والتطرف ؟

فأجابت نسبة 72% بـ: (أنها تلحظ صعود التطرف في فرنسا).

وأجابت نسبة 85% بـ: (أن هناك أصوليون مسلمون في فرنسا ولكنهم لا يشكلون نسبة

1 المرجع السابق، ص 79/78.

2 جرى الاستفتاء في شهر جوان 2007.

كبيرة)[1].

قضية الحجاب والرأي العام الفرنسي:

سال في فرنسا حبر كثير حول قضية الحجاب، وصدرت حول الموضوع كتب ودراسات وكونت حول الموضوع لجان، وتسبب الموضوع في مظاهرات صاخبة في باريس مناهضة لقانون منع الرموز الدينية في المدارس الحكومية، وفي مقدمتها الحجاب الإسلامي، فقد ارتأت جريدة " فرانس سوار " إجراء استفتاء لمعرفة موقف الرأي العام الفرنسي حول موقفه لمعرفة موقف الرأي العام الفرنسي حول موقفه من الحجاب:

فأجابت نسبة 71% بـ: (أن المرأة المتحجبة خاضعة لأسرتها)

السؤال الأول: هل المرأة المتحجبة محترمة من طرف محيطها ؟

فأجابت نسبة 51% بـ: (نعم) ونسبة 32% بـ: (لا)

السؤال الثاني: هل أنت مع الحجاب أو منعه في المدارس الحكومية ؟

فأجابت نسبة 64% بـ: (أنها مع منع الحجاب في المدارس الحكومية)

وأجابت نسبة 22% بـ: (أنها تعارض هذه الفكرة)

السؤال الثالث: ما هي الأحداث التي أثرت في المجتمع الفرنسي ؟

فأجابت نسبة 64% بـ: (أن أحداث 11 سبتمبر 2001 في أمريكا أثرت فيهم كثيرا، وأحداث مدريد التي تسببت في مقتل 200 شخص إسباني، واتهمت القاعدة في الموضوع)

وأجابت نسبة 17% بـ: (أنها تأثرت بهذا الحادث تأثرا بليغا)

وأجابت نسبة 05% بـ: (أنها تأثرت بحادثة اغتيال الرهبان في الجزائر بتبحيرين سنة 1996)[2].

وقد طالب بعض الفرنسيين بإبداء شدة إزاء المسلمين الأصوليين والذين يقفون في وجه معاداة دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي، بينما يرى بعض المتطرفين أن المسلمين غير قابلين للاندماج بسبب الإسلام، وقال أحد غلاة المتطرفين في هذا الميدان: (إن فرنسا استطاعت دمج الإيطاليين والبولونيين والأسبان في المجتمع الفرنسي في حين أن فرنسا قد بذلت جهودا في دمج المسلمين فما استطاعت

1 المرجع السابق، ص 80/79.

2 المرجع نفسه، ص 80.

والسبب هو " الإسلام ") ويرد مسلمو فرنسا على هذه المقولة بقولهم: (نعم للاندماج في المجتمع الفرنسي اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، ولكن مع الاحتفاظ بهويتهم الدينية وخصائصهم المميزة، ورافضين للانصهار والذوبان الحضاري، لأن ذلك يعني التخلي عن عقيدتهم وانتمائهم الحضاري العربي الإسلامي، وهذا ما لا يرتاح إليه الفرنسيون، الذين يريدون من المسلمين في فرنسا التخلي عن هويتهم وانصهارهم بصورة كاملة في المجتمع الفرنسي وهو أمر يرفضه حاليا الجيلان الثاني والثالث من أبناء المسلمين في فرنسا، أما الأجيال القادمة فمصيرهم غير معروف)[1].

وقفة مع المستشرق الفرنسي " غوستاف لوبون (1841/5/7 – 1931/12/13) ":

لكن مع كل ما نجده من حركة معادية للإسلام والوجود الإسلامي في فرنسا إلا أننا نجد بعض الكتاب الفرنسيين الذين ينصفون (ولعل في مقدمة هؤلاء المستشرق الفرنسي " **غوستاف لوبون** " صاحب كتاب " حضارة العرب " الذي كتب في كتابه هذا مشيدا بعلماء العرب والمسلمين ومدى تأثيرهم في الفكر الغربي ويقول بهذا الصدد: " كان تأثير العرب المسلمين على الغرب عظيما، وإليهم يرجع الفضل في إنارة أوربا بمعارفهم، ولا يتسنى معرفة التأثير العظيم الذي أثره المسلمين في الغرب إلا إذا أدركنا مدى تخلف أوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة الإسلامية إليها في القرن التاسع والعاشر الميلادي"[2] ويواصل لوبون توصيفه للحالة التي كانت تعيشها في العصور التي كانت الأندلس منارة عالمية للتحضر والعلم والنبوغ فيقول: "حين ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بينما كان سادة أوربا نصف متوحشين يعتكفون في أبراج عالية ويتفاخرون بأنهم أميون، فالعرب المسلمون هم الذين أخرجوا الغرب من التوحش، وأعدوا النفوس للتقدم والرقي بفضل علوم النهضة الأوربية " وهذا الاعتراف من مستشرق فرنسي لا نجد له مع الأسف مكانا في الكتب التاريخية المدرسية الفرنسية، ويقول أحد الكتاب " إن تصحيح صورة الإسلام المشوهة في الغرب لن يتم إلا عندما يبدأ الغرب في التخلص من أثر الموروث التاريخي في وعيه وعقله، وعلى الغرب أن ينظر إلى الإسلام بموضوعية وعقلانية، ويطرد من فكره الأنماط المتجمدة عن الإسلام والمسلمين، حتى يرى الإسلام والمسلمين كما هم ليس كما صورتهم الكنيسة في القرون الوسطى لتخويف المسيحيين منه "، وقد لا حظ بعض الباحثين أن كل الكتاب المسلمين الذين شاركوا في ندوة بعنوان: " الإسلام والمسلمون في الكتب المدرسية الأوربية " يحملون الغربيين كل الأوزار دون أدنى إشارة إلى سلوكنا وواقعنا، إننا نقدم أنفسنا للعالم الغربي كضحايا للمؤامرة

1 المرجع السابق، ص 81/80.

2 المرجع نفسه، ص 94.

الغربية الصهيونية نعفي أنفسنا من كل السيئات وهذه إحدى الكبر في رأي الباحث، وإن العرب والمسلمين سواء في أوطانهم الأصلية أو في الغرب يتحملون مسؤوليات كبيرة، فالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في أوطاننا الأصلية مزرية للغاية، غياب للديمقراطية، الحكم العشائري الاستبدادي، والفساد والرشوة والمحسوبية والجهوية والقبلية.. هذه كلها أمراض ينبغي أن نعمل على التخلص منها حتى لا يجد الغرب سبيلا للتهجم علينا كمسلمين، وكأن الإسلام وراء كل هذه الأمراض، فما يرتكبه بعض المسلمين باسم الإسلام يغذي سياسة الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين من طرف الغربيين، ونحن لا نعفي الغرب من مسؤولياته التاريخية ضد الإسلام والمسلمين، فقد استعمر شعوبا، ونهب خيراتها، وزرع دولة الصهاينة في قلب البلاد العربية، وغزا العراق، ونهب بترولها وتراثها الفكري والتاريخي، ومع كل ذلك فلا ينبغي أن نتموقع في موقع المتهم للآخر باستمرار، معفيا نفسه من كل مسؤولية[1].

تغير الخارطة الأيديولوجية:

كثيرا ما يتم التساؤل حول انتقال العالم الإسلامي مباشرة بعد سقوط جدار برلين إلى أحد أهم الأعداء لدى الرأي العام الغربي، وهو الذي كان إلى زمن قريب حليفا ضد الشيوعية، لفهم هذا التحول السريع للرأي العام ينبغي أن يتوقف الباحث أمام نوعين من الدعاية تؤكدها الأبحاث في هذا المجال، وهما الدعاية السياسية، والدعاية الاجتماعية.

1/ الدعاية السياسية " Political Propaganda ":

وهو ما يسميه الفرنسي جاك إيلول[2] ببرابكاندا التهييج، وتكمن في الخطاب السياسي المباشر الذي يظهر في وقت الأزمات بهدف التعبئة الآنية في حدث طارئ معين، وقد تقوم به المؤسسات أو الأفراد، كما يعتمد فيه على أساليب مختلفة كتلك التي نجدها في نظرية جوزيف ناي[3] فيما يعرف بالقوة الحريرية أو القوة الناعمة التي تعتمد الخداع كأسلوب للإقناع عوضا عن العنف بحيث تضمن انضمام

1 المرجع السابق، ص 95/94.

2 جاك إيلول (1912- 1994) كتب حول الدعاية واشتغل أستاذا لتاريخ القانون، كما اشتغل على مواضيع مختلفة من علم الاجتماع إلى اللاهوت بحكم اتباعه للطائفة البروتيستانتية، كما عرف بكتاباته المعادية للإسلام، ومواقفه التي تحذر من المسلمين واندماجهم في المجتمع الأوربي.

3 جوزيف ناي، أحد أهم أساتذة العلاقات الدولية وأبرز منظري السياسة الخارجية الأمريكية، عمل إلى جانب العديد من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية مثل كارتر وبيل كلينتن، واشتهر في بداية التسعينات بمفهوم القوة الناعمة على اعتبارها السبيل الوحيد لحماية إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية من الانهيار بسبب فقدانها للجاذبية أمام الرأي العام، وذلك لاعتمادها العنف في مشاريعها الجيواستراتيجية.

الجماهير لمشروع ما دون الوقوع في فخ الدخول في حروب طويلة الأمد تؤدي إلى فقدان المصداقية أمام الرأي العام كما وقع في حرب الفيتنام.

2/ الدعاية الاجتماعية:

لقد بدأت إرهاصات هذا النوع من حملات التحريض ضد العالم الإسلامي منذ نهاية الحرب الباردة وظهور نظريات الصراع الحضاري التي كتب عنها صامويل هانتنغتن كتابه " صراع الحضارات " وتبنتها مراكز الأبحاث والدراسات التي أحيت أكثر النظريات الاستشراقية حقدا في التعاطي مع قضايا الإسلام والمسلمين، وقد تكاثرت هذه المراكز كالفطريات، وبشكل ملفت للنظر مع اقتراب القرن الواحد والعشرين، بالتوازي مع حاجة المؤسسة الغربية المتزايدة والملحة إلى تهييج الرأي العام لضمان قبوله بفكرة الدخول في حرب حضارية شاملة وطويلة الأمد ضد " عدو من نوع جديد "[1].

الفرع الثاني: الإعلام الفرنسي والإسلام

(أدمغة في كامل الاستعداد لصالح " ميديا ميتري Médiamétrie ") بهذا العنوان المشتق من تصريح " باتريك لولاي " عنون المرصد الفرنسي للإعلام أحد نشراته لسنة 2005[2].

إذا علمنا أن كل هذه الجاهزية تستعمل في الإعلام فإننا ندرك أن الإعلام أصبح سياسة كما يقول إيدوارد بيرنايز: (الفن كالسياسة تمتلكه فئة قليلة تحتاج أن تقابل الجمهور على أرضه، وأن تدرس بنية الرأي العام لتستخدمه بحكمة)[3].

شخصية المسلم في الرسوم المتحركة:

متى تنتهي التسلية ومتى يبدأ التسميم السياسي، يقول أستاذ التاريخ " سيباستيان روفات "[4] متسائلا عن علاقة الرسوم المتحركة بالدعاية، سؤال قد يبدو وجيها لكنه مخالف لما عودتنا عليه فهرسة المؤلفات والموسوعات التي تعنى بتاريخ السينما، فغالبا ما نجد الرسوم المتحركة مدرجة ضمن تصنيفات الأدب العجائبي "Fantastique" وفي أحسن الأحوال قد نجده في جملة أنماط الإبداع السريالية[5].

---

1 للتوسع في فهم تغير الخارطة الإيديولوجية والوسائل المستعملة ينظر: أمين صوصي علوي، خصائص الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، دط، 2011، ص 18 وما بعدها.

2 المرجع السابق، ص 31.

3 لإيدوارد بيرنايز، برابكاندا، ص 129.

4 أستاذ التاريخ، ومؤلف كتاب الرسوم المتحركة والبرابكاندا.

5 المرجع نفسه، ص 43.

الأمير أحمد وبوادر التنميط:

في الفاتح يوليو من عام 1926 كان جمهور باريس على موعد مع عرض فيلم الرسوم المتحركة " مغامرات الأمير أحمد " (Les aventures du prince Ahmed) للمخرجة اليهودية الألمانية " لوت راينيغر " (1899-1981) ولأن الحدث كان غير عادي فإن الهالة التي أحيطت به تجعلنا أمام حدث سينمائي يستحق البحث والتشفير لفهم الأسباب الفعلية لنجاح ما سنسميه بإيقونوغرافيا " راينيغر " التي مازالت تكرر إلى أيامنا هذه وتلقى النجاح ذاته، من السهل إدراك الأهمية التي حظي بها فيلم " مغامرات الأمير أحمد " منذ أن تم عرضه لأول مرة في مسرح الشانزيليزيه سنة 1926 بدعم من المسرحي الفرنسي الشهير " لوي جوفي Louis Jouvet " والمخرج السينمائي " جان رونوار Jean Renoir " ومن السهل أيضا إدراك القيمة التاريخية التي يشكلها الفيلم لدى القائمين على السينما في أوربا حينما نجده مدرجا ضمن التراث ويتم ترميم نسخته الإنجليزية سنة 1999 من طرف متحف الأفلام الألماني "Deutsches Filmmuseum " بعد أن فقدت نسخته الألمانية الأصلية ليعرض بعد ذلك سنة 2007 ضمن الأفلام الكلاسيكية في مهرجان كان السينمائي1.

وها هي " نوفيل أوبسيرفاتور " التي يديرها **دانيال بن سعيد**، المعروف إعلاميا بـ " **جان دانيال بن سعيد** " من يهود الجزائر ومن مواليد البليدة، فهو إن وقف إلى حد ما مع ثورة نوفمبر 1954، إلا أننا نجده في مجلته معاديا للمسلمين في فرنسا وقد عارض بشدة وجود الحجاب في المدارس الفرنسية وطالب بضرورة منع هذا الحجاب2.

أزور وأسمر نموذج للتسامح:

في قلب أوربا العصور الوسطى تبدأ الحكاية، حكاية المرضعة جينان وابنها أسمر، في زمن الإقطاع تعمل جينان مرضعة ومربية لابن أحد الأغنياء الذي كان طفلا طيب القلب واسمه أزور، تفرق الأقدار بين الأخوين من الرضاع، أسمر يغادر مع والدته إلى بلدها الأصلي بعد أن طردهما والد أزور الإقطاعي..

وفي ختام القصة يقف كل من الأخوين على كنز ثمين، قوامه التسامح، وأضحى كل يتمنى لأخيه ما يتمناه لنفسه، وتنتهي الحكاية المشوقة نهاية سعيدة بحصول كل واحد منهما على زوجة من بلاد الآخر، فأسمر يتزوج حورية أوربية من قريبات الجان، أما أزور فيحصل على حورية ألجان الشرقية.

---

1 المرجع السابق، ص 53.

2 المرجع نفسه، ص 33.

بانتهاء عرض فيلم " أزور وأسمر " سنة 2006 تشتعل أنوار قاعات العرض الباريسية على أنغام جينيريك النهاية، وقبل أن ينتهي عرض أسماء الفنيين وشركات الإنتاج والتوزيع، يخرج الحضور الضخم بالتدريج ديرا ظهره لآخر كلمات المخرج الفرنسي " ميشيل أوسلو Michel Ocelot " (تم تصوير هذا الفيلم في باريس على يد أشخاص من أصول مختلفة يجمعهم التوافق التام من: " الجزائر، ألمانيا، الأرجنتين، أرمينيا، بلجيكا، مصر، الصين، أسبانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، بريطانيا، العراق، إيطاليا، اليابان، لاووس، لبنان، لوكسمبورغ، المغرب، فلسطين، السينغال، سوريا، تركيا، تونس، الفيتنام، اليمن)[1].

وفي سبيل تصحيح صورة الإسلام والمسلمين نجد العديد من المبادرات ومن ذلك كتاب " الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة وهم الصدام وحتمية الحوار " فيسعى إلى نفي صفات العنف والكراهية للآخر التي أصبحت جل وسائل الإعلام الغربية تنعت بها الإسلام خصوصا بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 كما أنها تتهمه بالعدوان وعدم الرغبة في الحوار حتى تكونت لدى أكثرية المتلقين الغربيين عقدة الخوف من هذا الدين المسالم والمعتدل وهي ما أطلقوا عليها مصطلح " L'islamophobie "[2].

1 المرجع السابق، ص 69/68.

2 أحمد بشنو، نظرات في حملات تشويه صورة الإسلام والرسول في الإعلام الغرب والبرامج التربوية بفرنسا، مداخلة ضمن اليوم الدراسي: البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام، كلية الشريعة، فاس، يوم: 09 ماي 2006، مطبعة آنفو، فاس، دط، 2007، ص 70.

المبحث الثاني: التصوف رافد من روافد الإسلام في فرنسا

كانت فرنسا من أهم البلدان الأوربية وأقدمها اهتماما بالدراسات العربية الإسلامية، وفيها تأسس أول معهد وطني لدراسة " الحضارات الشرقية 1795 " وفي سنة 1995 احتفل الفرنسيون بمرور قرنين على إنشاء هذه المؤسسة العريقة والتي لا زالت قائمة إلى اليوم، وتقوم بدورها بالتعريف بالحضارات العربية والإسلامية والحضارات الشرقية الأخرى1.

أول بلد أوروبي اهتم بالأدب العربي:

وفي سنة 1995 كان عدد الطلبة الدارسين للغة العربية في هذه المدرسة 1100 طالب، ينتمون لعدة جنسيات عربية وفرنسية ومن بلدان أجنبية أخرى، ويفتخر الفرنسيون بأنهم أول بلد أوروبي قام بالاهتمام بالأدب العربي حيث عمد " أنطوان غالند Antoine Galland " (1646-1715) إلى ترجمة كتاب " ألف ليلة وليلة " وقد ظهرت هذه الترجمة الحرة تحت عنوان:

Les Milles Et Une Nuit Contes Arabes Traduit En Français Paris 1704-1717. 12 Vol.

في أثنى عشر مجلدا، وبهذه الترجمة فتح " غالاند " لأوروبا نافذة واسعة على الأدب القصصي العربي، وأعطى صورة حافلة بالتهويل والتهويم عن العالم الإسلامي والشرقي عامة، وبعد " غالاند " أخذ القوم في أوربا في الاهتمام بـ: (ألف ليلة وليلة)2.

وقد تم ترجمة القرآن الكريم و(كان في بداية الأمر أوربيا محضا، فكانت الترجمة في البداية تتم من العربية إلى اللاتينية، وفي المرحلة الثانية أخذت اللغة الفرنسية تحتل مكانة اللغة اللاتينية في ترجمة القرآن الكريم إليها، فكانت الترجمة الأولى للقرآن الكريم باللغة اللاتينية هي تلك التي دعا إليها ورعاها بطرس المحترم Pierre Le Vénérable رئيس دير كلوني Cluny وتولاها بطرس الطليطلي، وهرمن الداش، وروبيرت كينت، بمعاونة عربي مسلم يدعى " محمد " ولا يعرف له لقب ولا كنية ولا أي اسم آخر، وقد تمت الترجمة سنة 1143 وطبعت في بازل بسويسرا 1543م، وقام بنشر هذه الترجمة اللاتينية تيودور بيبلياندر3.

---

1 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 123.

2 للتوسع في الموضوع يراجع عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984.

3 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 124/123.

أما باللغة الفرنسية فقد اتخذت طابعا من الذيوع والانتشار على نطاق واسع على يد مستشرقين فرنسيين متضلعين بالدراسات العربية الإسلامية، ومن هذه الترجمات ترجمة دوربير Durpyer التي ظهرت سنة 1634م وترجمة سافاري سنة 1783م، وميركسي سنة 1848م وماردوس سنة 1926 ومونت سنة 1929م وريجس بلاشير (1900-1973) الذي قام بترجمة العديد من أمهات التراث العربي من العربية إلى الفرنسية، وقد ترجم إلى جانب ما ذكرنا القرآن الكريم، وقد سلك في ترجمة هذه مسلكا آخر إذ رتب القرآن في هذه الترجمة وفقا لما ظنه ترتيب نزول السور والآيات، ثم ظهرت له طبعة أخرى سنة 1957م ووزعت على نطاق واسع، وقد عاد في ترجمته هذه إلى الترتيب الأصلي الوارد في المصحف، ثم جاءت المرحلة الثالثة من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، وشارك فيها علماء مسلمون بعد أن كانت العملية حكرا على المستشرقين وحدهم لا ينازعهم في الأمر أحد.

وهكذا ظهرت ترجمة الشيخ **حمزة بوبكر** الذي شغل منصب عميد مسجد باريس (1957-1982) ويقول العارفون بترجمة القرآن الكريم أن ترجمة الشيخ **حمزة بوبكر** – وهو من الأبيض سيدي الشيخ – هي أفضل ترجمة للقرآن الكريم في حين يفضل البعض ترجمة المرحوم الدكتور حميد الله، وهي ترجمة معتمدة أكثر وخاصة بعد أن تولى مجمع الملك فهد في المملكة العربية السعودية باعتماد هذه الترجمة، والقيام بتوزيع ملايين النسخ من هذه الترجمة في العالم، وتوالت بعد ذلك ظهور ترجمات أخرى فظهرت ترجمة الدكتور **كشريد ونور الدين بن محمود** وكلاهما من تونس، وتحدث الناس كثيرا عن ترجمة **جاك بيرك (1910-1995)** التي استغرق في إعدادها كما ذكر 16 سنة كاملة، راجع خلالها مختلف التفاسير وقد اعتبرها الدكتور **أحمد طالب الإبراهيمي** أفضل ترجمة ظهرت مؤخرا في مجال (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية) في حين تلقى **جاك بيرك** هجوما واسعا شنه عليه بعض أساتذة الأزهر على منبر " الأهرام " متهمين إياه بشتى التهم، وقد اغتاظ بيرك من هذا الهجوم الذي شنه عليه علماء مصر، وتساءل قائلا: (لماذا سكت الأزهر ومشايخه عن ترجمة **أندري شوراكي** على ما في هذه الترجمة من نقص وتشويه)1.

التصوف في فرنسا في العصور الوسطى:

يذهب أحد أشهر الباحثين في الفكر الصوفي المعاصر في فرنسا وهو المفكر الصوفي " إريك جوفروا " في مقال له بعنوان: (التصوف وفرنسا) إلى (أن العلامات الوحيدة المؤكدة عن حضور التصوف في فرنسا إبّان العصر الوسيط تأتينا من أحد المقرّبين من الملك سان لويس، وهو كاتبه وصديقه جوانفيل

1 المرجع السابق، ص 125/124.

(ت 1317). يورد لنا هذا الأخير قول الدومينيكي المستعرب إيف لو بروتون (Yve le Breton) الذي التقى بعكّا في القرن الثالث عشر امرأة تتحدث عن العشق الإلهي تماما كما أنشدته رابعة العدوية (ت 801) الزاهدة المسلمة الأكثر شهرة في أرض الإسلام. لم يعرّف جوانفيل بهذه الولية العراقية الصالحة، ولكن شخصيتها التي طالتها الأسطر ستغذّي الجدل التيولوجي حول العشق الإلهي الذي كان يهزّ فرنسا في القرن السابع عشر، وهي تثير الإعجاب لدى أتباع الحب الصافي: يجب أن تحبّ الله لا طَمَعًا في جنّته، ولا خوفا من عذابه، ومع ذلك فإن تحول أسطورة رابعة لا تعني البتّة تقبّلا إيجابيا للتصوف في فرنسا)1.

وفي السياق ذاته يقول: (ومن البديهي أن وجود الفرنجة في الشرق الأدنى سمح بقيام صلات بين المسيحيين والمسلمين، وذلك طبعا بحسب تحالفات أمراء الفريقين. وفي الإطار العام للمواجهة بين الصليبيين والمسلمين فإن تجارة الأفكار لا يمكن أن تتمّ إلا بشكل سرّي وشفاهي، وهو ما يفسّر الأثر النادر الذي بقي لنا. لقد كانت الحرب هي نفسها مناسبة للتعرّف المتبادل، وأحيانا للـ "انتقال" الديني: فمن الممكن أن يكون أحد الفرنجة الذين هاجموا دمياط سنة 1249 – مع سان لويس في الحرب الصليبية السابعة – قد أسلم على إثر قتله لأحد الصالحين المسلمين، وكانت المعجزة عندما كلّمه هذا بعد موته، مع العلم أن هذه الحالات في المصادر العربية نادرة جدا)2.

العصر الحديث:

لا يكاد يجد الدارس لتاريخ الحركة الصوفية في الغرب انقطاعا لها منذ بداياتها إلى أن بلغت العصر الحديث والمعاصر، والناظر لتاريخ التصوف في فرنسا في العصر الحديث يخلص إلى أننا (إذا ما استثنينا بعض الرحلات الفرنسية فيما بين القرن الرابع عشر والثامن عشر التي وصفت – وبانحياز كامل – أوساط "الدراويش" في الشرق (**دو نيكولاي؛ شاردان**...)، أو حتى الترجمة الفرنسية لألف ليلة وليلة " **لغالاّن** " في نهاية القرن الثامن عشر حيث نجد الأعمال الخارقة للقَلَندار3، فقد كان علينا ترقّب القرن التاسع عشر حتى يتمكّن الجمهور الفرنسي من الحصول على معرفة موضوعية حول التصوف. وتمثل رحلة إلى الشرق " **لجيرار دو نرفال ت 1843**" في هذا المجال قطيعة حاسمة، عبر شهادة التعاطف التي

1 إريك جوفروا، مقال سابق.

2 المقال نفسه.

3 تنسب هذه الأعمال للشيخ قلندار شاه حفيد الإمام أبي حنيفة النعمان، وإليه ينسب كتاب " أسرار الخلواتية " المنتشر في أرمينيا الشرقية.

يقدّمها، أو أكثر من ذلك عبر السحر العميق الذي مارسه دراويش القاهرة واسطنبول على المؤلف.. ويلعب الاستشراق الفرنسي في القرن العشرين دورا محدِّدًا أكثر فأكثر في " تذوّق " التصوّف، ولا شك أن سبب ذلك يكمن في أن أبرز المستشرقين كانوا هم أنفسهم قد سلكوا طريق البحث الروحي، وقد تزوّد كلّ من **لويس ماسينيون** و**هنري كوربان**، في إطار مسيرتهما المسيحية، من الزهد الإسلامي، وزوّدوا بدورهم جمهورا يقف على الحد بين الطريق الأكاديمي والبحث الداخلي. وإذا كانت رهاناتهم الشخصية تبرز غالبا في أعمالهما وإذا ما عدّلوا أحيانا أوتار موضوعيتهما، فإن قوّة شخصيتهما قد ساهمت في نشر الثقافة الصوفية في فرنسا، ويعترف " المتصوفة " المعاصرون أيضا بدين في رقابهم تجاه رجال دين مسيحيون عرضوا قطعا أساسية من التراث الصوفي: **لويس** Gardet **غارديه**؛ **لوجييه دو** بوريكوي de Beaureceuil، **بول نويا**Nwyia وقد زاوج بعض الدارسين بين مجال الدراسة والتوجه الروحي وذلك عبر تطبيق تعاليم إسلام صوفي، مثل **إيفا دو فيتراي– مايروفيتش**) de Vitray-Meyerovitch ت 1998) **وميشيل شودكيفيتز** .Chodkiewiecz إن الوجود الفعلي لمتصوّف في فرنسا أو لمجموعة من المتصوفة يعود بلا ريب إلى **الأمير عبد القادر** الذي حُجِز في فرنسا مدة خمس سنوات (1847-1852)[1].

وعلى الرغم من رحيل **الأمير عبد القادر** عن فرنسا باتجاه مثواه الروحي إلى بلاد الشام بجوار شيخه **محي الدين بن عربي** الشيخ الأكبر، (وحتى إذا ما افتقدت هذه الهالة الملحمية، فإن حياة هؤلاء الأوائل تستحيل مع الوقت إلى رواية، كذا عند **أوريلي بيكار** (ت **1933**) بطلة ''جبل أمور'' (**فريزون روش**)، تتزوّج " **لوران** Lorraine " سنة 1872 شيخا تيجانيا، ينتمي إلى الطريقة التيجانية من الجنوب الجزائري، وتعمل على تنمية الزاوية الأم بعد موت هذا الأخير، هناك أيضا في هذه الفترة وجه نسائي آخر يندّ عن التحديد " **الكونتيسا فالاتين دو سان بوان** (ت **1953**) Valentine de Saint Point "، وهي حفيدة متأخرة لـ: " **لامارتين** "، التي دخلت الإسلام بعد أن عاشت حياة منحرفة في أوروبا، واستقرّت في القاهرة، لتكون قريبة من **غينون**، إن **روني غينون** هو أبرز من أدخل التصوف إلى فرنسا في القرن العشرين، وبالرغم من أن ممارسته الإسلامية وانتماؤه الصوفي بقيا مختومَيْن بطابع السرّية، إلا أن أعماله ومراسلاته مع عدد كبير " من الباحثين عن الحقيقة " كانت محددة في انضمام عديد الفرنسيين إلى الطريقة، كان هؤلاء ينتمون في أغلبهم إلى الطريقة الأم نفسها التي انتمى إليها **غينون** أي الشاذلية، التي تقمّصت في الغالب تصوّفا معتدلا وعالما. وتشكّل أعماله بالنسبة للجمهور الأروبي

1 إريك جوفروا، مقال سابق.

عقيدة " السنّة الأساسية " التي تنبثق عنها كل الديانات التاريخية، وتقويض الحداثة الغربية. ولا يزال الشيخ **عبد الواحد يحي** – وكما هو معروف عنه في الوسط الإسلامي – يمارس تأثيرا فريدًا في الغرب وفي بعض الحلقات في أرض الإسلام)1.

المطلب الأول: مسلمون فرنسيون يختارون التصوف

لا توجد أرقام حقيقية عن عدد معتنقي الديانة الإسلامية في فرنسا من المسيحيين الفرنسيين وغيرهم من المسيحيين الأوروبيين وبعض المسيحيين العرب من المشرق العربي، فبعض الدراسات تتحدث عن (200 ألف فرنسي) اعتنقوا الديانة الإسلامية في فرنسا، ولكن لا أحد يملك الرقم الحقيقي لهؤلاء المعتنقين، والسبب أن الكثيرين منهم لا يعلنون ذلك أمام دائرة السكان أو البلدية محتفظين بالاسم الفرنسي كما ولدوا لأنهم لا يريدون أن يتعرضوا للمضايقة من بني عمومتهم في الإدارات والمؤسسات الحكومية والتي لا ترحب بهذا الصنف، وقضية الاعتناق تتم في جميع الحالات في المساجد وهي عديدة اليوم ولا تنشر هذه المساجد أرقاما عن عدد المعتنقين فيها2.. ويتوفر مسجد على دفاتر دون فيها عدد المعتنقين للإسلام وجنسياتهم، وتاريخ اعتناقهم، وتفاصيل عن الشرائح الاجتماعية التي تعتنق هذه الديانة منذ عشرات السنين، وقد حصلت مؤخرا على أرقام لعدد المعتنقين للديانة الإسلامية كما وردت هذه الأرقام في نشرته " Salam-es " العدد رقم 13، والتي كان يصدرها " مسجد باريس " وتوقفت عن الصدور مؤخرا، ولم تشتمل هذه الإحصائيات على الفترة التي تم فيها تعيين **دليل بوبكر** على رئاسة عمادة مسجد باريس جانفي 1992، وامتدت هذه الإحصائيات لتشمل (1993-1994-1995-1996-1997-1998) وهي الفترة التي لا يزال فيها **دليل بوبكر** عميد مسجد باريس، وقضية الاعتناق في مسجد باريس ليست وليدة هذه السنوات فقط3.

4000 فرنسي اعتنقوا الديانة الإسلامية سنة 2006:

لقد كان هذا العدد من الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام في سنة واحدة بمثابة رقم قياسي سجله الإسلام في فرنسا منذ عشرات السنين، وتقول جريدة " **لوباريزيان** " واسعة الانتشار، أن هناك اليوم حوالي 70 ألف معتنق للإسلام في باريس والدوائر المحيطة بها، ومن هؤلاء المعتنقين للديانة الإسلامية كتاب ومفكرون، وفنانون، ورياضيون، وأناس من مختلف الأعمار والمهن، ويأتي معظم هؤلاء من

1 المقال السابق.

2 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 69.

3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأحياء الشعبية والضواحي، حيث يتعايش الشباب المسلم مع الشباب الفرنسي المنتمين لطبقة شعبية واحدة، ويتقاسمون البؤس معا، فشباب الضواحي من المسلمين أدركوا في الأخير أنه لا عاصم لهم من الذوبان والانصهار في مجتمع فرنسي علماني إلا الإسلام، فاعتنقوا هذا الدين للحفاظ على هويتهم، ولعل الله سيجعل من هؤلاء الشباب خير رسول للإسلام في الغرب وفرنسا بالخصوص، فقد لوحظ أن معظم الكتاب الفرنسيين الذين أرخوا لتاريخ الإسلام في فرنسا لا يقدمون الرقم الحقيقي للمسلمين المعتنقين للإسلام، فالبعض من هؤلاء يقدم رقم 40 ألف شخص، والمبالغون يتحدثون عن 100 ألف شخص، وكل هذه الأرقام بعيدة عن الواقع ولا تعكس الحقيقة، ذلك أن عدد المعتنقين للإسلام في تزايد مستمر، ومن الصعب ملاحظة ذلك، ومن هنا يصعب تقديم رقم حقيقي عن هؤلاء المعتنقين، فإذا كانت سنة 2006 عرفت رقما قياسيا، أي 4000 شخص اعتنقوا الإسلام في فرنسا في هذا العام، فقد يرتفع العدد في الأعوام القادمة، ومن كان يضن أن أبطال كرة القدم والملاكمة سيختارون الديانة الإسلامية على دياناتهم المسيحية، ولكن إرادة الله فوق إرادة المجتمع1.

الفرع الأول: مشروع رينيه غينون Renne Guenon " عبد الواحد يحي " (1303هـ – 1370هـ / 1885م –1951م)

حياته وتصوفه:

تعتبر حادثة إسلام **رينيه غينون** نقطة انطلاق الحضور الصوفي المشرقي في الغرب، وقد أخذ **غينون** النسبة الشاذلية بواسطة **إيفان غوستاف أغيلي**2 سنة 1912م في باريس[3]، ويذكر الباحث

---

1 المرجع السابق، ص 75/74.

2 إيفان غوستاف أغيلي " عبد الهادي " 1896-1917م: كان أغيلي رساما من المدرسة السويدية – وما يزال إلى اليوم يعتبر من رواد الرسم الحديث في السويد –، قدم إلى باريس من أجل توسيع خبرته وأبحاثه، اعتقلته الشرطة الفرنسية بجريمة إيوائه أحد الفوضويين، فأتاح له الحبس فسحة من فراغ درس فيها مختلف العقائد الدينية وتعلم اللغتين العبرية والعربية، وفي العام 1905م سافر إلى مصر حيث التقى الشيخ عبد الرحمان عليش – الذي أهدى له غينون كتابه رمزية الصليب – وفي الجامع الأزهر اعتنق أغيلي الإسلام متصوفا على يد الشيخ المذكور وتسمى باسم عبد الهادي، ومن يومها أصبح عبد الهادي مقدم التصوف الإسلامي عموما، ومقدم الشيخ عليش خصوصا، وفي العام 1912م بعد عودة عبد الهادي إلى باريس من رحلة إلى السويد، بايع غينون بالإسلام ومنحه بركة الشيخ عبد الرحمان عليش، توفي ببرشلونة بإسبانيا في حادثة سير في فاتح أكتوبر من سنة 1917م ليدفن بها، بعد ذلك سوف تحمل بقايا جثته إلى موطنه الأصلي ليعاد دفنه في بلدته " صالا " وفق مراسيم الدفن الإسلام، ويوجد حاليا في " صالا " معرض وحديقة إحياء لذكراه. (نقلا عن عزيز الكبيطي إدريسي، مرجع سابق، ص 66).

3 يذهب صاحب كتاب " العارف بالله سيدي سلامة الراضي ﷺ، الفيلسوف والصوفي والشاعر والأديب " فاروق نصر متولي وهبة، إلى أن غينون أسلم على يدي شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية الشيخ سلامة الراضي بمصر، إلا أن هذه الرواية تبدو ضعيفة أمام النظر التاريخي إذ أن غينون غادر فرنسا باتجاه مصر سنة 1930م أي بعد أكثر من ثمانية عشر عاما من إسلامه في باريس، ونحن نعلم أن إسلام غينون منذ البداية على منهج التصوف، ويمكن أن يكون غينون قد أخذ النسبة عن الشيخ سلامة الراضي بمصر بعد مدة طويلة

الأمريكي " **مارك سيدغويك** " أن تلك الفترة شهدت إسلام ثلاثة مشاهير من أوروبا حيث يذكر أوروبيا ثالثا أسلم عن طريق التصوف وهو الرسام والمستشرق الشهير " **إيتيان دينيه** " الذي زار الطريقة الرحمانية في بوسعادة بالجزائر سنة 1884م، حيث استقر هناك وأصبح مسلما سنة 1913م، وعلى عكس " **إيبرهاردت** " و" **عقيلي/ أغيلي** " يبدو أن " **دينيه** " أصبح مسلما ملتزما مواظبا على أداء فرائض الصلاة والحج لكنه ظل أوروبيا رغم إسلامه، دائم الذهاب إلى فرنسا وعرض لوحاته في باريس أكثر من ذي قبل[1].

يقول الشيخ **عبد الحليم محمود**: (إن **غينون** من الشخصيات التي أخذت مكانها في التاريخ، يضعه المسلمون في جوار الإمام الغزالي وأمثاله، ويضعه غير المسلمين في جوار أفلوطين، صاحب الأفلاطونية الحديثة وأمثاله)[2].

ويقول عنه " **ميشيل فالسان** "، أحد كبار الصوفية الغربيين الذين تأثروا به: (إن ظاهرة **غينون** هي الأعجوبة الفكرية الأكبر منذ نهاية العصور الوسطى في أوروبا)، ويقول الباحث الفلسطيني **محمد شريح**: (في عتمة القرن العشرين المظلم بماديته التي تسير بالإنسانية نحو الهاوية بتسارع يتناسب طردا مع الأرقام الجديدة في عالم السرعة، في هذا القرن الضائع في متاهات **فرويد** الليبدوية، ووجودية **سارتر** العدمية، ومادية ماركس الجدلية وغيرها من الصيحات الحديثة في عالم الفكر، تبدو ظاهرة **غينون** وكأنها حقا أعجوبة لا تصدق، ففي قلب الحضارة الحديثة التي أخرجت الروح نهائيا من عالم الإنسان، جاء هذا الفرنسي النحيل ليشعل شمعة للروح في قلب أوروبا المثقلة بأوزار المادة وليعيد الاعتبار إلى الحضارة التقليدية، حضارة الروح والمقدس في زمن الابتذال والكذب والتضليل)[3].

ولد **غينون** في 15 نوفمبر 1886م، في مدينة Blois من إقليم الـ Loire الفرنسي.

وتذكر نهاد خياطة في مقال لها بعنوان " **رينيه غينون** والمنقول الحقيقي " بأنه تميز **غينون** منذ طفولته بذكائه الحاد وصحته الرديئة، أكمل دراسته في مدينته التي ولد فيها حيث حصل على درجة بكالوريا في الفلسفة، سنة 1904م، قدم **رونيه غينون** إلى باريس، وفي عام 1906م، انتسب إلى كلية

من أخذه النسبة على يدي إيفان أغيلي.

1 عزيز الكبيطي إدريسي، مرجع سابق، ص 67.

2 عبد الحليم محمود، قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1999، ص 301.

3 دراسة للدكتور " محمد شريح " عبارة عن مقدمة لترجمة كتاب رينيه غينون " أزمة العالم الحديث " نقلا عن عزيز الكبيطي، مصدر سابق، ص 76.

Rollin استعدادا لنيل إجازة في الرياضيات، لكنه ولأسباب عديدة لم يكمل دراسته وانتهت حياته الأكاديمية عند هذا الحد.. إذ يذهب " **جان كلود فرير** " إلى أن الحركات الروحية التي كانت تعج بها باريس يومئذ قد اجتذبته وعدلت به – أغلب الظن – عن قصده الأول، فقد كانت هناك الثيوصوفية والحركة الغيبية occultisme والماسونية والهرمسية المارتينية والعلوم التقليدية المختلفة وغيرها.

انخرط **غينون** كلية في تلك الحركات الباطنية، إذ بدأ يتعرف على جمعياتها واحدة تلو الأخرى، واستطاع أن ينسج علاقات شخصية مع أغلب زعمائها وممثليها، لكنه سرعان ما أدرك زيف توجهاتها فصار يهاجمها علنا ويفند كل الادعاءات السخيفة والخيالية التي تطلقها دون أي أساس من الصحة، هذه الانتقادات التي ضمنها بعد ذلك **غينون** في مجموعة من كتبه، " الثيوصوفيا: تاريخ إحدى الديانات المزيفة " وكتاب " أوهام الروحانيين "، عندما نشبت الحرب العالمية الأولى سنة 1914م انصرف **غينون** إلى التأليف (إذ كان معفى من الجندية لأسباب صحية)، لكنه اضطر إلى العمل لكي يقوم بزوجته وابنة أخته، فراح يدرس الفلسفة في مختلف المؤسسات الحرة ما بين العامين 1916م و1917م، ثم في سطيف بالجزائر في نهاية العام 1917م، والأشهر الأولى من العام 1919م، وأخيرا درس الفلسفة مدة قصيرة في كلية بلوا، مسقط رأسه، لكنه لم يكن بالمدرس الناجح، فاستقال في العام 1919م، وربما لم يكن مؤهلا لأية مهنة أخرى من المهن الدنيوية، وقد زاد من معاناة **غينون** وفاة زوجته الفرنسية " بيرت " في 15 جانفي 1928م، التي ظلت طوال ستة عشر عاما أخلص معين له في أبحاثه وكتاباته، وبعد تسعة أشهر، تبعتها عمته، وكانت تقيم معه منذ مدة طويلة في 51 شارع سان لويس أن ليل، ثم – لكي يكتمل الشقاء – اختطفت يد المنون ابنة أخته، وكان لها من العمر أربعة عشر عاما، وفي الخامس من آذار 1930م غادر **غينون** فرنسا إلى مصر حيث بقي هناك إلى حين وفاته في السابع من جانفي 1951م.

وفي مصر أصبح اسمه " **عبد الواحد يحي** " حيث عاش حياة الصوفي المسلم التقليدية، حيث كان يقضي معظم أوقاته في المسجد مشغولا بالذكر والعبادة وحضور مجالس الصوفية، إلا أنه مع ذلك كان يحرص حرصا شديدا على عدم قطع صلاته مع أوروبا، إذ كتب في الفترة ذاتها بالفرنسية أعماله الأساسية " أوجه الوجود المتعددة "، " مملكة الكم وعلامات الزمن "، " رمزية الصليب "، " الثلاثية العظمى " إلى أعمال سابقة صدرت له: " الشرق والغرب " و" أزمة العالم الحديث " و" ملك العالم " و" السلطة الروحية ".. وعلى الرغم من بعد الشيخ **عبد الواحد يحي** عن أوروبا وزهده في الشهرة لصالح الحياة البسيطة التي اختارها، إلا أن الاتجاه الفكري الذي شقه كان يجد له أتباعا متحمسين في إطار النخبة المثقفة الأوروبية،

فقد صار من أتباعه وتلامذته المباشرين الأكثر شهرة: **ميشيل فالسان**، و**فريثجوف شيوون**، و**تيتوس بوركهاردت**، و**ماركو باليس**، و**رينيه آليار**، و**أندريه برو**، وقد كان تأثير **غينون** يزداد بشكل مستمر في الأوساط الأكاديمية، فقد تأثر به وبأعماله أسماء مهمة في الوسط الأكاديمي، نذكر منهم **مرسيا إلياد** و**هنري كوربين**، أما في أوساط الفن والأدب فربما يكون **أندريه جيد** و**أندريه بريتون** أشهر المتأثرين بأعمال **غينون**، وقد تنوعت اهتماماته وكتاباته بين العرض والشرح والنقد، وبلغت نحو تسعة وعشرين كتابا، وخمس مائة مقال، ضمن محاور التقليد والعقائد والرؤية ونقد العالم الحديث[1].

وقد استمر **غينون** شعلة من العلم والنشاط إلى أن أتاه المصير المحتوم في 7 جانفي 1951م تحيط به أسرته الكريمة، وبجواره السيدة " **فلنتين دي سان بوان** " تلك السيدة العظيمة التي أقامت في القاهرة منذ سنة 1924م واستقبلت الشيخ عند حضوره، واستمرت صديقة له طيلة إقامته بالقاهرة، ثم ودعته الوداع الأخير.

كانت هذه السيدة أديبة مشهورة، وصحفية لامعة، ولا عجب في ذلك فقد كانت من أسرة الشاعر الفرنسي الشهير (**لامارتين**)، وقد اعتنقت الإسلام، وناضلت عنه.

وقد وصف الكاتب المشهور (**اندريه روسو**) – حيث كان في القاهرة إذ ذاك – جنازة الشيخ **عبد الواحد** فكتب في جريدة (لوفيجارو) الفرنسية يقول: (شيعت جنازته في اليوم التالي لوفاته، وسار في الجنازة زوجته وأطفاله الثلاثة، واخترقت الجنازة البلدة إلى أن وصلت إلى مسجد سيدنا الحسين حيث صلى عليه، ثم سارت الجنازة إلى مقبرة الدراسة، لقد كانت جنازة متواضعة مكونة من الأسرة، ومن بعض الأصدقاء، ولم يكن فيها أي شيخ من مشايخ الأزهر، ودفن الشيخ **عبد الواحد** في مقبرة أسرة الشيخ **محمد إبراهيم**، وكان آخر ما قاله لزوجته: " كوني مطمئنة، سوف لا أتركك قط، حقيقة إنك لا ترينني، ولكنني سأكون هنا وسأراك ")، ويضيف **روسو**: (والآن حينما لا يلتزم أحد أطفالها بالهدوء فإنها تقول له: كيف تجرؤ على ذلك مع أن والدك ينظر إليك، فيلتزم الطفل السكون في حضرة والده اللامرئي)، وفي 9 يناير وصلت برقية إلى باريس تعلن "وفاة **رينيه غينون** الفيلسوف والمستشرق الفرنسي"، وما إن وصلت هذه البرقية حتى أخذت الصحف والمجلات تنشر نختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها (حكيم كان يعيش في ظل الأهرامات)، و(فيلسوف القاهرة)، (أكبر الروحانيين في العصر الحديث)، ووصفوه بـ (البوصلة المعصومة)، و(الدرع الحصين)، ثم خصصت له مجلة

1 الكبيطي عزيز إدريسي، مرجع سابق، ص 79/78/77.

(دراسات تراثية) عددا ضخما كتب فيه الكثيرون من كتاب فرنسا مقالات شتى[1].

الفرع الثاني: إريك جيوفروا – يونس –

هو الأستاذ الجامعي وعضو المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية – **إريك جوفروا Eric Geoffro** – فرنسي وشخصية ثقافية جامعية، اعتنقت الإسلام حديثا، وهو واحد من آلاف الفرنسيين الذين اختاروا الإسلام دينا وأصبحوا في معسكر المسلمين، وهم يعلمون حق العلم صحة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2]

فقد اعتنق **إريك جوفروا** الإسلام منذ عدة سنوات، وعمره حينها 27 سنة، وهو حاليا مختص بالدراسات الإسلامية، وأستاذ اللغة العربية في جامعة " مارك بلوخ " بمدينة " ستراسبورغ " شرق فرنسا، بالإضافة إلى شغل منصب عضو " المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية " الذي يرأسه **دليل بوبكر** عميد مسجد باريس.

وهو متزوج بامرأة فرنسية هي الأخرى اعتنقت الإسلام ومتأثرة بالصوفي الفرنسي المسلم الراحل " **رينيه غينون** " الذي له أنصار عديدون في فرنسا متأثرون بفكره التصوفي، وقد وجد **جوفروا** في الإسلام والتصوف توازنا في حياته المهنية والشخصية، سئل من طرف الأساتذة في الأكاديمية الفرنسية عما إذا كان يشعر وهو يعتنق الديانة الإسلامية بأنه قد خان دين أباه وأجداده وحضارتهم، فكان جواب **إريك جوفروا**: (لا يوجد شيء في الموضوع اسمه الخيانة، إن اعتناقي الإسلام لا يعني تجاهل حضارة الآباء والأجداد فاختياري للديانة الإسلامية كان أمرا عاديا بالنسبة لي، فقد اخترت واحدة من الديانات السماوية الثلاث، وهي الديانة الإسلامية، ذلك أن الإسلام يعترف بسائر الأنبياء الذين سبقوا الرسول ﷺ، فالإسلام أساسا يضم تشكيلة من الأجناس ففيهم الجنس الأبيض وهو العنصر الأوربي – أنا شخصيا أرفض الخلط بين الثقافة والحضارة – فأنا أشعر بأنني مرتبط بالإسلام العالمي لا الإسلام العربي)[3].

موقفه من قضية الحجاب:

كانت قضية الحجاب في فرنسا قد تحولت إلى قضية وطنية فرنسية تكونت من أجلها لجان

1 عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن وتأثير الحضارة الإسلامية في الغرب مع بحوث أخرى، ترجمة وتعليق: عبد الباقي مفتاح، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013، ص7.

2 سورة: آل عمران، الآية: 85.

3 المرجع السابق، ص 100/99.

وعينت فيها شخصيات فرنسية وإسلامية من أمثال الدكتور **محمد أركون**، وصادق كل من البرلمان الفرنسي بغرفتيه " مجلس الشيوخ " و" المجلس الوطني " على منع الحجاب في المدارس الفرنسية الرسمية، أما **إريك جوفروا** فقد تساءل في حمى هذا الصخب والضجيج قائلا: " هل الحجاب الإسلامي أو الكبة اليهودية هي التي تهدد النظام الجمهوري والعلمانية في فرنسا؟ ففي رأيي أن الذي يهدد الجمهورية هي الآفات الاجتماعية وانتشارها، وتمرد الشباب في أحياء الضواحي الفقيرة، وأن ما نشاهده من أن فرنسا لم تنجح في دمج أبناء المغرب العربي في المجتمع الفرنسي " وقد أورد **جوفروا** مقولة صادقة وصحيحة لمونسنيور **جوزيف دوري** أسقف " ستراسبورغ " الذي أكد في إحدى تصريحاته قائلا: " إن هذه الضجة الكبيرة التي أثيرت في فرنسا حول الرموز الدينية القصد منها والمستهدف بالدرجة الأولى هو الإسلام " والحجاب رمز للديانة الإسلامية، وعبر الحجاب ووراء معركة الحجاب في فرنسا ما وراءها، فالهدف من وراء هذا كله هو إضعاف الدين الإسلامي في فرنسا، لأنه هو الدين الوحيد الذي يطرح بعض المشاكل في المدارس وخارجها، ويرى المونسنيور بأننا كما يقول من موقعنا نمنح فرصة لتنامي ظاهرة الانغلاق الجمعوي ويعود **جوفروا** مرة أخرى إلى قضية الحجاب فيرى أنه واجب في حالة قيام المرأة لأداء الصلاة، ولكن الحجاب من جهة أخرى ليس ركنا من أركان الإسلام[1].

إيريك جوفروا الإسلام لم ينتشر بحد السيف:

يؤكد الأستاذ **إريك جوفروا** بأنه من السخافة بمكان الاعتقاد بأن الإسلام انتشر بالقوة وبحد السيف كما يروج بعض المعادين والجاهلين بالإسلام، فالإسلام انتشر كما يقول **جوفروا** بسبب مرونته وقدرته على التكيف والواقع الديني الاجتماعي ينتشر في الشعوب السوداء كما في الشعوب الأخرى، فالإسلام يتجاوب مع كل الشعوب، فالإسلام الصيني ليس هو إسلام العرب الذين لا يمثلون من حيث العدد سوى حوالي 250 مليون نسمة من مجموع مسلمي العالم البالغ عددهم حوالي مليار و300 مليون نسمة، وإذا كان البعض يتحدث عن نفوذ الإسلام العربي في الغرب فأقول لهؤلاء إن هذا يخص المذهب الذي يعطي انطباعا بأنه إسلام ظلامي إسلام البدو الأوائل، ولكن هذا لا ينسينا إسلام التنوير، إسلام القرن التاسع، والقرن الحادي عشر، الذي تمت فيه من طرف المسلمين ترجمة فلسفة أفلاطون وكامل الفلسفة الإغريقية من طرف فطاحل علماء الإسلام، وقد ازدهر الإسلام، وأضاء بنوره أسبانيا التي ظلت تستنير بالإسلام ثمانية قرون كاملة، كما ازدهرت الحضارة الهندية الإسلامية بواسطة

1 المرجع السابق، ص 100.

الإسلام1. وعلى العموم فإن **إريك جوفروا** مثله مثل باقي العلماء الذين ينهلون من معين التصوف لا يشك لحظة في أن الإسلام إنما هو بالأساس أخلاق قبل أن يكون فتوحا.

التصوف في الغرب:

كان التصوف على المستوى التاريخي، سابقا أحيانا عن حركة الفتح الإسلامي، وأحيانا مرافقا لها، وبأه طابعه الكوني ليتأقلم مع سياقات جديدة ويشع خارج أراضي الإسلام، لا شك أنه أثر في التصوف اليهودي والمسيحي في العصر الوسيط، وربما أيضا في كاتب ك " **دانتي** " وكالزاهد الكتلوني " **رامون لول** " وهو وإن أصبح يحتل مكانة مهمة لدى المستشرقين منذ القرن التاسع عشر، إلا أنه لم يكن مجهولا في أوساط نخبة أوربية معينة، نخبة مثقفة أو فنية، وقد ساهمت عوامل أخرى في اختراق التصوف للغرب في القرن العشرين، إذ سارع الاستعمار في تلاقي الإسلام والغرب، في جو يتراوح بين الانبهار والاشمئزاز، وفي عز المرحلة الاستعمارية، كان غربيون هاربون من أتون حضارة الآلة وإيديولوجية التطور، قد تبنوا (تصوف الصحراء) وحاول بعضهم – ممن ندد بعلمنة المسيحية وباجتزائها في الأخلاق الدينية التي تتماشى مع الامبريالية الأوروبية – البحث في التصوف عن نهضة ما ورائية2.

ويختم إيريك **جوفروا** وهو يقدم لنا قراءة للإسلام من طرف فرنسي جاء للإسلام عن طواعية وليس طمعا في شيء " إنه لا يوجد في الإسلام شيء يتعارض مع الديمقراطية " عكس القائلين في فرنسا أنه يتعارض مع العلمانية وقيم الجمهورية، ونمط العيش الفرنسي وهو مجرد افتراء لا غير3.

المطلب الثاني: صراع على الإسلام أم إسلام فرنسي ؟

لقد أصبحنا هنا أبعد ما نكون عن أسطورة الخطر الإسلامي على مستقبل فرنسا، إذ أن تدهور العلمانية في فرنسا هو جزء من تداعيات العولمة الرأسمالية، وانعكاس لسيرورة بناء الاتحاد الأوروبي، وإن كانت انتفاضة الضواحي في فرنسا خلال أكتوبر ونوفمبر 2005، قد فتحت الشهية لتداول الحديث عن خطر " أسلمة فرنسا "، فلا شك أن الاستنتاج الأقرب إلى الواقع، هو ذلك الذي اتفق عليه جملة من أبرز السياسيين الأوروبيين، ذلك أن تقرير منظمة أنترناسيونال كريسي كروب يبين بأن الانتفاضة كانت أيضا مناسبة لاكتشاف عدم وجود أي تنظيم ديني أو زعيم إسلامي أو إمام مسجد كان وراء

1 المرجع السابق، ص 101.

2 إيريك جوفروا، التصوف طريق الإسلام الجوانية، تر: عبد الحق الزموري، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010، ص 191.

3 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 102.

تأطير الأحداث وتوجيهها، أو تسبب في بعث شرارتها، ولما دعيت جميع القوى الإسلامية إلى إظهار قوتها، والكشف عن مشروعيتها ومدى شعبيتها من خلال العمل على إخماد نار الفتنة، فقد ظهر مرة أخرى غياب أية قوة أو زعامة إسلامية كانت قادرة على فعل أي شيء، ولو من باب المنافسة على إطفاء نار لم يشعلها أي أحد، لقد خمدت الفتنة أخيرا حين راحت تدور من تلقاء نفسها في الفراغ، كاشفة من جهة أخرى، النقاب عن أكذوبة وجود خطر إسلامي يهدد فرنسا1.

إسلام ذو صبغة فرنسية:

عندما استقبل وزير الدولة الفرنسي لشؤون الاندماج " **كوفي يامنيان** " أعضاء الكوريف (مجلس الفكر الإسلامي) بمقر وزارته في 25 سبتمبر 1991 ألقى عليهم خطابا قال فيه بالحرف الواحد: " علينا أن نعترف بالإسلام بصفته الديانة الثانية لفرنسا بالنظر إلى عدد أتباعه وعلى قدم المساواة الكاملة مع الديانات الأخرى، فهل لهذه المساواة الكاملة وجود اليوم خارج النصوص ؟ على صعيد الحقيقة الموضوعية لا يسعني إلا أن أجيب بلا ".

هذا هو رأي الوزير المسئول عن اندماج الأجانب والمسلمين في المجتمع الفرنسي، فالنصوص والقوانين والتشريعات الفرنسية تسوي بين كافة الأديان، لكن الممارسات لا تتفق دائما وهذه النصوص، ومن غير الممكن بطبيعة الحال اتهام الوزير الفرنسي بالتعصب للإسلام، فهو رجل مسئول كما أنه مسيحي مؤمن وإنما هو يقر حقيقة واقعة وهي أن المسلم لا ينعم في فرنسا بكافة حقوق المواطن العادي، ومن السذاجة التصور بأن المسلم مضطهد في فرنسا، فالمجتمع الفرنسي قد وصل إلى درجة من التحضر يصعب معها أن يقبل الاضطهاد بالمعنى التقليدي للكلمة.

لكن هناك مظاهر متعددة لعدم المساواة بين المسلم وغيره من أبناء الديانات الأخرى منها حق المسيحي واليهودي على سبيل المثال لا الحصر، في أن يكون له الطعام الذي يتمشى مع تعاليم دينه وأن تحترم مواعيد صيامه وأن يكون له رجل الدين الذي يعظه ويرشده سواء في الجيش أو السجون أو المستشفيات في حين أن المسلم لا ينعم بأي شيء من هذا (باستثناء اللحم الحلال في الجيش بدءا من 1992).. والغريب أن غالبية الفرنسيين يشعرون بهذه التفرقة ويؤكدون دائما أن الديانة لا تشكل على الإطلاق معيارا من معايير الاختيار للمناصب العليا في فرنسا، بل إن بعضهم يذهب إلى اتهام الدول الأخرى بالتفرقة وخاصة في مجال الاختيارات الحكومية العليا2.

---

1 المرجع السابق، ص 92/91.

2 شريف الشوباشي، مرجع سابق، ص 176/175.

الفرع الأول: حقائق حول مسيرة تنظيم الإسلام في فرنسا

إن الإسلام في فرنسا اليوم لم يعد غريبا، فقد توطن هذا الدين في هذا البلد وغدا جزءا من النسيج الاجتماعي والثقافي في المجتمع الفرنسي، بل إنه الديانة الثانية في بلد علماني تم فيه فصل الدين عن الدولة في ديسمبر 1905، وقد احتفل الفرنسيون سنة 2005 بذكرى مرور 100 سنة على إجبار الكنيسة للتخلي عن موقعها في قيادة المجتمع الفرنسي بعد أن طغى " عصر الأنوار " وساد فكر التحرر من نظام الكهنوت الذي ساد قرونا، وهناك اليوم في فرنسا أكثر من مليونين من المسلمين اختاروا الجنسية الفرنسية، وبحكم ذلك أصبحوا مواطنين فرنسيين مثل باقي المواطنين الفرنسيين لهم مالهم وعليهم ما عليهم وتقول – **ليلى باباس Leila Babes** – في مجلة " الإسلام الفرنسي L'islam de France ": (إنه لا يمكن القول بأن للمسلمين وجودا ضمن النظام المؤسساتي الفرنسي إلا عندما تقوم الحكومة الفرنسية بواجبها إزاء المسلمين كما قامت بذلك مع الجالية اليهودية التي تتمتع بمزايا وحقوق لا يتمتع بها المسلمون، والأمر كذلك، وينبغي على الجيل الثالث أخذ زمام المبادرة وممارسة الضغط على الحكومة الفرنسية لتستجيب لمطالب المسلمين)1.

ومن الملاحظ أن مخاوف الدولة الفرنسية قبل 11 سبتمبر لم تكن تبتعد عن ظاهرة الطوائف الدينية المغلقة " Les sectes " وهي الطوائف التي كانت تخلو من أية طائفة ذات علاقة بالمهاجرين المغاربيين أو بالمسلمين، بحسب التقارير الاستخباراتية والرسمية، فتلك الطوائف كانت في مجملها تشكل جزءا من الفضاء اليهودي المسيحي، وإلى حدود نهاية النصف الأول من سنة 2001، كان ما يزال بالإمكان القول في فرنسا بأن مسألة الطوائف الدينية المغلقة قد انتقلت من مرحلة الظاهرة الاجتماعية المقلقة إلى مرحلة المعضلة الأولى للأمن العام، على أنه مباشرة عقب اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر انسحبت الأضواء الموجهة صوب الطوائف الدينية المغلقة، لتسلط لأول مرة على المسلمين، وعلى حياة المسلمين في الضواحي، وفي المناطق التي ألفوا العيش فيها، لقد بدا واضحا وكأن أهم إنجاز حققته " غزوة " حي مانهاتن بمدينة نيويورك، هي أنها حررت الألسن التي كانت ترغب في الخوض في موضوع حرب الحضارات، لكنها كانت تتردد درءا لاتهامها بالعنصرية2.

في خلوة في قصر Nanville Les Rouches في ولاية Essonne 91 عشية انتهاء عام 2002، وبرئاسة ومبادرة وزير الداخلية السابق " **نيكولا ساركوزي** " الذي آل على نفسه عندما

1 ليلى باباس Leila Babes، مجلة الإسلام الفرنسي L'islam de France ، العدد:7، ماي 2000، باريس.
2 سعيد ناشيد، مرجع سابق، ص 98/97.

عين وزيرا للداخلية أن يضع حدا لتشتت الهيئات الإسلامية وإنهاء صراعاتها وجمعها في بوتقة واحدة، وتم له ذلك رغما عن هذه الهيئات التي وجدت نفسها مضطرة للانخراط في هذا التنظيم وإلا تعرضت لمضايقة من وزير الداخلية، وبصفته أيضا وزيرا للديانات بحكم القانون الفرنسي، وقد أراد **ساركوزي** أن ينهي ما اصطلح عليه " بالإسلام في فرنسا " ليضع بديلا له: " الإسلام الفرنسي " الذي سيستمد قوته وفعاليته من مسلمي فرنسا بعيدا عن تدخل الدول الدول المغاربية – الجزائر والمغرب – في الإسلام الفرنسي، وفلسفة **ساركوزي** أن الإسلام الفرنسي سيديره أناس فرنسيون من أصول مسلمة لهم الجنسية الفرنسية ويتقنون اللغة الفرنسية ويؤمنون بالعلمانية، والنظام الجمهوري، وهذا يعني إنهاء التبعية للجزائر والمغرب والسعودية، وفعلا اتصل **ساركوزي** بسفراء هذه الدول وأكدوا له التزامهم بالحياد وإخلاء سبيل فرنسا لتنظيم هؤلاء وفقا لقوانينها هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فهذا حديث آخر1.

الفرع الثاني: مسجد باريس الكبير والهيئات المناهضة

إذا أراد الباحث في موضوع الإسلام في فرنسا أن يسبر الهياكل المنظمة له، فإنه سيجدها ثلاث هيئات تتصارع حول زعامة الإسلام في فرنسا وهي:

1/ مسجد باريس الكبير:

ذو التوجيه الجزائري ووارده حوالي 120 إمام وعشرات المساجد وجالية كبيرة وقديمة ولكنها غير مهيكلة كما ينبغي، وسنتحدث عن هذا المسجد بالتفصيل في الفرع الأول من المطلب الثاني، في المبحث الأول من الفصل الرابع " الطريقة الشيخية بفرنسا الخطاب والامتداد ".

2/ اتحاد المنظمات الإسلامية لفرنسا:

وهو تنظيم ذو توجه إخواني أي " الإخوان المسلمون " يدار من طرف شخصيات مغربية ويوجد من بينهم بعض الأعضاء الجزائريين، وهم على الهامش، وهذا الاتحاد مدعوم ماليا من طرف دول الخليج وأثريائه، وهو أقوى تنظيم على الساحة الإسلامية ولا يرتاح الفرنسيون إلى توجهاته ويرون فيه تنظيما أصوليا يحول دون إدماج المسلمين في فرنسا في المجتمع الفرنسي2، ينظم هذا الاتحاد مهرجانا سنويا كبيرا في منطقة "Le Bourget " وتدعى إليه شخصيات إسلامية نافذة، وكان الشيخ **محفوظ نحناح** واحدا من الشخصيات الجزائرية التي كانت تدعى لهذا الملتقى الذي ينظم سنويا في قاعة المعارض شمال

1 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 68.

2 المرجع نفسه، ص 60.

باريس بالقرب من مطار بورجي في الولاية 93 بضواحي باريس، ويتحالف هذا الاتحاد مع " الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا " التي كانت تدار من طرف الدكتور **محمد بشاري** المدعوم من الحكومة المغربية، وهدف الاتحاد والفدرالية هو إزاحة عميد مسجد باريس من منصبه والاستيلاء على مسجد باريس وإقصاء الجزائر من الساحة تماما[1].

3/ الفدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا:

ولدت بدعم من رئيس " رابطة العالم الإسلامي " **د. عمر ناصيف** ولعب المسلمون من أصول فرنسية دورا في ميلاد هذا التنظيم، ومن بين هذه الشخصيات **يعقوب روتي** الذي كان رئيسا لمصلحة الاعتناق وهو لا يعرف العربية وله طموح كبير.

المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية:

بعد صراع دام طويلا ولد المجلس على أساس إنهاء فترة التشرذم وسط الجاليات الإسلامية في فرنسا، وكانت بلجيكا البلد المجاور سبقت فرنسا في الاعتراف بالديانة الإسلامية في بلجيكا كديانة رسمية مع الديانات الأخرى، وكان ذلك سنة 1974م، وفي سنة 1999م أنشأت بلجيكا مجلسا تمثيليا للمسلمين في هذا البلد ينطق باسمه ويعبر عن تطلعات المسلمين وآفاق الإسلام في هذا البلد، بينما بقيت فرنسا وهي تتخبط وتبحث عن صيغة مقبولة لدى المسلمين لإنشاء تنظيم لهم يأطرهم في هيكل منظم ينهي سنين الصراع والتهميش..2 وفي نهاية ديسمبر 2002 وفي منطقة " **issonne** " ولد المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، وبضغط من مؤسسه **نيكولا ساركوزي** أسندت مهمة رئاسة المجلس **لدليل بوبكر بن حمزة**.

وقد تساءل المهتمون بالشؤون الإسلامية في فرنسا هل هذا المجلس هو الدواء لمعالجة الداء الذي أصاب الساحة الإسلامية في فرنسا ؟

البعض من المسلمين وخاصة منهم العلمانيون الذي أسسوا مجلسا لهم كرد على هذا المجلس، ذلك أن هؤلاء يرون أن " **المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية** " لا يمثل تمثيلا حقيقيا مسلمي فرنسا، لماذا ؟

قال هؤلاء إن هذا المجلس لا يمثل كافة الشرائح الاجتماعية في فرنسا، فقد استبعد المسلمين

---

1 المرجع السابق، ص 68.

2 المرجع نفسه، ص 61/60.

العلمانيين كما استبعد المجلس الشباب المسلم من الجيلين الثاني والثالث، كما أن هؤلاء عارضوا الطريقة الانتخابية التي اعتمدت بناء على مساحات المساجد، والبعض الآخر يرى أن المجلس ولد بطريقة غير ديمقراطية، بينما يرى أعوان مسجد باريس وأتباعه أن هذه الطريقة تهدف في أساسها إلى إبعاد مسجد باريس من القيادة لفائدة تنظيمات إسلامية أخرى مدعمة بأموال خليجية والتي هي أساسا تهدف إلى الإطاحة بعميد مسجد باريس وإنهاء الوجود الجزائري الذي يقود مسجد باريس ماليا وإداريا، وكان وجود " اتحاد المنظمات الإسلامية الفرنسية " وسط تنظيم " المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية " مثار استنكار عدة هيئات وشخصيات من أصول إسلامية، فقد استقالت السيدة " **فكار لامبيوت** " من المجلس وهي العنصر النسوي الوحيد داخل هذا المجلس،وذلك بدعوى أن المجلس يضم " اتحاد المنظمات الإسلامية الفرنسية " وهو ذو توجه أصولي ورجعي، كما احتج " مفتي مرسيليا " **الشيخ صهيب بن الشيخ** بشدة على وجود " اتحاد المنظمات الإسلامية الفرنسية "، ضمن " المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية " ويقول مفتي مرسيليا: إن طروحات هذا التنظيم تتعارض مع إسلام العصري متفتح على العالم، كما أن عميد مسجد باريس **دليل بوبكر** صرح هو الآخر عقب اكتساح " اتحاد المنظمات الإسلامية الفرنسية " للساحة الإسلامية في الانتخابات الجهوية لانتخاب " المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية " قائلا في إذاعة أوروبا رقم 1: ينبغي أن أحظى بالمساعدة ولا أريد أن أكون الشخص الوحيد الذي يدافع عن الإسلام الليبيرالي في فرنسا1. وقد كتبت جريدة (Le figaro) اليمينية نفسها تعليقا حول نجاح " اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا " قائلة: إن هذا النجاح كان كارثة قد تعرض لها المسلمون المعتدلون بفرنسا، وقد نشرت " لوفيغارو Le figaro " هذا المقال تعليقا على الأغلبية الساحقة التي أحرزها " اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا " في الانتخابات الجهوية لـ " المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية " C. R. C. M. P Conseils Régionaux "2.

ومني جامع باريس في هذه الانتخابات بهزيمة نكراء هزت أركان إدارة مسجد باريس والحكومة الجزائرية التي تدير المسجد، وتتولى كذلك تمويله وتوجيهه وقد احتل مسجد باريس في هذه الانتخابات المرتبة الرابعة بعد: " اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا " " U O I F " و" الفدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا " والتي يرمز لها بالحروف اللاتينية " F N M F " وتحتل " اللجنة التنسيقية للمسلمين الأتراك في فرنسا " " C C M T F " المرتبة الثالثة وقد اندهش كثير من الجزائريين بالهزيمة التي لحقت مسجد باريس الذي يقف وراءه 80 مسجدا، والمفروض أن يتصدر القائمة بحكم مكانة مسجد باريس

1 ينظر: (لوفيغارو) بتاريخ: 17 جوان 2003.

2 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 62.

التاريخية والوجود الجزائري في فرنسا الذي هو أكثر عددا وأقدم وجودا، ويرى أعوان مسجد باريس أن سبب فشل مسجد باريس هو: انفراد عميد مسجد باريس بإدارة معركة الانتخابات وأقصى الجميع ولم يبق معه إلا على شخص واحد، وهذا الشخص بعيد عن الموضوع تماما، كما أن العميد اقتصر نشاطه على المحاضرات واللقاءات الإعلامية ولكنه لا يكلف نفسه بالاتصال بالقاعدة وخاصة شباب الضواحي من أبناء المسلمين1، ومن خلال الخطة التي اعتمدها عميد مسجد باريس فواضح أهمية الطبقة العادية والتي تنتشر في الضواحي، وهي الفئة التي أهملها مسجد باريس في هذه الانتخابات، وخسارة المسجد إنما هي بالأساس خسارة للحكومة الجزائرية التي لا تولي أهمية للجالية الجزائرية في الخارج عموما، ولجاليتنا في فرنسا على وجه الخصوص.

1 المرجع نفسه، ص 63.

خلاصة الفصل:

في ختام هذا الفصل وبعد أن تتبعنا حقيقة الوجود الإسلامي في فرنسا عبر الراحل التي مر بها، وحاولنا فهم نوع الإسلام السائد والمرغوب فيه، ومكانة التصوف في منظومة الإسلام الفرنسي، يمكننا أن نلخص ما خلصنا إليه في النقاط الآتية:

1/ إن تجاهل المؤرخين الفرنسيين للوجود الإسلامي في مناطق عديدة في فرنسا كالجنوب في العصور الوسطى، كان وفق خطة مرسومة تقضي بمحو الآثار التي خلفها المسلمون وراءهم، والقصد من ذلك محو جزء من الذاكرة الفرنسية يثبت وجود عقيدة الإسلام على هذه الأرض.

2/ إن الإسلام في فرنسا اليوم ليس إسلاما قدم مع المهاجرين وبدأ معهم وانتهى بهم، بل هو إسلام مئات السنين، كان له وجود في فرنسا، رغم ما تعرضت إليه الذاكرة الفرنسية من مسخ وطمس.

3/ تحوز قضية المهاجرين أهمية كبيرة، فهي من بداياتها تشكل أهمية بالغة في دراسة هذا الموضوع، وذلك لأن مرحلة الهجرة مرحلة حساسة من مراحل تشكل الجالية المسلمة بفرنسا، مع دراسة ما قدمته هذه الجالية للجمهورية الفرنسية، سواء في حالات الحرب إذ دافعت على فرنسا باستماتة، أم ما قدمته في حالات السلم من المساهمة في قطاع الصناعة، وقطاع الخدمات، تماما مثل الذي يقدمه الفرنسيون الأصليون.

4/ مزية الروحانية الشرقية تعتبر أسمى ما يتميز به المهاجر المسلم، ولعله الشيء الوحيد الذي بقي للمسلم أن يفاخر به أمام طغيان الحضارة الغربية، والمدنية الطاغية، لذا فرغم الحالة الضعيفة للمسلمين إلا أن تراثهم الروحي يبقى إرثا يسيل لعاب عالم الغرب أجمع، ومنه فرنسا التي سارعت للاستفادة من هذا التراث الثر.

5/ التأثير البليغ للأمير عبد القادر في الساحة الثقافية والفكرية الفرنسية، وذلك جراء المدة التي قضاها بفرنسا، ويبدو ذلك جليا من خلال الصداقات التي ربطها الأمير بالمثقفين في فرنسا، والمراسلات والأسئلة التي كانت ترده في شتى المسائل، وقد ساعده في ذلك العامل النفسي والاستعداد الفطري الذي كان يعيشه الأمير في صغره، من حبه وميله للروحانيات، وقد كانت نتيجة هذه الروح العظيمة إعجاب وولوع أصدقائه من الفرنسيين به، كما أظهرت بعض الوثائق أخوات مسيحيات يرغبن في مرافقته إلى منفاه الروحي في المشرق.

6/ إن صورة الإسلام في المخيال الفرنسي مشوهة إلى حد كبير، وذلك للاستشكالات الكثيرة في

أذهان الفرنسيين، ولعل من أهم القضايا التي أثارت الجدل قضية عدم مساواة المرأة بالرجل في الميراث، وتعدد الزوجات.. وهذه القضايا وغيرها يراها الفرنسيون أمرا مخالفا لمنطق قوانينهم السائدة، ولعل هذا ما يسبب عند الناس مواقف مسبقة من الإسلام والمسلمين، مع تسجيلنا الجهل العظيم لدى غالبية الفرنسيين بالإسلام الحقيقي الذي لم يسمع صوت حكمته في فرنسا بعد.

7/ إن الاستشراق قد قدم للغرب عموما وفرنسا على وجه الخصوص خدمة روحية متميزة، بالأخص في القرن الماضي، إذ سعى إلى جعل الناس يتذوقون الروحانية المشرقية من خلال كتابات المستشرقين وتحقيقاتهم المتميزة، وذلك أن أبرز هؤلاء المستشرقين كانوا هم أنفسهم قد سلكوا طريق البحث الروحي، كما نجد ذلك عند المستشرقين العظيمين " **لويس ماسينيون** " و" **هنري كوربان** ".

8/ إن عدد المعتنقين للإسلام في فرنسا في زيادة، ومن ذلك أن هناك اليوم حوالي 70 ألف معتنق للإسلام في باريس والدوائر المحيطة بها، ونجد من هؤلاء المعتنقين كتابا ومفكرين وفنانين ورياضيين، بالإضافة إلى التنوع العمري لدى هذه الشريحة المسلمة، مع ملاحظة أن غالبية المؤرخين الفرنسيين لا يعطون العدد الحقيقي للمعتنقين، لذا أصبح تقديم إحصاء دقيق لعدد المعتنقين أمرا متعذرا لعدة اعتبارات.

9/ يعتبر الفيلسوف الروحاني " **رينيه غينون** " أعظم شخصية فرنسية تركت أثرا جليا في الأوساط الثقافية والأكاديمية الغربية عموما والفرنسية بالأخص، وهو ما تفسره الرسائل والأسئلة التي كانت ترده من كبار المثقفين، وأصدقائه في فرنسا حول الحكمة الإنسانية، وما يمكن أن تقدمه الحكمة المشرقية في هذا المضمار.

10/ أهمية الدور الذي يلعبه التصوف والفكر الصوفي في الأوساط الأكاديمية الفرنسية، وما يقدمه الفيلسوف المتصوف المسلم صاحب الأصول الفرنسية " **إيريك جيوفروا** " على الصعيد الأكاديمي في سبيل التعريف بالإسلام، وبروحانيته الرفيعة، وفي السياق نفسه ما يقدمه من أن الإسلام الصحيح إنما هو إسلام المتصوفة، فالإسلام من خلال ما استخلصه في أن يكون روحيا أو لا يكون.

11/ لا ينكر أحد أننا اليوم أمام أسطورة حقيقية للخطر الإسلامي على مستقبل فرنسا، ولأجل هذا سارع الساسة الفرنسيون للتصدي لهذا الخطر، إذ ظهرت كنتيجة لذلك حول قيادة الإسلام في فرنسا، وهو ما عجل بظهور دعوة " **نيكولا ساركوزي** " إلى إسلام فرنسي تقوده شخصيات فرنسية ولاؤها أساسا للوطن، تؤمن بمبادئ الجمهورية وتدافع عنها.

الفصل الثالث:

الطريقة الشيخية الشاذلية

المبحث الأول: بيئة نشوء الطريقة

المبحث الثاني: الطريقة الشيخية وبدايات التأسيس

جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: بيئة نشوء الطريقة

لقد نشأت الطريقة الشيخية في المنطقة التي تسمى بالأبيض سيدي الشيخ، وهي موجودة حاليا بولاية (البيض أو " الوادي الأبيض "، هي تسمية قديمة تعود أصولها إلى منطقة كانت تكتسيها طينة بيضاء استعملت لغسيل الصوف والبرنوس، وفي حكاية أخرى تعود التسمية لكون المنطقة تشهد تساقط الثلوج بكثافة، تنتمي البيض للهضاب العليا الغربية الجزائرية، بنيتها التضاريسية تدين بشكلها الطولي إلى بنيتها التي ارتفعت في " نهاية العصر الجيولوجي الثالث مكونة السهوب "[1].

وكانت تختص البيض هذه المنطقة التي نشأت بها الطريقة بعدة امتيازات إذ "تميزت بتقطيع سطحها تتخللها المنخفضات والتحدبات، وتدل الخصائص وتعقيدات الجيولوجية والجيومورفولوجية في البيض على قدم المنطقة وتعميرها، حيث عمرها " بنو هلال " و" بنو هاشم " هذه القبائل التي استمر توافدها خلال القرن التاسع ميلادي حين حطمت الفتوحات الإسلامية أسوار قرية " استيتن " — العاصمة الإقليمية – وكانت محطة عبور للأمير عبد القادر، وفي الجهة الغربية المقابلة لقصور " بوسمغون " الإسلامية العربية والأمازيغ خرج سيدي **أحمد التيجاني** — مؤسس الطريقة التيجانية – علاوة على قصور " الغاسول " التي تعانق النقوش الحجرية للقور " بريزينة " وكبش بوعلام الذي يرمز لإله فرعوني، وعلى العهد العثماني اكتسبت المنطقة أهمية لكونها منطقة عبور تجاري هام ومنطقة لتدريبات الجيوش والتمرن على الصعوبات المناخية"[2].

"ونظرا لموقعها الإستراتيجي الهام تستحوذ على مناظر خلابة وموروث تاريخي متنوع تمثل في القصور القديمة والتي تدل على وجود حضارة عتيقة نذكر من بين هذه القصور: قصر بنت الخص ببلدية بريزينة، قصر بوسمغون، قصر الشلالة، قصر أربوات، قصر الغاسول.. وبالتالي فهي متحف مفتوح على الطبيعة"[3].

وقبل الحديث عن البيئة الاجتماعية والسياسية وتأثيراتهما في نشأة الطريقة في الجزائر نورد عوامل ومراحل انتشار التصوف والطرقية في الجزائر بشكل عام، وتتمثل عوامل انتشار التصوف والطرقية في الجزائر في عوامل فكرية وسياسية واجتماعية وهي كالآتي:

---

1 تاريخ ولاية البيض، مقال بمجلة صدى الشامخات، مجلة تاريخية فصلية، تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية البيض، مصلحة التراث التاريخي والثقافي، العدد 1/ جويلية 2012، ص 4.

2 المقال نفسه.

3 المقال نفسه.

1/ العوامل الفكرية: إن وجود أعلام الصوفية في الجزائر كأبي مدين شعيب ومحمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمن الثعالبي وأحمد يوسف الملياني وغيرهم.. قد ساهم في نشر التصوف والطرقية، إذ أثروا بسلوكهم وتعليمهم وبعلمهم وبمؤلفاتهم، بالإضافة إلى ذلك فقد تأثر كثير من هؤلاء العلماء بالتصوف الوافد من المشرق الإسلامي، والذي بدأ يسيطر على الفضاء الفكري بعد محاولة الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة1.

2/ العوامل السياسية: وتشمل انهيار الدولة الموحدية والتي كانت تمثل قوة واجهت الغزو الاسباني، ونتيجة لظروف داخلية وخارجية انهارت هذه الدولة، وحلت محلها ثلاث دول، بالإضافة إلى ذلك ضعف الأندلس وانهيارها، نتيجة التدهور السياسي.. ويرى الدكتور أبو القاسم سعد الله أن من بين العوامل السياسية التي أدت إلى انتشار ظاهرة التصوف في الجزائر هو الضعف السياسي للدولتين الزيانية والحفصية، حيث يقول: (وأمام هذا الضعف السياسي، لم يبق أمام المرابطين سوى أن يعتمدوا على أنفسهم في الدفاع عن الأراضي الإسلامية التي تعود إليهم، لذلك كانوا يتولون القيادة بأنفسهم ضد العدو، أو يوجهونها روحيا وذلك بإصدار الأوامر إلى أهل المدن الساحلية ونحوها للدفاع عن أنفسهم، وبالتالي فالأرضية السياسية كانت ممهدة لظهور المرابطين وتوليهم مسؤولية الدفاع عن الإسلام بأنفسهم)2.

3/ العوامل الاجتماعية: إن تفشي ظاهرتي البذخ والترف في الأوساط الاجتماعية في المغرب الأوسط، نتيجة الثراء الفاحش أدى إلى اختفاء القيم الدينية والأخلاقية، حيث انحرف أفراد المجتمع عن مبادئ الدين وسلوكاته، مما دفع بالمتصوفة إلى مواجهة هذا الانحراف بمختلف الطرق والأساليب، وبالتالي فقد سمحت هذه المواجهة من انتشار ظاهرة التصوف3.

المطلب الأول: البيئة الاجتماعية والسياسية

من الصعوبة بمكان التحدث عن وجود التصوف في الجزائر خلال الفترة التاريخية المخضرمة بين العثمانية والفرنسية، لأن التصوف على رأي الدارسين هو النزعة الروحية التي تميل بالإنسان عن العالم المادي، فالصوفي هو الفاني عن نفسه، وهو من لا يملك من متاع الدنيا ولا يملكها، وعلى رأيهم من

1 قراري عيسى، التصوف والطرقية وأثرها على المجتمع الجزائري- مقال، مجلة الأثر، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، العدد 03، أبريل 2009، ص 64/63.

2 المقال نفسه، ص 64.

3 المقال نفسه، الصفحة نفسها.

صافاه الحب فهو صاف ومن صافاه المحبوب فهو صوفي، وشيء كهذا لم يكن ملموسا بشكل واسع في الجزائر خلال هذه الفترة، اللهم إلا من حيث الانتماء إلى طريقة صوفية معينة، إذن هل يمكن القول بوجود الطرق المتصوفة؟ لأن المتصوف هو من يطلب درجة الصوفية بالمجاهدة، لأن الصوفية خلال هذه الفترة كانت سائدة بلا اسم من دون ممارسة، على خلاف الفترات التاريخية السابقة التي كانت فيه ممارسة من دون اسم، ثم استمرت اسما وممارسة، ولهذا حق **للهجويري** أن يقول: فالمستوصف عند الصوفية كالذباب، وعند غيرهم كالذئاب، فالصوفي هو صاحب الوصول والمتصوف هو صاحب الأصول والمستوصف هو صاحب الفضول[1].

تحتل الصوفية في المجتمع الجزائري مكانة هامة، إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية، إذ أن لشيخ الطريقة نفوذا أوسع من نفوذ شيخ القبيلة، وأوسع من نفوذ الباي، وتفطن الاحتلال الفرنسي إلى أهميتها فكسب الكثير من صفوفها[2]، يقول المؤرخ الفرنسي " **مارسيل إيمري** " (بالرغم من أن لهذه الطرق الصوفية صبغة دينية متصوفة فإنها كانت بالنسبة لدورها الاقتصادي والاجتماعي أحزابا سياسية، بالإضافة إلى أن نظامها الغامض التصاعدي قد جعلها جمعيات[3] سرية من الدرجة الأولى، فقد نظمت حملات دعائية سرية محكمة ضد الفرنسيين بواسطة اتصالات خفية، إن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد أعدت ونظمت ونفذت بوحي من هذه الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية..)[4]، وبما أن طريقتنا الشيخية تعتبر واحدة من هذه الطرق التي كان لها تأثيرها البارز على الساحة الاجتماعية والسياسية بالإضافة إلى ما لعبته من دور اقتصادي للمجتمعات التابعة لمناطق الصحراء الوهرانية، وفي الفرعين الآتيين نركز على الظرفين الاجتماعي والسياسي للطريقة.

الفرع الأول: الظروف الاجتماعية

لقد أقبل الجزائريون بشكل ملفت على دخول الطرق الصوفية، فاحتضنها المثقف والتاجر والحاكم، وذلك قبل قدوم الأتراك وخلال مرحلة حكمهم للجزائر خصوصا، حيث شجع الحكام الأتراك هذه الطرق لأهداف سياسية، وقد نهضت الطرق الصوفية وزواياها بدور اجتماعي وسياسي

1 احميدة عميراوي، مداخلة بعنوان: الطرف الصوفية والسياسة، ملتقى الجزائر، الحياة الروحية للأمير عبد القادر، 29 يونيو- 01 يوليو 1998، طبعة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، ص 81/80.

2 المداخلة نفسها، ص 81.

3 المقصود بالجمعيات هي الطرق الصوفية.

4 صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البصائر، طبعة خاصة، 2009، ص 53.

رائد، كما أكدت حضورها القوي في مواجهة الاحتلال الأجنبي وخاصة الاحتلال الفرنسي، إن ما يجمع الطرق الصوفية على اختلافها هي تلك الخصائص والأهداف النبيلة التي تكسبها بعدا اجتماعيا وتضامنيا وإنسانيا، فهي قد جمعت فئات الناس المختلفة ووحدت بينها عبر مراحل تاريخية طويلة، وبثت فيها قيم التضامن والتسامح وحب الخير، وقد اتسمت الطرق الصوفية بالمرونة في مبادئها وتعاليمها حتى يتسنى لها التلاؤم مع أفكار الناس في كل مكان وزمان واستقطابهم كأتباع لها، كما اتسمت بجمعها بين علمي الظاهر والباطن الأمر الذي مكنها من الموازنة بين الحياة المادية والحياة الروحية، وقد لعبت الطرق الصوفية دورا مهما في التربية والتعليم، وتلقين كتاب الله والسنة النبوية لفئات عريضة من المجتمع، ونهضت بذلك بمهمة الدولة المركزية التي كانت منشغلة بمواجهة القوى الأوربية الغازية، وامتد نشاطها إلى نشر الإسلام بالطرق السلمية بين الشعوب الوثنية وإلى الجهاد ضد الغزاة وحركات التبشير والتنصير1.

وقد عزا كثير من الباحثين المقاومة الشديدة التي واجهت الجيش الفرنسي إلى انتماء الناس إلى هذه الطرق الصوفية التي كانت تحمس للجهاد وتدعوا للمقاومة، وفي هذا الشأن يقول الباحث الفرنسي " **أشيل روبير** ": (إن كل سكان الجزائر كانوا ينتمون إلى الطرق الصوفية، وهم بذلك يشكلون جيشا صلبا، مدربا بمهارة ومستعدا دائما للدفاع عن البلاد ضد الأوربيين، وقد اهتم الكتاب الفرنسيون بالبحث في شؤون الطرق الصوفية قصد التعرف على المجتمع الجزائري وإخضاعه للسياسة الفرنسية، وأهم هؤلاء الكتاب السيد " **لويس رين** "، الذي ألف عدة كتب في الشؤون الجزائرية وهو مستشار للحكومة العامة، فقد ألف كتابا مهما حول الموضوع عنوانه " **مرابطون وإخوان** " نشره عام 1884م، وذكر فيه أن عدد الزوايا المتواجدة في الجزائر يقدر بـ: 355 زاوية، وإن هناك 1955 مقدما، و167019 من الإخوان أو المريدين المعروفين لدى الإدارة الفرنسية، وهم منظمون ومنضبطون تحت لواء هذه الطرق الصوفية)2.

الفرع الثاني: الظروف السياسية

إن المتتبع للبيئة الاجتماعية السائدة آنذاك سيلاحظ لا محالة عدم الاستقرار الذي عرفته منطقة المغرب الإسلامي ومنه فـ (الوضع السياسي والاجتماعي يظهر أن عائلة سيدي الشيخ كانت وارثة لمجد ديني ومجد نسبي، وقد جلب إليها ذلك مكانة مرموقة بين الناس، وزادها وضعها الجغرافي المفتوح على

1 مقلاتي عبد الله، الطرق الصوفية في الجزائر والسياسة الاستعمارية، مقال ، مجلة الأثر، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، العدد 03، أبريل 2009، ص 53.

2 المقال نفسه، ص 54/53.

الطرق الصحراوية جنوبا والتلية شمالا، أهمية خاصة، فاستغنت بالدين والتصوف وتحكمت بالسياسة والجاه)، ولعل هذا هو سبب اختلاط أمرها على بعض الدراسين كما يرى الدكتور أبو القاسم سعد ويقصد بذلك لويس رين، إذ يقول: (إن الطريقة الشيخية ليست جماعة دينية، ولا طريقة صوفية، ولا جمعية خيرية بالمعنى الحقيقي للكلمة، إنها خليط من تأثيرات مرابطية في أيدي أناس كثيرا ما يكونون منقسمين، لكن لهم أصل واحد، ويضعون سلطتهم الدينية في شكل مزدوج. ولا شك أن ذلك كان عندما سلك الفرنسيون معهم سياسة " فرق تسد")[1]، وعلى هذا الأساس فهناك من يدرس الشيخية على أنها طريقة دينية فإذا به يكتشف أنها إقطاعية اقتصادية سياسية، واتحادية كبرى من الأعراش والقبائل والنفوذ السياسي[2]. ومنهم من يدرسها على أنها " إمارة " وسلطة حاكمة فإذا به يجد نفسه أمام قوة روحية وشخصيات من طراز المرابطين الأولين، ولذلك اختلط تاريخ أولاد سيدي الشيخ الديني بالسياسي، سيما وأنهم من أوائل الطرق الصوفية التي تولت السلطة للفرنسيين، لأن الطرق الأخرى لم تقبل بالوظائف الإدارية إلا بعد تدجينها بالانقسام والتزويج بالفرنسيات والتجسس عليها ونحو ذلك، ويذكر **سعد الله** نقلا عن **هنري قارو** أن ممن تزوج فرنسية **حمزة بن بوبكر** أغا جبل عمور، واسمها (**فيري Feret**)، وهي بنت لفائد مشاة فرنسي كان في حالة تقاعد[3] وفي هذا النطاق نجد أن أولاد سيدي الشيخ قد لعبوا أدوارا مزدوجة أيضا، تارة يكونون في مقدمة الثائرين ضد الاحتلال الفرنسي، وتارة يكونون خدما له وولاة يطبقون الأوامر الإدارية والتعليمات على أفضل ما يكون)[4]، ولعل هذا ما تقتضيه سياسة المرحلة الحرجة.

وفي سياق حديثنا عن البيئة الاجتماعية ننوه بمكانة الثقافة إذ ذاك (فالثقافة في الجزائر لم تحظ بالأهمية الكبيرة من طرف العثمانيين بمثل ما حظيت به بقية القطاعات الأخرى، وفي مقدمتها القطاع العسكري وقد يكون لذلك مبرر، ومهما يكن فالثقافة العربية الإسلامية اعتمدت في تطورها النسبي والعددي على ذاتيتها وعلى المجتمع الإسلامي الجزائري، انطلاقا من المؤسسات الثقافية المحصورة في المساجد والمدارس والزوايا التي نشرت الدين والتعليم العربي الإسلامي، وساهمت في تأسيس الضمير

---

1 لويس رين، مرابطون وإخوان، دم، دط، 1884، ص349 وما بعدها. نقلا عن سعد الله، مرجع سابق، ص 105/104.

2 أما عن دور أولاد سيدي الشيخ في الثورات فقد درسه سعد الله، في الجزء الأول من تاريخ الحركة الوطنية، وقد تناول دورهم السياسي كل من بيزي، 1864، وترومليي 1884 Trumelet اهتم بم بعض الباحثين الأجانب في السنوات الأخيرة، مثل بيتر فان سيفرز P. VenSivers من جامعة يوتا الأمريكية، نقلا عن سعد الله، مرجع سابق، ص 105.

3 هنري قارو، الحركة الإسلامية، في مجلة جمعية جغرافية الجزائر وشمال إفريقية (S.G.A.A.N)، 1906، ص174. نقلا عن سعد الله، المرجع السابق، ص 105.

4 سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص105.

الجمعي للسكان، وكان اهتمام الجزائريين بالمسجد كبيرا وكذلك بالمدارس والزوايا وبالكتب والمكتبات والوقف والرحلات العلمية إلى خارج الجزائر، كانت هذه المؤسسات الثقافية متعددة المهام، إذ بالإضافة إلى دورها العلمي والديني، كان لها دور اجتماعي وسياسي في المجتمع الجزائري، فهي ذات سلطة روحية ودينية ومدنية قضائية، وكان رؤساؤها الطرقيون المرابطون الذين كان لهم من الولاء الشعبي ما يضاهي بل يفوق الولاء العام لنظام الحكم القائم، وكانت كل من المدينة والريف الأرض الخصبة لنشر هذه الثقافة، ولنا أن نقدم مثالا على وجود هذه المؤسسات وكثرتها، إذ بناء على المصادر يتبين أن مجموع المؤسسات التي عرفتها مدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي كانت حوالي 93 مؤسسة، بالإضافة إلى 20 مؤسسة التي وجدت خارج المدينة، لهذا الرقم 113 مؤسسة أكثر من دلالة، خاصة إذا علمنا – من خلال ما تذكره بعض المراجع – أن مساحة المدينة كانت حوالي 30 هكتار خلال العهد العثماني، وأن عدد السكان كان ما بين 40 و45 ألف نسمة، يعني هذا ومن باب التقريب أن لحوالي 400 فرد مؤسسة، وكانت جل المؤسسات زوايا طرقية، وكانت كل المؤسسات بمدينة قسنطينة زاخرة بالمخطوطات، إذ يؤكد " **دي سلان** " الذي زار قسنطينة عام 1845 أنه وجد في مكتبة " **باش تارزي** " 500 مخطوط، وفي مكتبة **سيدي حمودة** من عائلة **ابن لفقون** حوالي 2500 مخطوط بجانب ما كان يوجد بمكتبات في الريف من مخطوط[1].

الزوايا الكبرى للطريقة الشيخية:

لأولاد سيدي الشيخ ثلاث زوايا رئيسية، اثنتان في الناحية الشرقية (الشراقة)، وواحدة غربية (الغرابة)، وتسمى الأولى الزاوية الأم أو زاوية سيدي الشيخ بالبيض وتنسب للشيخ سيدي **عبد القادر بن محمد** " سيدي الشيخ "، وقد أسس الزاوية الشيخ سليمان بن بوسماحة الذي كثر في عهده طلابها ومريدوها لحفظ القرآن الكريم، وتلقي العلوم الدينية واللغوية، وقد اشتهر من أحفاده الشيخ عبد القادر الملقب " بسيدي الشيخ " والذي أخذ العلم والتصوف على العالم الجليل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي، لقد كان الشيخ عبد القادر معروفا بحبه الفقراء والمساكين وملازمته لهم، متفانيا في خدمتهم، وتقديم كل المساعدات اللازمة لهم، والعمل على حل مشاكلهم حتى لقب بقاضي الصحراء وكان الناس يقبلون عليه أفواجا من كل حدب وصوب لزيارته وتقديم الشكر له، معترفين له بجميل إحسانه وفضله، وبعد وفاته خلفه على الزاوية ابنه الشيخ أبو حفص الذي عرف بالزهد والورع وحب الجهاد وكثرة التردد على الحرمين الشريفين، وكان الشيخ عبد القادر أوصى بنيه ومريديه باتباع الطريقة

1 عميراوي، مداخلة سابقة، ص 86/85/84.

الشاذلية كم ذكرنا آنفا، وسار الحاج أبو حفص على طريق سلفه إلى أن لقي ربه، حيث دفن إلى جوار والده بتربتهم المعروفة بالأبيض شرقي بوسمغون، وتتمتع هذه الأسرة إلى يومنا هذا باحترام الناس وتقديرهم لماضي أسلافهم والمقاومة الوطنية ضد الاستعمار، ومن شيوخها المعروفين الشيخ العدناني وابنه السيد نور الدين، وقد كان لهذه الزاوية وللأسرة المشرفة عليها دور عظيم في ميداني الجهاد بالسيف والقلم[1].

أما الزاوية الثانية زاوية **الحاج بوحفص**، أما الثالثة فهي زاوية الحاج **عبد الحكيم**، ولكل زاوية مديرون أو مسيرون، وهم يجمعون حقوق الزيارات، وقال بعض الباحثين إن من لم يدفع ليس له حق في زيارة ضريح الشيخ، ولا شك أن الثورات العديدة قد أثرت على المداخيل وعلى الرؤساء أيضا، ويكفي أن نعرف أن جثمان سيدي الشيخ قد حمل إلى جريفيل بعد أن هدم الجيش الفرنسي زاوية سيدي الشيخ سنة 1881 عقابا لهم على الثورة، ثم شيدت لسيدي الشيخ قبة جديدة بعد اتفاق 1883 ونقل إليها الجثمان[2].

أما عدد الأتباع فهو بالنسبة للطرق الأخرى كثير، لأن أتباع الشيخية ليسوا دينيين فحسب ولكن رعايا سياسيين أيضا، وقد عرفنا أن سلطة أولاد سيدي الشيخ في الزمن الأول – الأربعينات والخمسينات– كانت تمتد من حدود المغرب إلى المنيعة وورقلة. ولكن منذ الستينات أصابهم ما أصاب كل القيادات الجزائرية من تقليص وتحجيم وتقسيم، ونحن يهمنا الآن (الإخوان) أو الأتباع الدينيون لهذه الطريقة، ويذكر إحصاء سنة 1882 أن لهم 2,780 من الأتباع، و39 مقدما، وخمس زوايا، بينما ذكر لهم إحصاء سنة 1897 عددا أكثر من الأتباع وعددا أقل من الزوايا، فالأتباع، 10,216 إخوانيا، ولهم أربع زوايا، و45 مقدما، وقد أكد إحصاء 1906 هذا الإحصاء الأخير[3].

وهكذا فنحن أمام طريقة صوفية لا نعرف أنها دين أم دولة، وقد اختلط أمرها على أتباعها، بدون شك، فلم يعودوا يعرفون، وأمامهم الطرق الصوفية الأخرى، هل تجبى منها الغرامات أو تفرض عليهم الغفارات أو تطلب منهم الصدقات للفقراء والمساكين، وكيف يكون الرجل من أولاد سيدي الشيخ (خليفة) باسم الحكومة الفرنسية و(خليفة) باسم الطريقة الشاذلية في نفس الوقت، هذا على الأقل قبل أن تشاركهم طرق صوفية أخرى نفس المصير[4].

---

1 صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 360/359.

2 سعد الله، مرجع سابق، ص 110.

3 رين، مرجع سابق، ص 368. نقلا عن: سعد الله، مرجع سابق، ص 111/110.

4 سعد الله، مرجع سابق، ص 112.

بالإضافة إلى أن هناك زاوية قديمة تنسب للطريقة وهي الزاوية القادرية الشيخية توجد هذه في حاسي الفحل سنة (1936م) وهي منذ تأسيسها تقوم بنشاط تعليمي كبير بداية بتحفيظ القرآن الكريم، ودراسة الفقه وعلوم الحديث والسيرة النبوية الشريفة وهب تساهم مساهمة فعلية في إعداد وتكوين الشيوخ قصد توزيعهم على الكثير من الزوايا ليقوموا بمهنتهم في تعليم الأجيال وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة وهذا رغم ضعف مواردها المادية، كما تستقبل بين الحين والحين أفواجا من الفقراء والمساكين والمحتاجين فتقوم بإيوائهم وإطعامهم ومساعدتهم قدر المستطاع، ومن النشاطات الدائمة التي تقوم بها الزاوية تنظيم حلقات ذكر دورية تتناول فيها أحكام الشريعة الإسلامية السمحة وتلقي المحاضرات حول الدعوة إلى الإسلام، والعمل على دحر قوى الإلحاد والتيارات الهدامة لأخلاقنا وقيمنا العربية الإسلامية[1].

المطلب الثاني: الطريقة الشيخية من المؤسس إلى المجدد

مؤسس هذه الطريقة هو **عبد القادر بن محمد** بن سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن بلحيا بن عيسى بن معمر (المدعو معمر بالعالية) بن سليمان بن سعد بن عقيل بن الحفيظ (المدعو حرمة الله) بن عسكر بن زيد بن أحمد بن عيسى بن السدي بن محمد بن عيسى بن يزيد بن الطفيل بن ماضي بن الزغاوي (أوزغوان) بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ[2].

ويذهب أحد الكتاب الفرنسيين الذي تعرف على الطريقة مبكرا (سنة 1859) أنهم يرجعون إلى الأشراف – كما ينقله عنه **سعد الله** – أي من نسل فاطمة والإمام عليهما السلام [3]، والمشهور بين المؤرخين، أنهم صديقيون. وهو ما ذهب إليه " **رين** " إلى أن السلسلة تمتد إلى الخليفة **أبي بكر الصديق** عن طريق ابنه **محمد** عن طريق **سلمان (ويكتبه سليمان) الفارسي**، وتعود قصة قدومهم إلى بلاد الغرب الإسلامي إلى المرويات التي تقول أنهم نزحوا من مكة بعد طردهم من الجزيرة العربية في وقت غير معروف، – لأسباب سياسية– دينية، وينقل لنا سعد الله رأي (**دوفيرييه**) إلى أن نزوحهم كان من تونس، وأن جدهم كان غاضبا لأسباب عائلية، فذهب إلى الصحراء واستقر بالبيض بعيدا عن الخلق،

[1] صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص360.

[2] عبد العزيز رأس مال، مداخلة بعنوان: الطريقة الشيخية، ملتقى الجزائر، الحياة الروحية للأمير عبد القادر، 29 يونيو– 01 يوليو 1998، طبعة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، ص 44. ينظر في ترجمته: تقوية إيمان المحبين للسكوني الودغيري الفجيجي، وماء الموائد المعروف بالرحلة العياشية لأبي سالم العياشي، المطبعة الحجرية، 1316هـ، ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت، للشريف الإدريسي الحسني الوكيلي الشهير بيوسف الفاسي.

3 هنري دوفرييه (اكتشاف الصحراء)، باريس، 1864، ص315. نقلا عن سعد الله، مرجع سابق، 105.

وأسس فيه زاويته المعروفة، وتوارث أبناؤه تراثه في آخر أيام دولة بني زيان واحتلال الأسبان لوهران، ثم أوائل العهد العثماني، وكان الشيخ مقدما للقادرية- الشاذلية، كما عرفنا[1].

ولد سيدي الشيخ حسب بعض المخطوطات في سنة 940هـ/ 1532م في الشلالة الظهرانية أين كانت تخيم عائلته، بنواحي أربوب بولاية البيض، بالجزائر، سليل عائلة عريقة شهيرة بالعلم والصلاح والزهد والولاية والنسب الأصيل[2] وتوفي حوالي 1022-01023هـ/ 1615م، عن عمر ناهز 83 سنة، كان أبوه سيدي **محمد بن سليمان** متنقلا بين قرى سيدي **الحاج بن عامر** والشلالة وأربوات، وقد درس العلوم القرآنية تحت رعاية الشيخ **عبد الجبار** من فقيق، وعمه هو سيدي **أحمد المجدوب** الذي ولد في عهد سقوط غرناطة سنة 1490م، في أصعب الفترات التي عرفها المغرب الأوسط – أي الجزائر – ينحدر شرفه من أصله (البوبكري)، ومن أمه التي هي شريفة من لودغير (فقيق)، وتزوج شريفة (لالة أم كلثوم) بنت سيدي بودخيل، وهي علوية النسب، توفي في (عسلة) قرب عين الصفراء أين توجد قبته، وعمته (لالة صفية) وهي سيدة قصر " صفيصيفة " بجوار عين الصفراء، والتي ينسب إليها أولاد نهار الذين يدعون بأولاد " يحي بن صفية) توفيت في ظل الصلاح.. والبوبكرية أو البكريون كما يسمون في المشرق، هم بطن من تميم بن مرة من قريش من العدنانية، وهم بنو أبي بكر الصديق، بعضهم بالفسطاط، وبعضهم بناحية دهروط من البهنساوية، وكان يطلق عليهم اسم " بني طلحة " كما نقله الدكتور **عبد العزيز رأس مال** عن مخطوط (نهاية الأرب **للقلقشندي**)[3] أو بني محمد بطن ينتسب إلى محمد بن **أبي بكر الصديق**، كان يقيم بصعيد مصر كما أكد ذلك **المقريزي**[4]، أما في الجزائر فقد تغيرت أسماء قبيلتهم إلى بني سعد ثم إلى المعمرية ثم نسبت أخيرا إلى **أبي سماحة** فسميت بالسماحية.

الجد الأول لأولاد سيدي الشيخ:

جد أولاد سيدي الشيخ الأول يسمى **معمر بن سليمان** العالية، وهو دفين الأربعاء التحتاني، وأولاده مدفونون إلى جانبه، وقد جاء من مكة على رواية أو من تونس على رواية أخرى – بناء على الخلاف الذي سبق ذكره – وتناسلت منه العائلة إلى أن وصلت إلى **عبد القادر بوسماحة**، كما ذكرنا،

1 سعد الله، مرجع سابق، ص 104.

2 الطريقة الشيخية الشاذلية، السند والأذكار، عن الزاوية البوعمامية الشيخية، عين بني مطهر، وجدة، المغرب، دط، 2007، ص5.

3 راس المال، مداخلة سابقة، ص 46/45.

4 المقريزي تقي الدين، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تح: عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1961، ص 46.

وهذا هو الذي تفرعت منه فروع لكثرة أولاده[1]، ومن ذرية عبد القادر بوسماحة تفرعت الذرية في أنحاء الجزائر والمغرب الأقصى، منهم من سكن التلال والمدن، ومنهم من بقي في المنطقة حول قبور الآباء والأجداد. وقد اهتموا بالحياة الدينية والدنيوية معا، فكانوا من نبلاء الدين (أشراف على رواية) ومن نبلاء السيف أيضا، وقد نشروا طريقتهم الدينية على طريق سلطتهم السياسية، فهم بحكم وظائفهم الإدارية أو الزمنية جلبوا العبيد والخدم، ثم حرروهم وجعلوهم يقومون بشؤون الدين والزوايا، وينقل لنا سعد الله رأي بعض الباحثين في الدور الذي كان يلعبه أولاد سيدي الشيخ، والخلل الذي أصابهم إذ أن دورهم الديني بدأ يتضاءل كلما سكنوا المدن وكذلك يضعف وزنهم السياسي، ولذلك فإن مكانتهم الحقيقية تكمن في عزلتهم واحتفاظهم بأصالتهم الدينية والسيفية، أو كما عبر عنه البعض: " إن قوتهم تكمن في بداوتهم "، وقد اختار بعضهم طرقا صوفية أخرى، بعد هذا التطور، مثل **سليمان بن قدور** الذي دخل في الطيبية وأصبح تابعا لزاوية وزان[2].

الفرع الأول: نشأته وأخذه للعلم والطريقة

ذهب سيدي الشيخ للدراسة بفجيج التي كانت المركز الثقافي والروحي لكل المنطقة، وبما أن الطريقة الصوفية كانت مصدر ثقافته، فقد تتلمذ على سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي (أو مولى السهول) وهو المكان الذي يبعد من بوذنيب بحوالي 13 كلم، وأصبح هو نفسه معلما روحيا وشيخا، واجتمع عليه مريدوه وتلامذته، ومكث في فجيج عددا من السنين، وفي واحة النخيل، توجد لحد الآن الهضبة التي كان يشرف عليها قصر زنافة، والتي توجد بها ديار خربة، هي خرائب هاته الزاوية، تبين المناقب أن زاويته تنتقل من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، أي كل منطقة فقيق حتى ورقلة وعين صالح، وبلاد الجريد إلى ضواحي تلمسان ووهران، وقد امتدت في المغرب الأقصى.. وقد تلقى سيدي الشيخ العلم في السابعة من عمره على سيدي الحاج بن عامر، وزار توات وتافيلالت وفاس وعين ماضي، حيث تزوج بسعدة بنت الحراث.. ثم توجه إلى مغرار وعاد إلى الأبيض حيث أسس الزاوية التي تحمل اسمه[3]، كما تعلم سيدي **عبد القادر بن محمد** علوم الشرع على يد علماء فاس، وعلى علماء فجيج عامة، خصوصا الريف سيدي **محمد بن عبد الجبار الفجيجي**، ثم علوم التصوف على يد سيدي **الحاج ابن عامر** بداية، وسيدي **امحمد بن عبد الرحمان** نهاية وإجازة، ويحمل سيدي **عبد القادر بن محمد** لقب سيدي الشيخ الذي أصبح اسمه الشائع حتى صارت ذريته تسمى بأولاد

1 سعد الله، مرجع سابق، ص 107.

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 راس مال، مداخلة سابقة، ص 47/46.

سيدي الشيخ، وطريقته تسمى بالطريقة الشيخية، وقد اتسعت شهرته اتساعا عريضا وبلغت الآفاق، وقد تعبد لله ونقطع إليه متفرغا للعبادة في أكثر من مائة خلوة. وكانت زاويته حالة مرتحلة، تطعم الطعام وتعلم الدين حيثما كانت[1].

وقد استشهد سيدي **عبد القادر بن محمد بقرية ستيتن** متأثرا بجراح أصيب بها في جهاده ضد الأسبان قرب مدينة وهران، ونقل جثمانه إلى الأبيض سيدي الشيخ بولاية البيض حاليا بالجزائر، حيث دفن هناك، وذلك عام1025هـ موافق لعام 1616م، وله كذلك مزار مشيد بفجيج المغربية، حيث كانت أشهر زواياه.

قال سيدي **أحمد بن بودي** في قصيدته **"روضة الأحزان"** التي رثاه بها- مبينا سبب وفاته-:

فخمس من الجراح في جسده الذي تطهر من أدناس دنيا الدناءة

فرمح بفخذه ثم تحت سرته كذا ضربة في جنبه بالرصاصة

و رابعة بالرمح في ظهر طاهر وخامسة بالسيف وضع الحمالة

فهذا الذي أنبئت عنه بمخبر عن المتولي غسل قطب الشهادة[2]

الفرع الثاني: آثاره ومكانته العلمية

مما قاله السكوني في كتابه" تقوية إيمان المحبين " - واصفا إياه - في المنقبة رقم 35: ومن أوصافه ﷺ ونفعنا به وبسيرته، وما كان عليه من الأخلاق الحميدة، كان رضي الله تائبا ورعا زاهدا، صادقا حسن القصد، راضيا عن الله ورسوله، ورسوله، موحدا، عارفا، مداوم الذكر، ذا حياء، حزينا، يحب العلماء والشرفاء وأهل الدين يتلقاهم بالإكرام والمحبة والبشاشة، ويتلقى القاطعين بالدعاء والإكرام والموعظة حامدا لمولاة خاشيا راجيا، محسنا ظنه في مولاه، ذا أنس، ذا رأفة، ذا سخاوة، سخاوته تضرب بها الأمثال، مداوما على الأعمال الصالحة، ذا خلوة، ذا إيثار، متفكرا في أمور مولاه، ذا همة عالية، منعزلا عن الناس غالبا، ملازما للجوع، مداوما على الصوم، قليل النوم.. قنوعا بما قسم الله له، مؤدبا، سهل الملتقى، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، ذا هيبة في النفوس، موافقا للسنة، وكان ﷺ أكثر كلامه لوائح دون تصريح، أعجوبة زمانه، ونخبة عصره وأوانه.. وكان رضي الله نافذ التصريف مجاب الدعوة ظاهر الكرامات.. وأشار إليه الأشياخ من جميع الجهات، وأصبح الغرب يفتخر بنسبته إليه، والشرق يود

1 الطريقة الشيخي الشاذلية، مرجع سابق، ص 6.

2 المرجع نفسه، ص 12/11.

لو احتوت جهاته عليه"[1].

وقد كتب عنه المناوئون كالفقيه الثائر **أحمد بن أبي محلي** الذي كتب محاولة للتنكيل بالشيخ والنيل من عرضه، وقد خدمت تلك الكتب الشيخ سيدي **عبد القادر بن محمد** خدمه جليلة من حيث لا يدري صاحبها، إذا الحق ما شهدت به الأعداء[2].

و كتب عنه من المعاصرين، الأستاذ **بنعلي بوزيان** في كتاب **"فجيج في عهد السعديين"** يقول في الصحفة 245: " ومهما قيل في التناقضات التي تجاذبت شخصية هذا المتصوف المتأنق، ومهما نسبوا له من نقائص، فإن ذلك كله يبقى برهانا على شخصية مدهشة في كل شيء، في طريقة عيشه وملبسه وكسبه وأسلوبه البارع في استقطاب المريدين، ولعله السر في نجاح زاويته، وفشل عدوه **ابن أبي محلي**"[3].

وأهم آثاره العلمية المتبقية:

– قصيدته الياقوتة التي جاءت في 178 بيتا، وفيها يخبرنا الشيخ بفضل الله عليه، فهو كالمتصوفة لا يفرح بالجنة ولا يخاف من النار، مما يدفعه للصلاة والصوم، والذكر هو محبة الله، فالله ينظر إلى القلوب التي في الصدور، ولكن لا بد من محمد الرسول ﷺ وآله، وهكذا نلاحظ أن هذه الطريقة تنبع من الكتاب والسنة مثل الشاذلية.. ولا بد إذن من الانتقال من ذكر اللسان إلى ذكر القلب إلى ذكر العقل إلى ذكر السر، وفي هذا يقول:

ولولا فشؤ السر كفر بعينه لبحت به، ولكن أولى التصمت

فشؤ السر خرق للقاعدة الصوفية، والسر النبوي معروف، والسر الطبي، والسر المهني، سر الكيميائيين في (حجر الفلاسفة)، سر الأعداد، بالنسبة للمتصوف يتمثل في المعارف التي يحصل عليها من التجارب التي يلهمه الله بها، في مختلف المراحل التي يجتازها للوصول إليه.. إن سر الوفاء هو أعمق ما في الروح، هو ماهية هذا الواقع، هو الولوج في السر الذي يكشفه الله له عن العالم.. مكانة في القلب، ويضاف إليه ذكر " سر السر " أو " السر الأوفى " أو " السر الخافي "، لكن " سر الغيب " يبقى من اختصاص الله عز وجل الذي لا يعلم الغيب إلا هو، ويمكن أن نستخلص مع عبد القادر

1 السكوني، تقوية إيمان المحبين، تح: عبد الله طواهرية، دط، 1991، أدرار، الجزائر. نقلا عن: الطريقة الشيخية الشاذلية، مرجع سابق، ص 8/7/6.

2 المرجع نفسه، ص 8.

3 المرجع نفسه، ص 9/8.

الجيلاني المتصوف المرموق بأن خطر إنشاء السر يظهر أثره في العامة، نضيف بيتا آخر البيت (35):

ولو شئت قول (كن) لكان الذي أقول ويجري الأمر وفق الإرادة

يفصح هذا عن فكرة مخيفة تجاه مذهب وشريعة الإسلام، حيث تضع بالنسبة للعامة الوحدة والعظمة الإلهية موضع شك، في الديانات الأخرى نجد الله هو المهندس، في الإسلام هو الآمر والقائد، هاته العبارة تصدم حفيظة الفقهاء، وهي تشبه الدلالة الظاهرة في قول الحلاج (أنا الله) لا بد من فهمها كدلالات لخطين من التجربة الصوفية، وباطنية وحدانية الله، فمن جهة هناك وحدانية الشهود، حيث يشهد الله على حضوره، وسره في قلب الصوفي في وحدانيته وعظمته وإرادته.. في حالة من الحالات لا يملك الصوفي نفسه، فحبه يوحده بالله، حيث يذوب كل شيء ويفنى فيه[1].

- قصيدته الحضرة.

- رسالة جوابية إلى الأمير **زيدان بن أحمد الذهبي السعدي**، وهي مطبوعة محققة.

الفرع الثالث: مجدد الطريقة الشيخ بوعمامة

من فروع أولاد سيدي الشيخ الدينية ما سماه بعضهم (بالعمامية) نسبة إلى **الشيخ بوعمامة**، الثائر المشهور، وهو محمد بن العربي من ذرية سيدي التاج، أحد أبناء عبد القادر بوسماحة (**سيدي الشيخ**)، والده (العربي) مدفون بفجيج بالقصر المعروف بالحمام الفوقاني[2].

في عام (1835م) جنوب ولاية النعامة، كانت ولادة المجاهد البطل الشيخ بوعمامة من أسرة تنتمي إلى أولاد سيدي الشيخ، حفظ القرآن الكريم في الزوايا وتلقى مبادئ العلوم، وفي وسط عرف بالفضل والدين والصلاح نشأ الشيخ بوعمامة نشأة عربية إسلامية.

أنشأ سنة (1875م) بمغرار التحتاني في جنوب ولاية النعامة زاوية كانت تعمل على تحفيظ القرآن ونشر العلم والمعرفة، كما كانت في نفس الوقت مركزا للقاء مختلف القبائل واجتماعهم بها للتخطيط للثورة، والتعبئة العامة مما لفت انتباه الاستعمار لها، وجعله يقدر خطورة هذه الزاوية وشيخها على وجوده بالمنطقة.

وهكذا وبعد الإعداد الكامل، أعلن الشيخ المجاهد بوعمامة ثورة سنة (1881م) والتي تعتبر امتدادا لثورة سيدي الشيخ، وقد استمرت ثورته (25) سنة فكانت بذلك أطول الثورات التي قام

1 راس مال، مداخلة سابقة، ص 57/56/55.

2 سعد الله، مرجع سابق، ص 107.

الشعب الجزائري، وبعد معارك بطولية خاضها الشيخ بوعمامة وأتباعه ضد القوات الاستعمارية بكل شجاعة وإخلاص، وافته المنية يوم 7 أكتوبر سنة (1908م)، شهر محرم سنة (1372هـ) عن 88 سنة في العيون قريبا من مدينة وجدة بالمملكة المغربية[1].

أخلاقه:

كان رحمه الله على خلق عظيم فقد ذكر بعض من عرفه أنه لم يؤثر عنه منذ أن بلغ أشده، أنه ضحك القهقهة ولم يكن ضحكه إلا تبسما كما كان الرسول ﷺ ولم يثبت عنه أنه مد رجله في جماعة وحتى في أيام شيخوخته، ولم يصح عنه أنه أخر وقت الصلاة إلى القضاء، ولم يصل جالسا ولا يتيمم إلا في آخر عهده بالحياة.

كانت مجالسه روضة من رياض الجنة حافلة بالعلم والذكر والتذكير، لا يذكر أحدا من البشر بسوء حيا أو ميتا كما كانت مجالسه كلها تعلما وتعليما ودعوة إلى الله وإصلاحا بين الناس ووعظا وإرشادا.

قال عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله: (وجود الشيخ أبي عبد الله بالمغرب العربي دليل على وجود العلم)، وأخذ أول لقاء به يردد قوله: (إيه وجه الجنة، إيه وجه الجنة)، وكان يقول: (ليتني كنت ولد الشيخ أبي عبد الله).

خلف مجموعة من المؤلفات المفيدة النافعة وديوانا من الشعر، وهو الذي جمع فيه الكثير من القصائد التي يرددها مريدو الشيخية في كل الزوايا[2].

مكانته الصوفية:

وقد تثقف **محمد بن العربي** – بوعمامة – ثقافة دينية ولغوية في جهته، (الحمام الفوقاني)، ودرس على شيخ يدعى **محمد بن عبد الرحمن**، أحد مقدمي سيدي الشيخ. وأصبح سنة 1875 مقدما في الموقار، وكان يعطي ورد الطريقة الشيخية، واشتهر أمره وجاءته الزيارات وأصبح في أعين الناس من أهل الكرامة والولاية، وقد ساعد على هروب أحد أفراد العائلة، وهو حمزة بن بوكر سنة 1878، ثم أعلن الثورة المعروفة سنة 1881 لظروف خاصة[3]، ولكن الفرنسيين يقولون إن الثورة كانت بدافع

1 صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 446/445.

2 المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

3 سعد الله، مرجع سابق، ص 107.

التعصب الديني، وقد حاول الشيخ بوعمامة توحيد أولاد سيدي الشيخ المتفرقين بطريق الروابط الروحية والعائلية، وقال المعاصرون إنه جاء (بمذهب جديد)، وإنه رجل يقظ وحذر، وإنه حاول الاستفادة من الانقسام الموجود في العائلة لصالحه، وذلك بإنشاء قيادة واحدة، ولكن الفرنسيين كان لا يرضيهم ذلك، سيما وأن الفترة – الثمانينات – كانت هي الفترة التي أخذوا فيها يسعون بين الطرق كلها حتى لا تتوحد ولا تصبح خطرا يهدد مصالحهم، ومهما كان الأمر فإن محاولة الشيخ بوعمامة في أن يكون هو (خليفة) سيدي الشيخ مباشرة لم تنجح. ولكن أصحابه أعلنوا أنه أصبح قطبا، وأجاز هو لأصحابه أن يجمعوا بين طريقته وطريقة أخرى، وكان له ذكر يعطيه لأتباعه قال إن سيدي الشيخ أعطاه إياه بالرؤية والمكاشفة، وهذا الرأي نقله الدكتور سعد الله عن بعض المؤرخين الفرنسيين[1]. وقد نجح الفرنسيون في عزل أولاد سيدي الشيخ الآخرين من الانضمام لثورته، رغم أنه منهم.

وفي عصره اعتمدت الشيخية الأذكار الشاذلية – كما في السابق – التي يتلقاها الأتباع ويرددونها في أوقات معينة بعد دخولهم للطريقة، وهم يضيفون إلى ذلك قراءة الفاتحة ثلاث مرات بعد كل صلاة من الصلوات الخمس، وهذه الأذكار يعلمها شيوخ الزوايا الشيخية الذين هم من العبيد العتقاء والذين يتوارثون في أولادهم إدارة هذه الزوايا، وإعطاء الأوراد والأذكار، سواء كانوا من الشراقة أو من الغرابة (الزوة)، أما الذكر الذي نسب لبوعمامة فهو التشهد والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ في أوقات معينة أثناء الصلوات الخمس، وله أيضا دعاء (يا لطيف) ألف مرة، وعبارة (لا إله إلا الله، بوعمامة ضيف الله) تردد عدة مرات في اليوم، وكذلك عبارة (لا إله إلا الله، بوعمامة ولي الله)[2]، ومن عادة الشيخية في هذه الفترة أن التابع إذا جاء لتقديم الزيارة يأخذ المقدم يده بينما يبدي الزائر رغبته في شؤون الدنيا كرزقه بأولاد بدل بنات، وحصوله على زراعة جيدة، واستمتاعه بصحة سليمة، طالبا من الله ذلك في خشوع وتضرع، كما يقرأ مع المقدم ورد الشاذلية.

من تقاليد الطريقة:

لأولاد سيدي الشيخ تقليد قلما نجده في طرق أخرى، ويسمى (الغفارة) وهي تقديم حيوانات وبضائع ونحوها يعينها للشيخ سنويا، وهي في الواقع ضرائب دنيوية اتخذت صفة دينية، ومثالها نعجة على كل خيمة أو ناقة، وكيس من القمح أو التمر، حسب ما يفرضه الشيخ على كل تابع، وبناء على

1 هذا الرأي ذهب إليه: ديبون وكوبولاني، والمترجم العسكري في جيريفيل (مارتن) وهو الذي اعتبر بوعمامة مؤسسا لطريقة خاصة، سعد الله، مرجع سابق، ص 107.

2 المرجع نفسه، ص 108.

تقرير لأحد الضباط المراقبين لهذه الأعمال[1]، أن غفارة أولاد سيدي الشيخ تتألف مما يلي: ربع الحوارات (وليد الناقة) المولودة في نفس العام مفروضة على بعض القبائل، و2000 شاه على قبائل أخرى، واثنا عشر برنسا، وغير ذلك من البضائع، إضافة إلى 1,500 فرنك مفروضة على شعانبة البرازنة، وهذه الغفارة السنوية تقسم بين الفروع كما يلي: 103 من الشياه إلى الدين وقدور بن حمزة، و30 جملا إلى أولاد الحاج بوحفص. و100 شاه، مع منسوجات قطنية وسكر وقهوة وغيرها من المواد الغذائية إلى أولاد الحاج الدين. و1,500 فرنك سنويا إلى بوعمامة[2]، لو كانت هذه الضرائب توزع على الفقراء، لقلنا إنها طريقة ابتكرها الشيوخ لجمع الثروة وإعادة توزيعها من قبيل الاشتراكية الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن سعد الله ينقل لنا هذا التقليد بهذا التفصيل ويتوقف، وهي مسألة تحتاج إلى بحث وتحقيق.

ويذهب البعض إلى أن هذه المداخيل من الغفارة ومن الزيارات المالية هي التي أدت إلى استقلال فروع الطريقة الشيخية والانقسامات العائلية بهدف جمع المال والبضائع من الأتباع، كل على طريقته الخاصة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 اسمه " ديدييه " قائد دائرة غرداية، في آخر القرن الماضي، وكان ديدييه قد عمل في الشؤون الأهلية في بوسعادة والميلية وتيزي وزو، والشلف وغيرها، إلى أن شارك في الحملة ضد تونس، ثم عين على غرداية حيث ظل في الثمانينات ونصف التسعينات (تقاعد 1895)، انظر بيرونيه (الكتاب الذهبي)، 381/2. وعن الغفارة انظر الميلي (رسالة الشرك)، ص247. نقلا عن: سعد الله، مرجع سابق، ص 109.

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثاني: الطريقة الشيخية وبدايات التأسيس

إن تغلغل التصوف في أجيال عديدة من الجزائريين جعل الإيمان الشعبي في هذه البلاد شديد الارتكاز على مبدأ تكريم الأولياء، وما تناثر المقامات المكعبة الشكل الثلجية البياض على قمم التلال والجبال التي يضاهي في مطلع قرننا الحادي والعشرين الأربعة آلاف وتسعمائة زاوية استنادا لمعطيات الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، إلا شهادة على حيوية هذا الإيمان، ما يدل على انصباغ كافة مرافق الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والسياسية الجزائرية بالصبغة الصوفية المرابطية، حتى يمكننا القول أن تأريخ الجزائر الإسلامي هو تأريخ صوفي، وقياسا عليه نستلزم صوفانية حاضرها وارتسام معالم مستقبلها الروحي، إذ أن البيئة الصوفية هي التي كيفت نفسانية الفرد الجزائري على مر العصور وحددت معالم جوه الثقافي بمفهومه الشامل لطريقة الحياة وفلسفتها من أدب وسلوك وموسيقى وعمران1.

تنسب الطريقة الشيخية – البوشيخية – إلى (سيدي الشيخ)، وهو عبد القادر بوسماحة – الذي سبق تعريفه – دفين البيض، وكانت وفاته سنة 1023هـ (1615م)، وأصولها الصوفية ترجع إلى عدة طرق منها القادرية والشاذلية والطيبية والصديقية والبكرية، وكان مؤسسها قادري الطريقة إلا أنه أصبح مقدما للشاذلية على يد **محمد بن عبد الرحمن السهيلي**، وأوصى أولاده عند وفاته باتباع تعاليم الشاذلية، ويلاحظ سعد الله أن معظم الطرق الصوفية تأخذ من بعضها البعض، وأن الأتباع يمكنهم الجمع بين عدة طرق في نفس الوقت، إلا أتباع التجانية فإن من شروط دخولها عدم جمعهم بينها وبين طريقة أخرى، حسب المشهور عنها، وقد أخذ عبد القادر بوسماحة الطريقة الشاذلية عن السهيلي[2]، وأخذ هذا عن **أحمد بن يوسف الملياني**، إلى آخر السلسلة، المعروفة بسلسلة البركة. وقد ترك **بوسماحة (سيدي الشيخ)** ثمانية عشر ولدا وأوصاهم باتباع الطريقة الشاذلية، وفي هذا المبحث سنتعرف على السند الروحي للطريقة، وكذا على أورادها، بالإضافة إلى ترجمة شيوخ السند.

المطلب الأول: السند الروحي للطريقة وأورادها

تنحدر الطريقة الشيخية في انتسابها الصوفي من الشاذلية، نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي الذي ولد سنة 593هـ/ 1196-1197م بغمارة، وهناك من ينسب ولادته إلى " شاذلا " بتونس، الحقيقي في حين يرى الشعراني أن شاذلا شريحة من قبيلة بني زروال بالمغرب اسمه على بن عبد الله بن عبد الجبار الشريف الزرويلي وهو صوفي مشهور مؤسس الطريقة، والتي تفرعت منها خمسة عشر طريقة منها الوفائية

1 زعيم خنشلاوي، الجزائر دار الهجرة ومستقبر الإيمان، دط، دت، ص 21.

2 سعد الله، مرجع سابق، ص 103.

والعروسية والجازولية.. ولا تختلف الشيخية عن الشاذلية إلا في القليل، في النوافل بعد الفجر، والعصر (الغروب)[1].

إن الطريقة الشيخية متصلة السند برسول الله ﷺ، من شيخها القائم الحالي سيدي **حمزة بن عبد الحاكم** إلى رسول الله ﷺ، إذ نجد أكثر من أربعين شيخا، وسندرجهم مرتبين، شيخا عن شيخ كما وردت سلسلتهم في كتاب " الطريقة الشيخية الشاذلية، السند والأذكار "[2]، وذلك في الفرع الأول الذي عنوناه بالسند الروحي وشيوخ الطريقة.

أما فيما يخص الفرع الثاني فنخصصه لذكر أوراد الطريقة إجمالا وتفصيلا، وذلك لأهمية الأوراد في عرف جميع الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، إذ لا يمكن أن تكون الطريقة طريقة متبعة وليس لديها أورادها المعروفة والخاصة بها.

الفرع الأول: السند الروحي وشيوخ الطريقة

1_سيدي حمزة بن عبد الحاكم الشيخ الحالي للطريقة:

ولد سيدي حمزة 1927م بجبل غيني، قرب تكافايت بعمالة جرادة، المغرب، تربى على يد والده سيدي عبد الحاكم، وقضى سنوات في أحضان جده سيدي الطيب، وبعد وفاة والده 1966م، تولى مشيخة الطريقة ومسؤولية الزاوية..[3].

2_ شيخه سيدي عبد الحاكم بن الطيب:

ولد الشيخ سيدي عبد الحاكم بن الحاج الطيب نحو سنة 1903 بالجبل الأخضر قرب مدينة بوعرفة المغربية، صحب أباه مدة حياته وتمرس معه على حمل أعباء الزاوية، ولما انتقلت إليه المشيخة بعد وفاة والده نهاية سنة1935 بوصية موثقة، قام بها خير قيام إذ تحمل من أجل نشرها الأسفار الطويلة، إلى أن وافته المنية توم الإثنين 7 ذي الحجة 1386هـ/موافق 28 فبراير1966، ليدفن بمقر الزاوية إلى جانب والده الحاج الطيب.

3_ شيخه المجاهد سيدي الحاج الطيب بن أبي عمامة:

1 راس مال، مداخلة سابقة، ص 54/52.

2 الطريقة الشيخية الشاذلية، مرجع سابق، ص 34/14.

3 سنورد تعريفه كاملا في الفصل الرابع من هذا البحث وذلك لأنه لا يزال هو شيخ الطريقة الحالي، وللدور الذي يلعبه في خطاب الطريقة بفرنسا.

ولد الشيخ سيدي الحاج الطيب نحو سنة 1867م، جاهد مع أبيه ضد الفرنسيين، وحمل الأمانة بعده من سنة 1908م إلى سنة 1935م. وهو الذي أنشأ الزاوية المعروفة اليوم باسمه قرب عين بني مطهر.وافاه الأجل بعد عودته من الحج ودفن بمسجد زاويته قرب مدينة عين بني مطهر المغربية وذلك يوم صفر 1354 هـ موافق ل 7 ماي 1935م

4_ شيخه المجاهد سيدي بوعمامة بن العربي:

هو الشيخ بوعمامة بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن براهيم بن التاج، ولد حوالي 1835م قرب مدينة فجيج المغربية، وكانت بداية زاويته عام 1975م قبل أن يقوم بالجهاد ضد الفرنسيين سنة 1881م، فاستمر مجاهدا مجاهر إلى وفاته، أعطى هذا الشيخ الطريقة قوة جديدة بفضل المجهودات الجبارة التي قام بها سواء في مجال خدمة الطريقة تجديدها أو في مجال الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي الذي حمل لواءه باسمها وتحت رايتها وقد ظل مجاهدا صامدا لما يقارب ثلاثة عقود دون أن يستسلم أو يساوم، رغم تعدد جبهات المواجهة ضده، وقد استطاع بفضل الله أن يذيق الاستعمار شر الهزائم وقد كتبت عنه أقلام عديدة، منها المناصرة والمعادية، وهي كثيرة. لا يسمح المقام بذكرها.

توفي ﷺ قرب مدينة العيون الشرقية المغربية، ودفن بها في ضريح مهيب بناه عليه ابنه الحاج الطيب وذلك في العاشر من رمضان 1326هـ موافق 7 أكتوبر 1908م.

5_ شيخه الأول: سيدي محمد بن عبد الرحمان_ آل سيدي بن عيسى _

هو سيدي محمد بن عبد الرحمان آل بن عيسي الشيخي المجاهد، شيخ زاوية سيدي سليمان بن أبي سماحة ببني ونيف، بولاية العين الصفراء بالجزائر، لقن تلميذه الشيخ بوعمامة أوراد الطريقة وأعطاه إجازة (مقدم) بعد طول خدمة، وأذن له في "إطعام بإنشاء زاوية بأم جرار، بولاية عين الصفراء، شرك سيدي محمد مع الشيخ بوعمامة في جهاده ضد المحتل في معركة فندي خاصة، وتوفي عام 1904م في بني ونيف ودفن بها.

_ شيخه الثاني: سيدي حمزة بن أبي بكر _ آل سيدي الحاج بوحفص _

هو سيدي حمزة بن أبي بكر بن النعيمي، يلقب خليفة الصحراء وهو أبو المجاهدين الشهداء قاد الثورة 1864م: سليمان محمد أحمد وقدور، سلم خاتم الطريقة أو ياقوتتها للشيخ بوعمامة وهو مازال شابا وأوصاه بأولاده خيرا. توفي سيدي حمزة مسموما مسجونا من طرف الفرنسيين عام 1861م بالجزائر العاصمة. ودفن بمقبرة سيدي امحمد بن عبد الرحمان ببلكور.

6- شيخه سيدي أبو بكر (الصغير) بن النعيمي _ آل سيدي الحاج بوحفص _: المتوفى عام 1834م بضريح الحاج الدين بالبنود _ ولاية البيض.

7- شيخه سيدي النعيمي بن أبي بكر (الكبير) _ آل سيدي الحاج بو حفص _: دفن بالأبيض عام 1816م.

8- شيخه سيدي أبو بكر (الكبير)بن العربي _ آل سيدي الحاج بو حفص _: المتوفى عام 1792م.

9-شيخه سيدي العربي بن الشيخ بن الدين _ آل سيدي الحاج بو حفص _: توفي بعد 1766م.

10-شيخه سيدي الشيخ بن الحاج الدين_آل سيدي الحاج بو حفص_: اشتهر بلقب سيدي ابن الدين، وهو الذي بنى جل القباب على أضرحة أسلافه في كل البنود والشلالة وأربوات والأبيض سيدي الشيخ، وله أسجاع لطيفة فيها أخبار عجيبة، يتحدث فيها ببعض ما سيكون، دفن بالأبيض سيدي الشيخ، قرب ضريح جده سيدي الشيخ وعلى قبره قبة كبيرة، توفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

11- شيخه سيدي أبو حفص الحاج _آل سيدي الحاج عبد الحاكم_:

هو الفقيه العلامة سيدي أبو حفص الحاج بن الحاج عبد الحاكم بن **عبد القادر بن محمد**. ترك من المؤلفات كتاب " البهجة البهاج المشهودة" في التصوف، وكتاب"مفتاح الخيرات" في الصلاة على النبي صلى الله عليهو سلم (مطبوع ومحقق)، توفي بالإسماعلية بمصر منقلبه من الحج ﷺ، لم نعثر على تاريخ وفاته.

12-شيخه سيدي الحاج عبد الحاكم بن عبد القادر بن محمد:

هو الصاحب الضريح الكبير قرب أبيه سيدي عبد القادر بن محمد بالأبيض سيدي الشيخ بولاية البيض_الجزائر_ كانت فترة رئاسته للطريقة متزامنة مع قيام الدولة العلوية.

13-شيخه سيدي الحاج بوحفص بن عبد القادر بن محمد:

كان ﷺ ظاهر الولاية والصلاح، إذ أقام زاويته مستقلة في حياة أبيه وكان كثير التردد على الديار المقدسة. وهو صديق الرحالة المغربي العياشي الذي تحدث عنه كثيرا في رحلته التي سبق ذكرها.تقلد

مشيخة الطريقة بعد والده ما يزيد عن خمس وأربعين سنة. وكانت وفاته عام 1660م الموافق 1071هـ.

14-شيخه سيدي عبد القادر بن محمد:

توفي 1025هـ (و قد سبقت ترجمته)

15- شيخه سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي الجرجري: دفين قصر السهلي قرب مدينة بودنيب المغربية. توفي سنة990هـ.

16-شيخه سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني: صاحب قصة المذابيح. توفي رحمه الله سنة 931هـ ودفن بخميس مليانة بالجزائر.

17- شيخه سيدي أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق: توفي سنة 899هـ قرب مسراتة بطرابلس الغرب _ليبيا_.

18- شيخه سيدي أحمد بن عقبة، أبو العباس الحضرمي المصري: توفي رحمه الله سنة 854هـ.

19- شيخه سيدي الحسن أبو العباس القرافي:دفين قرافة مصر(لم نعثر له على تاريخ وفاة).

20- شيخه سيدي أحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري:هو صاحب الحكم العطائية، توفي رحمه الله سنة 709هـ قبره بقرافة مصر.

21- شيخه سيدي أحمد بن عمر، أبو العباس المرسي: توفي سنة 686هـ.

22- شيخه سيدي علي بن عبد الله بن عبد الجبار الإدريسي الشهير بأبي الحسن الشاذلي:

نسبة إلى قرية شاذلة التونسية، ازداد بسبتة المغربية سنة571هـ، خلف الإمام الشاذلي العديد من المؤلفات والعديد من الأوراد والأحزاب، توفي بصحراء عذاب مصر، وهو في سفر إلى البقاع المقدسة سنة 556هـ.

23- شيخه سيدي عبد السلام بن مشيش أو بشيش الإدريسي:ازداد سنة559هـ وتوفي رحمه الله شهيدا سنة 622هـ، ودفن بقمة جبل العلم قرب مدينة الشاون المغربية.

24- شيخه سيدي أبو يزيد عبد الرحمان بن الحسن العطار، الزيات: لم يذكر له تاريخ وفاة.

25-شيخه سيدي جعفر بن عبد الله بن أحمد الخزاعي الأندلسي الملقب بالسني:لحرصه الشديد على السنة، توفي سنة 624هـ.

26- شيخه سيدي أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي الفاسي البجائي الشهير بالغوث:ولد بإشبيلية، وتوفي سنة 594هـ ودفن بالعباد بتلمسان بالجزائر.

27- شيخه أبو يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميري: أمازيغي الأصل، عمل أكثر من 130سنة، توفي سنة572هـ وضريحه مشهور مشيد قرب مدينة خنيفرة بالمملكة

28-بن الحسن علي بن اسماعيل ابن حرزهم: توفي سنة559هـ، ودفن بباب الفتوح بمدينة فاس المغربية.

29-شيخه سيدي أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري: ولد بإشبيلية سنة 468هـ بلغت مصنفاته ما يزيد على 35، ودفن بفاس سنة 543هـ بباب المحروق.

30- شيخه سيدي محمد بن محمد أبو حامد الغزالي: يلقب بحجة الإسلام، مجدد القرن الخامس، خلف مؤلفات عديدة في مختلف الفنون انفعها كتاب"إحياء علوم الدين". وكانت وفاته سنة505هـ/ الموافق لـ: 1111م.

31- شيخه سيدي عبد المالك بن أبي يعقوب بن يوسف الجويني الشهير بإمام الحرمين: ولد سنة 419هـ، خلف مجوعة كبيرة من المصنفات. وتوفي عام 478هـ.

32- شيخه سيدي محمد بن علي بت عطية أبو طالب المكي: من أشهر مؤلفاته "قوا القلوب" توفي بمكة سنة 386هـ.

33- شيخه سيدي أحمد بن محمد الجريري: توفي رحمه الله سنة 312هـ.

34-شيخه سيدي أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي: هو إمام التصوف السني، وهو الذي عناه ابن عاشر بقوله:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

توفي رحمه الله سنة 297هـ.

35-شيخه سيدي أبو الحسن السري بن المفلس السقطي: وهو خال الجنيد، توفي ببغداد سنة، ودفن بمقبرة الشونيزية إلى جوار قبر الجنيد.

36-شيخه سيدي أبو محفوظ معروف بن فبروز علي الكرخي: كان مجاب الدعاء، والدعاء مجاب عند قبره، توفي رحمه الله ببغداد سنة 201هـ.

37-شيخه سيدي داود بن نصير، أبو سليمان الطائي الكوفي المعروف بداود الطائي: توفي سنة150هـ

38- شيخه سيدي حبيب بن محمد، أبو محمد العجمي الفارسي:كان ﵁ مستجاب الدعوة توفي بالبصرة سنة 125هـ.

39- شيخه سيدي الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري الفارسي: من كبار التابعين، وحبر الأمة في زمانه، ازداد بأم القرى سنة 21هـ، شب في كنف الإمام **علي بن أبي طالب**، توفي الإمام الحسن ﵁ سنة 110هـ.

40- شيخه سيدي الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي كرم الله وجهه: هو ابن عم الرسول ﷺ، وزوج ابنته البتول السيدة فاطمة الزهراء، وأبو السبطيين، ورابع الخلفاء الراشدين، توفي شهيدا في 17 رمضان سنة 40هـ.

41- عن سيدنا رسول الله وحبيب الله، محمد بن عبد الله النبي الأعظم، ﷺ[1].

[1] أثبت الشطر الأعلى من هذا السند العلامة المحدث سيدي أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني في كتابه **"البرهان الجلي في انتساب الصوفية إلى علي"**.

رسم بياني لسند الطريقة الشيخية الشاذلية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الثاني: أوراد الطريقة إجمالا وتفصيلا

أوراد الطريقة الشيخية إجمالا[1]:

الأذكار العامة:

1- حزب الفلاح: وهو ذكر عام مطلق يعطى للراغبين الجدد سواء كانوا عزابا أو متزوجين، وسيأتي تفصيله وتأصيله من الكتاب والسة.

2- الحضرة: وهو ذكر عام يأتي به الفقراء جماعة صباحا ومساء خلال فصل الشتاء الذي يطول فيه الليل، ويمكن للمريد أن يأتي به منفردا إذا لم تتيسر الجماعة إلا أن السماع الجماعي مطلوب فيه.

3- الصلاة الكمالية: بصيغة تسمى الصيغة الكمالية وهي اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعد كماله (25مرة)، هذا الذكر يعتبر جزءا من الوظيفة اليومية بعد صلاة الصبح وبين العشاءين.

4- الكلمة الطيبة: هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله، تردد مائة مرة، منها سبعة عشرة مرة: محمد رسول الله، تنقسم الجماعة فريقين، يقولها الفريق الأول الذي فيه المقدم مرتين، ثم يردها عليه الفريق الثاني.ويسمى هذا الذكر بالدور أو السبحة، وهذا الذكر يؤتي به في كل اجتماع، ويتأكد على الجماعة بعد صلاة الصبح وبين العشائين.

5- الصلاة الأمية: وصيغتها " اللهم صل على سيدن محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم " (80مرة)، يأتون بها بعد عصر يوم الجمعة، لحديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام البيهقي، وأخرجه السخاوي في القول البديع: (من صلى العصر يوم الجمعة ثم قال قبل أن يقوم من كجلسه: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ثمانين مرة، غفرت ذنوب ثمانين سنة)، أو كما قال.

1- الورد الخاص: وهو الورد المأذون للمقدم أن يلقنه الفقراء. والورد الشيخي يتميز عن أوراد الطرق الأخرى أنه يؤتى به سرا لا جهرا، ولا يسمح أن يباح به لغير المريد بحال، ولعل من حكمة ذلك، تربية المريد على صيانة العهد وكتمان السر، والزيادة في الأجر، لأن الذكر إذا كان سرا كان أجره أكثر، وتشجيع الناس على طلب الورد حب الاستطلاع ولأنه يحتوي على الاسم الأعظم الذي لا ينبغي أن

1 الطريقة الشيخية الشاذلية، مرجع سابق، ص 38/35.

يعلمه كل أحد، كما فعل رسول الله ﷺ، لما امتنع من تعليمه لأم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها، وغير ذلك من الحكم، ومن أهم شروطه الزواج، فلا يعطى للأعزب.

2- الورد الأخص: وهو الورد الذي يلقنه الشيخ لمن رآه أهلا لذلك، من خواص مريديه الذين يتربون تحت رعايته المباشرة، والصلاحية كاملة في هذا النوع من الورد للشيخ كما ونوعا، حسبما يراه من استعداد المريد.

أوراد الطريق الشيخية تفصيلا[1]:

حزب الفلاح: وهنا سنورد تأصيله الشرعي عند أتباع الطريقة وهو من نظم مؤسس الطريقة سيدي الشيخ، أما فيما يخص الحزب فإنني سأورده في الفصل الرابع مجردا من التأصيل.

تأصيل حزب الفلاح وبعض فضائله:

1- توكلت على الحي الذي لا يموت:

قال النبي ﷺ فيما رواه مسلم والحاكم والبيهقي وابن أبي الدنيا:"ما كربني أمر إلا تمثل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، وقل: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا " ما قالها عبد إلا أذهب الله عنه كرب الدنيا والآخرة.

وقال النبي ﷺ لأحد الصحابة فيما رواه ابن السني:" ألا أعلمك كلمات تذهب عنك الضر والسقم، قل توكلت على الحي الذي لا يموت وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ".

2- وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا: هي من الآية 111 من سورة الإسراء، وقد ورد في المعجم الكبير للطبراني، قول النبي ﷺ آية العز: وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا.. إلى تكبيرا.

3- الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق:

هذا مقطع من الآية 43 من سورة الأعراف، جاءت على لسان أهل الجنة، وحلقات الذكر هي

1 المرجع السابق، ص 43.

رياض الجنة للحديث الصحيح: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قيل: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر.

4- جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمد ﷺ أفضل ما هو أهله:

روى الطبراني في المعجمين الكبير والأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: من قال جزى الله عنا محمدا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح.

5- ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هدينا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب:

هي الآية السابعة من مطلع سورة آل عمران، وهي دعاء للحفظ من زيغ القلوب حتى تثبت على يكرره المريد الشيخي صباح مساء، فكيف لا يثبت قلبه، ولا يرحمه ربه.

6- أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق:

روى مالك في الموطأ ومسلم في الصحيح، أن رجلا لدغته عقرب فجاء يشتكي إلى رسول الله ﷺ فقال له: أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك.

وما رواه ابن حبان عن النبي صلى الله وسلم قوله: من قال حين يمسي ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تصبه حمة (بضم الحاء وتخفيف الميم، تطلق على كافة أنواع السم).

روى مسلم والبيهقي وأحمد والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة وغيرهم عن النبي ﷺ قوله: إذا نزل أحدكم منزلا فليقل أعوذ بكلمات الله من شر ما خلق فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه.

7- بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم:

روى البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وأبو داود وابن ماجة وأحمد والطيالسي عن النبي ﷺ قوله: ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره شيء.

زاد البيهقي وابن حبان وأحمد وأبو داود: لم يصبه في يومه ولا في ليلته فجأة بلاء.

8- سبحان ربي العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

هما تسبيح وحوقلة، فأما التسبيح"سبحان ربي العظيم وبحمده " فقد ورد أنها أحب الكلام إلى الله - كما في صحيح مسلم -، وفي غيره أنها صلاة الخلق وبها يرزقون، وذلك في وصية نوح عليه السلام لأبنه.

وأما الحوقلة" لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" فقد قال النبي صلى اله عليه وسلم: إنها كنز من كنوز الجنة، رواه أحمد والبيهقي والطبراني في الكبير وغيرهم.

9- أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيته على نفسي وأتوب إليه:

ذكر السيوطي نقلا عن صاحب نعت البدايات أن من قال: أستغفر الله العظيم إلى.. وأتوب إليه (الاستغفار السابق) ثلاث مرات كل يوم بعد صلاة الصبح، كان له قسط وافر من الفهم والعلم وكثرة المال وسعة الرزق، وفضائل الاستغفار كثيرة.

10- فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون:

هذه الآيات من سورة الروم، روى أحمد والطبراني في الكبير وابن جرير والمتقى في كنز العمال قول النبي ﷺ: ألا أخبرك لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى، لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى، سبحان الله حين تمسون.. إلى قوله تخرجون.

وما رواه أبو داود والطبراني في الكبير والأوسط وابن أبي شيبة أن النبي ﷺقال: من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون.. تخرجون، أدرك ما فاته في يومه، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته.

11- سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين:

هي الآية الخاتمة لسورة الصافات.

وروى الديملي وعبد الرزاق في مسنده وابن زنجويه عن الإمام علي كرم الله قوله: من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقرأ: سبحان ربك رب العزة.. العالمين.

12- لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله:

و هذه بيت القصيد، وأساس التوحيد، وجماعه، أول أركان الإسلام، وشرط قبولها كلها.

13- ثبتنا يا الله بقولها،و ارحمنا يا مولانا بذكرها، واجعلنا من أخير أهلها،و احشرنا مع (1- الطاهر،2- الصادق،3-الشفيع)، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله(ثلاثا):

هذا دعاء بالثبات على قول كلمة التوحيد والرحمة بذكرها والكون من خيار أهلها والحشر مع رسول الله ﷺ، وأعظم به من دعاء ؟

14- أستغفر الله من كل ذنب أذنبته عمدا أو خطأ سرا وعلانية وأتوب إليه، من الذنب الذي أعلم ومن الذي لا أعلم، وأنت علام الغيوب، غفار الذنوب، ستار العيوب، كاشف الكروب،وأتوب إليك:

هو استغفار جامع لأن الذنوب لا تخرج عن كونها إما عمدا أو خطأ، سرا أو علانية، وإما معلومة أو غير معلومة. وفضائل الاستغفار كثيرة.

15- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

سبق ذكر أنها كنز من كنوز الجنة كما في الحديث.

16- اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم استر أمة محمد، اللهم اجبر أمة محمد ﷺ، ولكل من آمن به وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين:

ورد عن ابن عطاء الله السكندري في كتابه " لطائف المنن " إن هذا دعاء الخضر عليه السلام، من قال كل يوم صار من الأبدال

17- أعددت لكل هول لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولكل بلاء وشدة استعنت بالله، استعنت بالله، استغثنا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد وعل آله وصحبه وسلم تسليما ولحمد لله رب العالمين.

ورد في كتاب **"نزهة المجالس"** في باب ذكر الموت وقصر الأمل ما يلي:

قال النبي ﷺ: إن للموقف ألف هول أدناه الموت، وإن للموت تسعة وتسعون جذبة، لألف ضربة بالسيف أهون من جذبة منها فمن أراد أن يؤمنه الله من تلك الأهوال فعليه بعشر كلمات خلف كل صلاة وهي: أعددت لكل هول لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ولكل نعمة الحمد لله،ولكل رخاء الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولكل بلاء وشدة استعنت بالله.(ببعض

التقديم والتأخير في ترتيبها).

وهو دعاء شامل لكل الأحوال التي يمكن أن تطرأ على الإنسان في يومه وليلته، فهو يعد لكل حالة الذكر الذي يناسبها لأنه قد يغفل عنه في حينه.

_ أما تأصيل تكرار كلمة التوحيد " لا إله إلا الله" (الدور)، فقد روى الإمام أحمد في المسند والطبراني في أحد معاجمه والبزار، عن يعلى بن شداد قال: حدثني أبي – وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه – أن النبي ﷺ كان مع أصحابه في بيت فقال: هل فيكم غريب ؟-يعني أهل الكتاب – فقالوا: لا. فأمر بغلق الباب، فجعل يقول: لا إله إلا الله، ساعة، ونحن معه، ثم رفع يديه – أو قال: اللهم إنك بعثني بهذه الكلمة، وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد، فسكت ثم قال: أبشروا فقد غفر الله لكم، أو كما جاء في معنى الحديث/ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله موثوقون.

وخلاصة القول:

إن حزب الفلاح جامع بحق بكل ما يحتاج إليه المسلم من أمور الدنيا والآخرة لان فيه-كما تتبعنا في فضائله-: تفريج للكروب، وفيه العز، وفيه الاستشعار بدخول الجنة وفيه تشغيل لسبعين كاتبا من الملائكة ألف صباح، وفيه تثبيت للقلوب على الإيمان، وفيه حفظ من السموم ومن شر كل ذي شر،وفيه أحب الكلام إلى الله، وفيه كنز من كنوز الجنة، وفيه الاستغفار الجامع، وفيه درك لأعمال الصالحين بالليل والنهار، وفيه تجديد التوحيد، وفيه الترشيح للصيرورة من الأبدال، وفيه أمان من الأهوال، من أول سكرات الموت بداية إلى آخر أهوال الصراط نهاية، وفيه الاكتيال بأوفى المكيال، وفيه الصلاة التي لا حد لفضلها، وفيه تكرار كلمة التوحيد بالدور وقد سمعت فضل ذلك، فبهذه الفضائل، وجب أن يعمم هذا الذكر الجامع المأثور- حزب الفلاح – ليردده كل مسلم.

الصلاة الكمالية[1]: وهذه الصلاة من وضع شيخ الطريقة سيدي الشيخ

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك، وعد كماله (25مرة).

اللهم صل وسلم على المجتبى، سيدنا محمد هلال الرجا، شفيعنا وسيدنا محمد سفينة النجان صلاة تكون لنا فرجا، وتفتح لنا أبواب النجا، فتحا قريبا منفرجا (ثلاث مرات).

اللهم شفعه فينا بجاه عندك (3مرات)، يا الله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على

1 المرجع السابق، ص 42.

المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أما الصلاة الكمالية، فقد ذكر الشيخ **يوسف النبهائي** في كتابه: " أفضل الصلوات على سيد السادات " أن فضلها لا نهاية له ".

الكلمة الطيبة:(الدور)

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله

لا إله إلا الله،محمد رسول الله لا إله إلا الله، محمد رسول الله

(17مرة)

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله، ألف صلاة وألف سلام عليك وصلى الله وسلم عليك وعلى آلك وأصحابك يا سيدي يا من خيرك الله، (اللهم شفعه فينا بجاه عندك (3 مرات)، يا الله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ثانيا قصيدة الحضرة: وهي من القصائد المشهورة في الطريقة وسنذكرها في الفصل باعتبارها من القصائد المعتمدة في الزوايا الشيخية بفرنسا.

ويؤتى بها على الشكل التالي:

-سورة الفاتحة.

- الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، عن ربنا لغفور شكور، إن ربنا لغفور شكور.

- إن الله وملائكته يصلون عن النبي يا أيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

-اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى اله وصحبه وسلم تسليما (ثلاث مرات).

-لا إله إلا الله (100 مرة).

-سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى اله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

الله الله الله، الله الله الله الله الله، الله الله الله

الله الله الله، الله الله الله الله الله الله، الله الله الله

ثم يبدأ المريدون في قراءة القصيدة، وذلك بطريقة معلومة عند الإخوان الشيخيين.

وقصيدة الحضرة ذكر عام يأتي به المريدون الشيخيون في الشتاء خاصة، بين العشاءين، ويجتمعون له في أول مرة في البداية فصل الشتاء ويجمعون أكبر عدد ممكن من الناس، إيذانا بإدراجها في الأذكار الجماعية الصباحية والمسائية ويسمون ذلك اليوم " **دخول الحضرة** ". ويختارون له غالبا ليلة الجمعة أو يومها ثم يجمعون لها الناس كذلك آخر فصل الشتاء إعلاما بخروجها.

ولقصيدة الحضرة شروح أهمها: شرح الأستاذ **عبد الله طواهرية** وهو مطبوع، كذلك شرح الأستاذ **أحمد بن عثمان حاكمي** وهو مطبوع مع كتابه: " الطريقة الشيخية في ميزان السنة ".

قصيدته الياقوتة[1]:

نظم قصيدة الياقوتة –كما سبق القول– مؤسس الطريقة سيدي **عبد القادر بن محمد** في 178بيتا، وكان سبب نظمها هو الرد على الرسائل التي ألفها الفقيه ابن أبي محلي الفيلالي المقتول عام1613م/ الموافق لـ: 1022هـ، على يد جيوش الأمراء السعديين الشرفاء بسبب ادعائه للمهدوية وشق عصا الطاعة عليهم.

بين الشيخ ﷺ في هذه القصيدة تجربته في السلوك بداية وأطوار ونهاية، ثم بين بعض علوم القوم واصطلاحاتهم، ثم سنده في الطريق، وسنوردها في الفصل الرابع ونكتفي هنا بشرح حولها.

شروح قصيدة الياقوتة:

من أهم شروحها – شرح سيدي **محمد بن معروف العامري البوشنافي الإدريسي** الذي ما يزال مخطوطا، منه نسخة بحوزة **سيدي حمزة** – شيخ الطريقة– وللقصيدة شروح تعليقات لبعض الأساتذة المعاصرين كمقدمي الطريقة، الأستاذ **عبد الله الطواهرية البوشيخي**، و**الأستاذ بن عثمان الحاكمي**، وكالأستاذ **أبي بكر المازوزي** آل سيدي الشيخ، وكلها مطبوعة، وقد وضع عليها تخمبسا الفقيه **الشيخ الخلادي** حفظه الله.

وتقرأ قصيدة الياقوتة خاصة صباح كل جمعة في كل من الزاوية الشيخية المركزية بالأبيض سيدي الشيخ بالجزائر، وفي الزاوية البوعمامية الشيخية بعين بني مطهر بالمغرب.

1 المرجع السابق، ص 72/69.

كما تقرأ قصيدة الياقوتة في بعض زوايا الطريقة الأخرى، خاصة في المواسم التي تقام بالقطر الجزائري وعلى رأسها موكب (الركب)، بالأبيض بسيدي الشيخ، ثم مواسم كل من: عسلة، أم جرار، البنود، الرقاصة، عين الشخونة، متليلي، واد الناموس، خلف الله، بريزينة، بن باديس، سيدي بلعباس، عين صالح، لمنيعة، توت، بني ونيف، وغيرها.

والمواسم التي تقام بها في المغرب، كموسم زاوية عين بني مطهر، والمهاية مكناس، فجيج، وجرادة والعيون الشرقية، وسيدي موسى، والفيضة، والسيبلية، والكعدة، وظهر الكعد، وغيرها.

وهذه المواسم تقام فيها حلقات الذكر ودروس الوعظ ويطعم فيها الطعام، ويختم في بعضها كتاب الله، وتقام في بعضها عروض الفروسية، إضافة إلى أن الزاوية البوعمامية الشيخية بعين بني مطهر تهتم كثيرا بإحياء ليلة المولد النبوي، حيث يختم القرآن كله، وتجري أحيانا مسابقة تجويده بين طلبة الزاوية، وتسمع دروس السيرة النبوية والأمداح الشريفة، وتهتم الزاوية كذلك بإحياء ذكرى وفاة الشيخ أبي عمامة مجدد الطريقة، وذلك في العاشر من شهر رمضان كل سنة.

واجتماعات الزاوية هاته، وخاصة منها اجتماع المولد واجتماع الموسم، يعتبران دورتين تكوينيتين لمقدمي الطريقة للتعارف والتشاور وتكوين المقدمين الجدد وتنظيم عمل الطريقة.

قصائد وصلوات مختارة لبعض الشيوخ في الطريقة الشيخية:

لسيدي أبي حفص الحاج بن سيدي الحاج عبد الحاكم (ت بعد 1110هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وقال الشيخ الولي الصالح العارف بالله سيدي أبو حفص بن سيدي عبد الحاكم السماحي ﷺ ونفعنا بن آمين.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، لبيك اللهم وسعديك، الخير كله بين يديك، ومن عندك، فها أنا عبدك الذليل الفقير العاجز، واقف بباب كرم جمدك، راج فضلك ورحمتك والنهوض لطاعتك والدخول لحضرتك، راكن لمنيع جانبك، متوسل إليك بأفضل أحبائك سيدنا ومولانا محمد، ومستعين بك في جميع ما أمرتني بتوفيقك، ممتثلا لأمرك، فإنك

أمرتنا بالصلاة على النبي ﷺ وجعلتها فريضة افترضها علينا، فها أنا أصلي عليه تعظيما لنبيك وتشريفا لقدر رسولك ﷺ، واتباعا لوصيتك ومنجزا لموعودك، فأسألك الله بجلال وجهك ونور عظمتك، وبما أوجبت على نفسك، أن تصلي أنت وملائكتك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك، إنك حميد مجيد، يا من ولهت القلوب وتحيرت في كنه جلاله واقتصرت بالعجز عن إدراك كمالات قيوميته صل بمدة مهطيل سحاب كرمك، وسلم بتأمين وطيب تحية وإعظام، وبارك بجل خيراتك وبركاتك العامة بجزيل فضائل قدرتك وعلويات أوصافك على شمس معارف أسمائك ومظهر لطائف لأسرارك، سيدنا محمد ﷺ، حاء الرحمة والأحكام، وميما الملك والمجد ودال الدوام، السيد الكامل نور كمالك المكنون، شمس النبوة ابطالع من بروق شواهد سرك المصون، صاحب الغمامة والأمين جبريل، في التنزيل والتوراة والإنجيل الذي بطه ويس ومحمد ﷺ سميته، وقلتَ يا أيها النبي إنا أرسلناك تشريفا وتعظيما ناديته، وبالنور والقرآن والشفاعة خصصته، وبخوارق المعجزات صدقته.

اللهم يا رب صل وسلم وبارك عليه وعلى آله، أفضل هدية تهب من مواهب الإكرام منك إليه، وعليك منا يا نبي الهدى، ويا شمس النجوم الإهداء، صلاة كاملة وسلاما مباركا أحلى من الشهد، ما طلعت شمس، وما صليت خمس.

اللهم يا حي بحياته الأزلية، ويا قيوم بقيوميته الأبدية، أسألك يا الله بذاتك العلية، وبكلماتك تاصمدية، وبأسمائك المنشقة البهية، وبما تضمنت الموجودات في كل ناحية أن تصلي بسلام وبركات على نورك الساطع سيدنا محمد ﷺ، المخصوص بقاب قوسين، وصلاة تبلغنا بها محض رضاك، وتمشينا بأنوارها في كل ما سواك.

اللهم صل وسلم وبارك على الذي ملأت قلبه من سنا جلال عظمتك وإلهامك، وعينه من بهاء جمالك وكرمك فصار مبتهلا في أوصاف كمالك، وعظمة جلالك، عظمة وإلهاما، وعيناه من بهاء جمالك، نورا وإكراما فنظر ببروق جلالك إلى شهود كمالك، غيبته في بحار عظمتك عن الأنه، واقتصرته بالعجز عن الكنه، ثم ناداك بالعجز عن الكنه والاختضاع فقال وأحسن في ما قال يا دليل الحائرين زدني فيك تحيرا. ونظر بأنوار جمالك الساطع، في بساط كمالك المتسع، أنسته بلطائف أنسك، وأدنيته راقيا إلى بساط أنسك.

اللهم يا رب صل وسلم وبارك بأوصافك الأزلية، الموصوفة القائمة بذاتك العلية، على نورك الساطع المودع في الآثار، بربوبيتك في إشراق الأطوار، ما أحاطت إحاطتك به في الغيب والشهادة من أوصاف كمالاتك.

اللهم يا رب صل وسلم وبارك على مصباح أنوار القلوب، ومفتاح أبواب الغيوب سيدنا محمد أحمد حامد محمود الناظر بعين الرحمة في الملكوت، أفضل الصلاة والسلام، ملء ما في أجباح الأرض والسماء.

اللهم صل وسلم وبارك على معدن الأسرار، ومنبع الأنوار، ملء ما غشيته ليل الأكدار، وتجلى عليه شعاع النهار، سيدنا ومولانا محمد تاج الكرام، ومصباح الظلام، المخلوق من بهاء كمالك وسنا جلالك، ونوره قبل تكوين خلقك تعظيما لحقك، وإلهاما منك إليه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الكرام، ما تجلت أثار عن الأين والجرام.

الهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله ملء ما برزت من أنوار قدرتك، وما خصصت من أسرار دلالتك.

اللهم صل وسلم وبارك على نور البهاء، وغاية النها، روح الخلق القائم بالعدل والإنصاف الصادق، صاحب الأنس والفراديس، ومقام التنزيه والتقديس، عقد السلوك، وتاج حضرة الملوك.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى وآله مادامت الأكوان في الوجود مكونة، ولا يكون لوجدك أين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تدوم له من بحار عذب حبك، حتى يروي من خالص طيب كرمك الناشئ من أنوار، وصل وسلم وبارك على الذي تشتمل الأبصار في طلعة وجوده، وتبهت الأفكار في وصف شهوده، نور معارف الألوهية من غير كيف، وسر أحكام الربوبية في هيف[1].

لسيدي الشيخ بن الدين بن الحاج بحوص (ت 1140هـ) (1756م)

وهي من أشعاره التي نظمها في أمر الحدثان وما يكون في مستقبل الأيام، خاصة الاستعمار النصراني الفرنسي للغرب الإسلامي.

ماذا من الهموم اللّي راها جايا بين العرب والعجم و الترك و الروم

الثعالبي أيسول في النبي الغايا أخبر الجيل المر الغيشوم

قالواْ قرن ثلاثة عشر في القسم الثاني خمسين عام يلقوها في الهموم

1 عمل المريد الشيخي، عن الزاوية البوعمامية الشيخية، بعين بني مطهر وجدة، دط، 2014، ص 47/43.

ثلاثين سنا والناس مساويا أو ستة مع العشرة والترك احكوم
وتخرج انصاره من مصر داويا يرجع الوطن سلطان الروم
من بعد إيفيض باعساكر قاويا ليهم الشرق والغرب إيجو في يوم
إيجي على ادزاير يلقاها ساهيا وعلى ازوار تخرج قومان اطموم
من مصر للسواحل ما تبقى هانيا إسكندرية وتونس تبقى للروم
وجده أوسوس الأقصى ما يسوى ساويا تازة ويدخلوا في فاس المرقوم
إيجي على العريشة باعساكر قاويا جردان من النصارى في التل اتهوم
كاشوش كبش يشوو الشوايا يدوا العشرة من غالية السوم
أخبية مبنية وادواوير وامطايا بكرات من النسا يهدوهم للروم
زوجتك احلالك تعطيها ليه اهدايا بها تفك عمرك وأنت مذموم
في يوم سبت يخرج جالوت اهنايا أيحط دون وهران في قرن الدوم
منا للأبيَّض والدنيا داويا هذا إسلم وهذا يَهدي للروم
ثمة تقول وين أولادي وين انسايا الجوع والعطش في الصحراء مقسوم
خبرة للريال بين اعشاي واغدايا والصيف لا احبوب تظل الناس تهوم
تضحى لمرا ديك اللي غايا والله لا اسوات اربيع حموم
أميات عام او عشرة اسنين واشمسهم ضاويا هذاك ما اعطاهم الرب القيوم
اتبرم عليهم تاكلهم عاويا ايجيك ولد الزهرة سيف مسموم
في اريوسهم يقطع وفي يد ماضيه واجنود من السما في الكفار اتهوم
الفلك دار سعد الفلاح انهايا حرث السنا أو صيف يصلح بالمغزوم
الباي بوحميدي عزى واهنايا أيحط في اسبو والقومان اطموم
براح ولد الزهرة في كل اثنايا لا غش لا اغدر نطقوا بالمحكوم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

طغاة في ازمانه ما يسووا ساويا والله لا اكلاو اربيع مظلوم
ذا الغريبة البسها ذا السلطان اعبايا الأحلاف جاهم باعلامو مرقوم
إيجي اشريف سوسي ما فيه اسعايا يفتح باب مكة من تم ايقوم
راكب فوق ناقة بيضا جرايا يلقوها ابجده هدوك القوم
هذا الكلام للشيخ ابن الدين درايا من ساعة النبيّ محمد منظوم
احرام زوجتي هما وانسايا ألا سمعتها من شفيع القوم[1]

للشيخ المجاهد سيدي بوعمامة بن العربي (ت 1326هـ)

القصيدة الأولى: الصلاة الفوقية

قال ﷺ: لها فوائد عظيمة، من قرأها مرة واحدة كمن كنز كنزا

اللهم صل على سيدنا محمد البدر الطالع
اللهم صل على سيدنا محمد النور الساطع
اللهم صل على سيدنا محمد السر القاطع
اللهم صل على سيدنا محمد العلم النافع
اللهم صل على سيدنا محمد الحلم الواسع
اللهم صل على سيدنا محمد القلب القانع
اللهم صل على سيدنا محمد المقام الرفيع
اللهم صل على سيدنا محمد النبي المطيع
اللهم صل على سيدنا محمد الخاشع المتواضع
اللهم صل على سيدنا محمد الكريم السريع
اللهم صل على سيدنا محمد الحق الشارع

1 المرجع السابق، ص 49/48.

اللهم صل على سيدنا محمد الشفيع المشفع

اللهم صل على سيدنا محمد الزاهد المتورع

اللهم صل على سيدنا محمد الحصن المانع

صل اللهم عليه حتى لا يبقى شيء من الصلاة عليه

اللهم صل على سيدنا محمد ذو الآيات العظيمة

اللهم صل على سيدنا محمد صاحب الشفاعة الكاملة

اللهم صل على سيدنا محمد ذو النعمة الشاملة

اللهم صل على سيدنا محمد ذو البحور العميقة

اللهم صل على سيدنا محمد صاحب السطوات الربانية

اللهم صل على سيدنا محمد ذو النفحات الإلهية

اللهم صل على سيدنا محمد الأحياء والأموات

اللهم صل على سيدنا محمد الفارق بين النار والجنات

اللهم صل على من أطلعته على الكائنات والمكونات

اللهم صل على سيدنا محمد مفتاح الأراضي والسماوات

اللهم صل على من أضاءت من ضياء نوره الظلمات

اللهم صل على من طابت من طيب طيبه الطبيات

اللهم صل على سيدنا محمد عليه منك أفضل الصلوات

اللهم صل على سيدنا محمد في السكون والحركات

اللهم صل على سيدنا محمد باب رحمتك

اللهم صل على سيدنا محمد منبع أكوانك

اللهم صل على سيدنا محمد إمام عوالمك

اللهم صل على سيدنا محمد رسولك لكافة خلقك

اللهم صل على من جعلت الصلاة عليه مفتاح رضائك

اللهم صل على من جعلت الصلاة عليه نجاة من عذابك

اللهم صل على الكامل بكمال كمالك

اللهم صل على من شرحت به دينك

اللهم صل على سيدنا محمد طيب الحياة

اللهم صل على سيدنا محمد المنزه عن الآفات

صل الله عليه وعلى آله وأزواجه الطاهرات

اللهم صل على سيدنا محمد الفجر الباهر

اللهم صل على سيدنا محمد القدر الفاخر

اللهم صل على سيدنا الأصل الطاهر

اللهم صل على سيدنا محمد السراج المنير

اللهم صل على سيدنا محمد القلب الكبير

اللهم صل على سيدنا محمد جابر الكسائر

اللهم صل على سيدنا محمد عارف السرائر

اللهم صل عليه عدد ما يمشي بالرجل ومن بالجناح طار

اللهم صل على من تحققت به الحقائق

اللهم صل على من جعلته تذكير لمن شئت من الخلائق

اللهم صل على من سميته مصدق صادق

اللهم صل على من لا أحد إلى الجنة له سابق

اللهم صل على من لو لاه لما خلقت سابق ولا لاحق

اللهم صل عليه عدد ما أضاء عليه النهار وما غسق غاسق

اللهم صل عليه عدد ما يظهر وما هو غامق

اللهم صل عليه عدد من صل عليه في المشارق والمغارب

اللهم صل على سيدنا محمد البهاء الكامل

اللهم صل على من لا شبيه له ولا مماثل

اللهم صل على سيدنا محمد حبيب ربنا الجليل

اللهم صل على من الصلاة عليه دواء لكل عليل

اللهم صل على سيدنا محمد العهد الذي لا له تبديل

اللهم صل على سيدنا محمد كما صليت على إبراهيم الخليل[1]

القصيدة الثانية لسيدي بوعمامة بعنوان: يا شفيق

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله — لا إله إلا الله، رجائي هو الله

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله — لا إله إلا الله، رجائي هو الله

يا شفيق يا رفيق،غني في الاتساع والضيق — أجرنا من الحريق،برحمتك يا الله

أحرسنا من الآفات، يا عالم بالخفيات — منك جميع الحاجات، يا كريم يا الله

اغنني بك في الحياة، يا سميع للأصوات — بجاه شفيع الأموات، يا من هو الله الله

اجعلني في وجهك ناظر، يا علي يا قدير — بجاه النبي البشير، بشرني بك يا الله

بشرني يا مبشر، بعد العسير ميسر — منك جانا كل خير، من كونك يا الله

إذا ما لي عندك سابق،أنت الرحيم والمضيق — الكون على خلقك دفيق، ارحمني يا الله

بجاه أبوبكر الصدوق، وعمر الفاروق — إني دائما في شوق، إلى لقائك يا الله

معدني فيه الآفات، بجاه جميع السادات — ارحمني عند الممات،برحمتك يا الله

يا إله المخلوقات، يا رافع السماوات — أجرنا من الآفات، بعفوك يا الله

يا إلهي يا قدير، ما لي معك تدبير — لا شريك لا نظير، في وجودك يا الله

كيف لي سيدي ونحير، نبغي للأمة التحرير — يا من لا له نظير، فاض فضلك يا الله

1 المرجع السابق، ص 54/50.

هو يجيب من دعاه، بجاه العرش ومن حوله رجائي هو الله، لا إله إلا الله
بجاه ذاتك العظيمة، يا كريم الكرما أنت نور لا ظلمة، يا غني يا الله
فسبحانك يا سبحان، ذو البهاء والإحسان منزه عن الأكوان، سبحانك يا الله
بجاه العروة الوثقى، ذو العلوم والتقى شفيعنا يوم اللقاء، مولانا رسول الله
أنت الغني وأنا الفقير، أنت العزيز وأنا الحقير فرج عني كل عسير، فرج همي يا الله
إني إشتكيت إليك، ما مسني عندك ليس لي إله غيرك، إقهر أعدائي يا الله
يا ربي يا الله، أجب عبدك ما دعاه اقضي له ما سأله، من فضلك يا الله
بحق الحق الحقيق، بنور الوجه الدفيق أجرنا من كل ضيق، فرج ما بي يا الله
بجاه العظيم جاهك، بجاه عظمتك بجاه أوليائك، لا تسلبنا يا الله
إني داخل حماك، لا أسأل أحدا سواك عجل للعدو بالهلاك، يا من هو الله الله
سألتك يا رب الأرباب، بيوتهم للخراب حتى يصيروا تراب، دكا دكا يا الله
ثم الصلاة والسلام، على شفيع الأنام سيدي مصباح الظلام، حبيبي رسول الله
يا رب صل عليه، بقدر حبك فيه عدد من صلى عليه من خلقك يا الله
لا إله إلا الله، لا إله إلا الله لا إله إلا الله رجائي هو الله
لا إله إلا الله، لا إله إلا الله لا إله إلا الله شفيعنا رسول الله[1]

قصيدة الولية الصالحة للا ربيعة: بعنوان: يا مولاي

وهي ربيعة البوشيخية بنت سيدي المنور، صاحبة الكرامات الشهيرة المجاهدة زوجة الشيخ المجاهد سيدي محمد بو عمامة نفعنا الله بهم.

طلبتك يا الله سميع دعائي يا مولاي هون لي في الحبيب نشفاه
سرحني لا تفوت لركاب علي يا مولاي عطف سيد الوجود عجل لي برضاه
جبنا لك الحروف وعدد الآية يا مولاي يا شفيع أمته والذي رباه

1 المرجع السايق، ص 56/55.

جبنا لك أبو بكر وعمر عزيين يا مولاي عثمان وعلي هم خلفاه
جبنا لك عائشة وفاطمة ورقية يا مولاي جبنا لك العرش والكرسي في الجاه
أصحابه كاملة والأنبياء يا مولاي لا تحرمني من الفضل وأنت مولاه
أجعلني جارهم ي العلية يا مولاي رحمتك واسعة خيرك كثير نرجاه
أنت خلقت آدم في زمان بدات الدنيا يا مولاي أزرعت الروح فيه زينته بأعضاه
واحد درته شريف ولد الأنبياء يا مولاي واحد درته من التراب الشين هواه
واحد درته يخدم للفانية يا مولاي واحد درته تابع طريقك والزاه
واحد درته سلطان من سلاطين الدنيا يا مولاي يحكم في الناس كلهم يعطيه هواه
واحد درته على أوصاف الأنبياء يا مولاي يشرح في الدين على طريق الله نباه
واحد درته شيخ طبيب لكل الداء يا مولاي ويداوي في جراح قلب ألي ترضاه
واحد درته على أوصاف الأولياء يا مولاي ويعاني في الطريق ألي بها ترضاه
واحد درته شاب والع بالدنيا يا مولاي نفسه وإبليس غروه وأسفاه
واحد درته كبير سرخ وأعناية يا مولاي مبسوط القلب والجوارح للي جاه
واحد درته فقيه يقرأ في الآية يا مولاي واحد درته جاهل ما يعرف للدين هواه
واحد درته سبابيي يحصي في المائة يا مولاي ويكثر في الحساب يشارك في مولاه
والمحبوب فيك كيف تنساه أنت يا مولاي اجعلني في أحماك كاع أنا وإياه
حتى أنا بغيت عندك قسمية يا مولاي عمر قلبي بلا إله إلا الله
أطلبتك ليلة القبر تكون معايا يا مولاي ما نعرف كيف نقول لسؤالي نلقاه
ترحم الوالدين وألي قربيا يا مولاي وأرحم كل أمة سيدنا رسول الله
طلبتك تعطف الشيخ علي يا مولاي محبوب القلب أو متى عيني تشفاه
من وحشه راهة تظل عيني بكاية يا مولاي راني خايف لا نموت قبل لا نلقاه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وألفين صلاة النبي على سيد أرقية يا مولاي محمد سيد فاطمة راني نرجاه.[1]

ولها أيضا: الصلاة والسلام على الهادي بالتمام

الصلاة والسلام على الهادي بتمام عدد خلق الأمم الطائعة والجهلية
الصلاة والسلام عدد ملك العلام كل ما في العرش أزمام الحي مع الماضية
باسمك العظيم بديت وعلى محمد صليت هو قنديلي في البيت ضوي ما ليه نهاية
يا مولانا ليك شكيت يا عالم كل أخفية نجيني من قول خزيت بين الموتى والحي
يا رحمان العار عليك ما في ملكك شريك هربت منك إليك سلكني يا مولاي
يا رب راني حشمان يوم المحشر والميزان من نقصي للدين والعصيان طلبتك ترفق بي
يا رب كيفاش ندير بألي مفروض علي ضيعت ما هو بقليل يا رب توب علي
يا رب يا مجيب ما كيفك للخلق حبيب لا تقطع لنا نصيب من فضلك يا مولاي
يا نفسي عيطت عليك بشريعة سيد أرقية قليني منيش ليك أنا لله مهدية
يا نفسي تبعت هواك وأنت سافلت بي دليتيني للهلاك تلفتي الشور علي
نفسي تبغيلي الأحساس نحساد هذيك الدنيا اصطحبت هي والوسواس قراوا حديثهم علي
قالولي ثم لا باس، هذاك محال الدنيا ضاع مني غير ألباس، أنعايم والصنية
قلت أنا ثم خلاص، مولاي حن علي ساع ذاك الترقاس، ما هوش حديث النية
لو عندي شي قدرة ليك، كيف أعملت نعمليك نخدم غير ألي تنفيك، من قلب الإسلامية
لو راني حاسب روحي، ليك نقبض عمري بيدي ومنين الملك لمولاه، كي بغى يصنع في
أنا ذاتي غير نداس، ونفسي تنفخ في فمي يتكلم في الناس، وأذني تسمع إليا
وأيدي تخدم في المقاص، والدعوة في رجلي يا مولانا توكلت عليك، تعجل بعفوك علي
سلفت روحي بين الناس، قد بالقياس علي حفروا لي قبري بالفاس، ثم حماوا الماء إلي

1 المرجع السابق، ص 64/63.

جابوني من شق ألباس،رفدوا صلاوا علي داروني
في الأرض خـــلاص، وجهـــي عـــراوه لي

غطوا لي قبري بالساس، والنهار ظلام علي
يارب ما لي وناس، في قبري غير أنتاي

يا رب راني مهموم، يا العالم بكل علوم
نجيني من يوم اللوم، يالعالم ما بي

طلبتك يا غفور، يا العلم بكل خفية
جبرني راني مكسور، برضاك يكون معاي

طلبتك يا موجود، سبحانك ما ليك حدود
ومنك راني مرعود، من خوفك يا مولاي

طلبتك يا رقيب، ما كيفك للخلق طبيب
تستر لي كل العيوب، سهل الأصعاب علي

يا رب مليك مثيل، سبحانك يا جليل
يا لطيف ويا خبير، بالرحمة تنظر في

يا رب قدمنا إليك جميع أهل الصوفية
هون لي ننظر فيك ما قاصد دونك حية

يا رب قدمت إليك، جماعة الأنبيا
إجعل تعلقي فيك، نترك قاع الفانية

سبحانك يا ملك، ما لك في الملك شريك
حتى أنا حقي فيك، تغفر ذنبي وخطايا

يا رب قدمنا إليك، وجهك والعرش وكرسيك
بن العربي متيقن بك، تنجيه من كل أذية

بجاه مخلوقاتك، من كل ما في الدنيا
تعطيه أكبر الأمان، في هذيك الدار وذيا

يا رب قدمنا إليك، جميع المتيقنين
بك ترزقنا معرفتك، بلي ترضاه أنتاي

يا رب من لا ترضاه، لا ترزقنا خلط معاه
بجاهك يا إله، يا سميع دعاي

يا رب ماني قاصد فيك، لا جنة ولا دنيا
قاصد وجهك ننظر فيه، يا رب توفي إلي

يا رب راني عريان، من فعلي شين علي
يوم تتقابل الأعيان، بفضلك جود علي

طلبتك يا وهاب، ترفع عني ذا الغضب
تتفتح لي برضاك أبواب، حل بصيرة قلبية

يا رب بجاه النور، ووجه نبيك الرسول
تجعلني عندك مقبول، أوفي لي هذا المنية

يا رب نتوسل إليك، بمحمد حبيبك
والخوالف عزتك، والأصحاب الكلية

بجاه سيد الأعلام، وأزواجه والذرية
حررني من صهد النار، أنا والإسلامية

طلبتك يا رحمان، يا كريم العطايا
ترحم جميع الأسلاف، والشيوخ أولادية

وترحم جميع الإسلام، النائم مع الحية
وفي وجه سيد الأنام، لا تحرم لي ذرية

يـــا مولانـــا ياقهـــار، أقهـــر جميـــع الكفـــار ... لا تهـدي لهـم آثـار، بجـاه أهـل الصـوفية
توفي لي ذا الطلاب، يا من فيدك كل أسباب ... لا تغلـق في وجهـي بـاب، يـا كـريم العطايـة
هذا الشيء من فضل الشيخ، بن محمد عيني ... وبـــه المجـــد الشـــيخ، سلســـلة أبوبكريـــة
والصلاة على المختار، عدد الحرث والأشجار ... وعـــدد الجنـــة والنـــار، والســـماء والأرضـــية
والصـلاة علـى المختـار، عـدد وحـوش القفـار ... ومـــاء البحـــار، والرمـــال والجبـــال الراصـــية
صـلى الله عليـه أدوام، مـا دامـت الـدنيا حيـة ... مفتـاح قلـب الأذكـار، وإمـام الإسـلامية
صـلى الله عليـه ألفـين، محمـد صـاحب جبريـل ... بكـــر لأمتـــه بالـــدين، هـــو ســـيد الأنبيـــا
والســـلام علـــى البشـــير، ســـلام الله كثـــير ... صف المسلم الجهيل، مولاه أعطاه مزية.[1]

دعاء للشيخ المجاهد سيدي بوعمامة:

اللهم إني أسألك بعظمتك المعظمة بإحاطة التعظيم وبأسرارك التي أقمت بها ملكك المقيم وبنود وجهك الكريم وبجنود أسمائك الدالة بك عليك يا من لا إله غيرك أنت الله الله، اللهم اغمسن في بساط بساطك واجعلني منك وإليك وحل بيني وبلا أنت يا من لا إله إلا أنت سبحانك أنت الله المجيب لمن دعاك والغفار لمن عصاك اللهم ألهمني لما خلقتني له لك ولا تشغلني بغيرك واجعلني من الذين أهبت عليهم كونك وأسكنتهم قربك وتكرمت عليهم بالنظر في وجهك اللهم هكذا سألناك وبرحمتك رجوناك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة يا واسع الكرامات ويا مقيد العثرات ويا غفار الخطيئات ويا مجيب الدعوات. أصلح ما بيني وبينك واغفر لي ما بيني وبين خلقك[2].

دعاء سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد:

اللهم اجعلنا في الدنيا مهتدين، ومن الحلال مرزوقين، ومن الحرام محفوظين، ومن المعاصي هاربين، وعلى الطاعة واقفين، وبالشهادة ناطقين، وفي الآخرة مرحومين، وفي القبر مؤنسين، وعند السؤال ثابتين، وفي الحشر آمنين، وفي الميزان راجحين، وعلى الصراط جائزين، ومن الحوض واردين، وفي الجنات خالدين، وفي الفردوس نازلين، وفي عليين ساكنين، وفي وجه الله ناظرين، وفي وجه الله ناظرين، وفي وجه

1 المرجع السابق، ص 67/65.
2 المرجع نفسه، ص 82.

الله ناظرين، برحمتك يا أرحم الراحمين[1].

المطلب الثاني: عمل المريد في اليوم والليلة وشروط الطريقة

تؤكد الطريقة الشيخية على الزهد والخلوة، والابتعاد عن العالم الدنيء والذكر والدعاء بالرحمة والمغفرة.. لذلك كان يختلي سيدي الشيخ في خلواته التي بلغت 110خلوة في أماكن معزولة بعيدا عن هذا العالم المليء بالأوهام وبالتناقضات وبعدم الانسجام وبالعدمية، أخذ سيدي الشيخ عن الشاذلي التضمين والذي يقصد به كما يقول الشيخ حمزة الواقع المحتوى، حيث لا ينبغي للمتصوف أن يظهر زهده بلبس الخرق أو التوسل الذي هو نوع من الذلة، أو يكون متواكلا كسولا، كأن يقول للأشخاص: " انظروا حالي، ولا أحتاج شفقتكم " بل يقول " انظروا لباسي، لا أحتاجكم، ولا أحتاج شفقتكم "[2] ومن خلال هذه التعاليم الأساسية في الطريقة نلاحظ أن السلوك أهم من المظهر الذي يتزيا به الكثير من صوفية اليوم، ولعل ما يميز الطريقة الشيخية عن غيرها هو بساطة تعاليمها التي توافق الفطرة الإنسانية، الفطرة التي يطمح صاحبها إلى نيل مراده من الحياة وهو الخلاص بها من النار ودخول الجنة، وهذا ما جعل الطريقة تسطر مجموعة من الأعمال الروحية التي على المريد أن يلتزم بها في اليوم والليلة، ولا يكون ذلك الالتزام إلا بعد الدخول في الطريقة ونيل الإذن من الشيخ، وكل ذلك وفق الشروط التنظيمية المعمول بها.

الفرع الأول: عمل المريد في اليوم والليلة

إذا اسيقظ المريد الشيخي من نومه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. أو قال: الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره. فإذا كانت الليلة ليلة الاثنين أو الخميس أو ليالي الأيام البيض تسحر بطعام خفيف ليتقوى به على صيام النهار.

ودخل المسجد برجله اليمنى قائلا: اللهم صل على سيدنا محمد وآله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، ثم صلى ناحية المسجد وتنفل ما لم يؤذن الصبح. فإذا أذن للصبح صلى ركعتي الفجر ثم قال: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله (مائة مرة)، فإذا سلم من صلاة الصبح قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه(ثلاثا)، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي (ثلاثا)، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله صحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين (ثلاثا)، آمين (ثلاثا)، سبحان ربك رب

1 المرجع السابق، ص 83.

2 المرجع نفسه، ص 55.

العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[1].

ثم استعاذ وبسمل وقرأ سورة الفاتحة وآية الكرسي وآمن الرسول، إلى آخر الآية، وقرأ: (شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران،18).

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) (آل عمران، 26)

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم – فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (التوبة 128).

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

ثم أتى بالمعقبات وهي: " سبحان الله والحمد لله والله أكبر (ثلاثا ثلاثين) وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، ثم حمد الله تعالى وصلى على نبينا محمد وعلى آله ودعا بما يعلم من الأدعية على ثلاث دفعات يمسح آخر كل دفعة منها، على وجهه يجعل ثالثها دعاء للوالدين والأشياخ والمحسنين ولكافة المسلمين، ويختم بالصلاة على سيدنا محمد وآله بصيغة مخصوصة.

ثم يقرأ حزبه من القرآن إذا لم يكن قد قرأه قبل الفجر، ثم الورد الجهري المسمى الفلاح، وإذا كانوا جماعة جلسوا جلسة خاصة متحلقين سادين الفرج، فيفتتح المقدم أو من يأذن له قائلا:

أعوذ بالله السميع العلي، من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وصحبه وسلم تسليما.

1- توكلت على الحي الذي لا يموت (2مرات) توكلنا على الحي الذي لا يموت (واحدة)

2- وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا

1 المرجع السابق، ص 9/8.

3- الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

4- جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمد صل الله عليه وسلم أفضل ما هو أهله. (3 مرات)

5- ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. (3مرات)

6- أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. (3مرات)

7- بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (3 مرات).

8- سبحان ربي العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (3مرات).

9- استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع وظلمي وما 1_جنيته2_ شهدته على نفسي وأتوب إليه. (3مرات).

10- فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون.

11- سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

12- لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله (10 مرات).

13- ثبتنا يا الله بقولها، وارحمنا يا مولانا بذكرها، واجعلنا من أخير أهلها، (1-الطاهر،2-الصادق، 3-الشفيع)، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله(3مرات).

14- أستغفر الله من كل ذنب أذنبته عمدا وخطأ، سرا وعلانية، وأتوب إليه، من الذنب الذي أعلم ومن الذنب الذي لا أعلم، وأنت علام الغيوب غفار الذنوب، ستار العيوب، كاشف الكروب وأتوب إليه.

15- ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

16- اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد اللهم استر أمة محمد، اللهم اجبر أمة محمد ﷺ،ولكل من آمن به وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

17- أعددت لكل هول لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ولكل نعمة الحمد لله. ولكل رخاء الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله،ولكل مصيبة إنا لله وإنا إلي راجعون، ولكل

طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولكل بلاء وشدة استعنت بالله، استعنت بالله، استغثنا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين[1].

اللهم صل سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعد مالك(25 مرة).

اللهم صل على 1-المجتبى 2- المرتجى 3-المصطفى،سيدنا محمد هلال الرجا، شفيعنا وسيدنا محمد سفينة النجا صلاة تكون لنا فرجا، وتفتح لنا أبواب النجا، فتحا قريبا منفرجا (ثلاث مرات)، ثم يذكرون الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"(مائة مرة) ويسمونه "ذكر الدور" لأنهم يتناوبون في ذكرها على جماعتين.

ثم يتصافحون بعد ذلك بكلتا يديهم ناظرين إلى وجوه بعضهم قائلين: اللهم صلعلى سيدنا محمد وعلى آله، اللهم اغفر لي ولأخي هذا المؤمن، يتصافحون بهذا النظام: يقول المقدم مصافحا لهم واحدا واحدا مبتدئا عن يمينه وهم جلوس، فإذا دار عليهم كلهم رجع إلى مكانه جالسا. صم يتبعه في ذلك من كان عن يمينه ويتتابعون، كلهم يفعل ذلك، يقول الشيخ سيدي حمزة بن عبد الحاكم: " تلك المصافحة تزيل الكبر من قلب صاحب المال وصاحب المنصب وصاحب الشرف، لأنه غالبا ما يكون الحلقة الذي لا له ولا منصب ولا شرف، ومن فوائدها كذلك بداية الإصلاح بين المتخاصمين إن كان خصام، لأن القلوب تكون في آخر حلقة الذكر أجود بالخير من الريح المرسلة، لكل صفح وعفو، ثم إنه بالمصافحة تغفر الذنوب كما جاء في حديث " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا ".

ثم يستقبلون القبلة كلهم ويخرجون أورادهم السرية منفردين جالسين جلسة العبيد، مفترشين إحدى رجليهم متكئين على الركبة الأخرى ولا يتكلمون إلا بذكر الله إلا رمزا وإشارة حتى يقضوا أذكارهم، فإذا أشرقت الشمس وفتحت النافلة قاموا فصلوا ركعتين أفذاذ حتى يحصلوا أجر حجة وعمرة تامتين كما جاء في الحديث. ثم ينصرفون إلى منازلهم وحرفهم ومكاسبهم والسبحة لا تفارق الواحد منهم.

إذا كان وقت الضحى صلى المريد الشيخي صلاة الضحى ركعتين وأكثرها ثمانا، ثم تنفل قبل صلاة الظهر باثنتين أو بأربع، وبعد الفريضة يثبت في مكانه فيستغفر ثلاثا ويصلي على النبي ﷺ ويسبح المعقبات ويدعو على النحو الذي تقدم في صلاة الصبح غير أنه لا يقرأ الفاتحة ولا ما بعدها من

1 المرجع السابق، ص 14/9.

الآيات، وبعد ختم الدعاء يصافح جليسه ويقوم متنفلا بركعتين أو أربع ثم ينصرف ليطعم إن كان مفطرا ويقبل قائلة الظهيرة محييا بها السنة مستعينا بها على قيام الليل، ثم صلى العصر في جماعة متنفلا قبلها ذاكرا الله بعدها كما فعل في صلاة الظهر، ثم إذا كان متفرغا للعبادة مع إخوته المريدين، أتوا بالصلاة الكمالية وهي: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعد مالك (خمسا وعشرين مرة) ثم تذاكروا في فقه كتاب الطهارة وكتاب الصلاة خاصة أوزار من تكرر تغيبه عن الصلاة أو عن حلقة الذكر منهم ليردوا إليه نشاطه إن كان متكاسلا أو يعودوه إن كان مريضا. فإذا لم يجدوا لتغيبه عذرا مقبولا، كان عليه أن يطعمهم حسب استطاعته في ذلك اليوم أو في يوم آخر حتى لا يعود إلى التخلف ويسمونها" الجبيرة أو النصاف ".

فإذا صلوا صلاة المغرب وسبحوا المعقبات ودعوا، ومكثوا يقرؤون أو يستمعون ــ إن كانوا غير قارئين ــ للحزب القرآني المسائي، فإذا قضيت القراءة تحلقوا لوردهم المسائي الجماعي الجهري " حزب الفلاح"الذي تقدم.

وبعدها تنفلوا أو علمهم أحدهم أمور دينهم حتى يصلوا العتمة وهي العشاء فينتقلون بعدها إن شاءوا وينصرفون إلى منازلهم أو إلى منزل من كانت نوبته في الطعام ليلة الجمعة خاصة ولا يتكلف لهم. ويقرؤون من القرآن الكريم خاصة السور ذات الفضل الخاص كسور يس الفتح والواقعة والملك وقصار المفصل التي يصلون بها الفرائض ليصححوا قراءتهم لهاو يزيدوا في حفظهم بالتكرار والتدرج حتى يستكملوا حفظ السور " سبح" ثم حزب " عما يتساءلون". وهكذا ترقيا مع أحزاب المصحف الشريف، فإذا أتوا بذكر" الدور" وقد سبق بيانه. وإن اتسع لهم الوقت قبل الطعام أو بعده قرءوا أبياتا من قصيدة مؤسس الطريقة سيدي **عبد القادر بن محمد** (سيدي الشيخ) " الياقوتة" أو ألقى أحدهم درسا يناسب المقام، ويختمون بالدعاء لصاحب الدار وليحرصوا على ألا يتأخروا كثيرا من أجل التمكن من قيام الليل أفذاذا كل حسب طاقته وتوفيق ربه، وخاصة من أجل حضور صلاة الصبح في جماعة.

وإذا كان يوم الجمعة قرؤوا أو استمعوا إلى سورة الكهف قبل الصلاة ثم بعد صلاة عصر الجمعة تحلقوا –إن كانوا مع بعضهم– وصلوا على النبي ﷺ الصلاة المسماة " الأمية "، وإن كانوا متباعدين أتى بها كل مريد وحده أو مع أهله، ولفظها هو: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (ثمانين مرة للحديث الوارد في ذلك.

ويختمونها بهده الصلاة التي أمر بها الشيخ الطيب بن أبي عمامة وهي: اللهم صل على سيدنا محمد في الأولين، اللهم صل على سيدنا محمد في الآخرين في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، اللهم صل

على سيدنا محمد في كل وقت وحين، اللهم صل على سيدنا حتى ترث الأرض من عليها وأنت خير الوارثين (عشر مرات).

أما المريدات الشيخات، فعامة ما هو مطلوب من أخواتهم المريدين فهو مطلوب منهن الإتيان به لأنهن شقاق الرجال في الأحكام إلا أنهن لا يجتمعن على الأذكار الجهرية اليومية، بل يستحب للواحدة منهن –في الطريقة الشيخية – أن تأتي بتلك الأذكار مع من معها في الدار حتى زوجها وأولادها الكبار الذين لا يتيسر لهم الاجتماع مع المريدين والأفضل لها كذلك أن تصلي الصلوات الخمس في بيتها[1].

أما اجتماعاتهن الأسبوعية، فالأفضل أن يعقدنها بعد الظهر ومن يوم الجمعة في الزاوية أو في دار المقدمة، أو في دار تراها المقدمة مناسبة لذلك، ويستحسن أن تكون الدار وسط دوارهن أو حيهن، ولا يأتين إلى "المجمع "إلا بإذن أزواجهن وليأتين بثياب مقبولة في الشارع غير غالية الثمن، متجردات من حليهن كي لا تتأثر المعسرات منهن بحالة الميسورات. ثم لا يصبحن معهن أبدا صبيانهن بل يستودعن قريباتهن، أو جاراتهن أو يستأجرن حاضنات لتلك الساعة.

وتحرص الواحدة منهن أن تصلي في الوقت المحدد، وتحرص المقدمة المشرفة على المجمع أن تملأ وقتهن فور وصولهن بالأعمال المطلوبة من قراءة السور القصيرة والسور ذات الفضائل، مع قراءة حزب الفلاح والصلاة على النبي الكمالية والأمية والسبحة "لا أله ألا الله"، ولا يؤذن لهن في التحدث عن أزواجهن أو أحوالهن، ومشاكلهن الخاصة والهذر الذي لا فائدة فيه ناهيك عن التكلم بالغيبة والنميمة وكل محظور شرعا، ولا يؤذن لهن في وجبات الطعام ولا بأس في المشروبات مع الشيء اليسير في أول المجمع أو في آخره. وليحرصن على الرجوع لصلاة المغرب في بيوتهن.

كما أن للمريد خصوصيات أخرى، فإنها لا تصافح الشيخ ولا المقدم عند تلقين الذكر، فالواجب فيه أن تلقنها مقدمة الحي أو الدوار، فإذا تعسر حضرت إلى دار المقدم مع زوجها إن كان مريدا مثلها وإلا استأذنته وحضرت مع احد محارمها المريدين إن وجدوا، أو أحضر المقدم زوجته أو امرأة من محارمه ومجموعة نساء مريدات تجنبا للخلوة المحرمة، ولتجلس أثناء التلقين خلفه، ومن خصوصياتهن كذلك أنهن إذا اشتد عليهن أشغال المنزل مع تربية الأولاد الصغار فلهن أن يكتفين بذكر الستين أو العشرة بدل المائة[2].

1 المرجع السابق، ص 15/ 20.

2 المرجع السابق، ص 21.

الفرع الثاني: شروط الانتساب للطريقة

تنقسم شروط الانتساب إلى الطريقة الشيخية الشاذلية إلى قسمين: شروط صحة لا بد منها – وشروط كمال على من يستطيعها.

أولا: شروط الصحة التي لا بد منها:

1- الاغتسال بنية الدخول في الإسلام.

2- التلفظ بالشهادتين بنية الوجوب.

3- صلاة ركعتي التوبة بسورة " الكافرون " و" الإخلاص ".

4- القول في حضرة المقدم بعد مصافحة الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم، أستغفر الله العظيم (مرتين) وأتوب إليه. اللهم تب علينا ووفقنا لما تحبه وترضاه، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين.

5- إحضار نية التوبة إلى الله من جميع الذنوب والندم عليها مع عقد العزم على عدم العودة إليها.

6- أداء حقوق الخصوم ومصالحهم، مع سلامة الصدر على جميع المسلمين.

7- المحافظة على الفرائض واجتناب المحرمات.

8- المحافظة على حزب الفلاح بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب.

9- المحافظة على الأذكار السرية بعد صلاة الصبح وصلاة العشاء مع عدم الكلام أثنائها.

10- طاعة مقدم الطريقة في المعروف.

11- تحري الحلال في المطعم والملبس والمركب والمسكن وغيره.

ثانيا: شروط الكمال على من يستطيعها:

1_ الصلاة في المسجد مع الجماعة.

2_ ختم القرآن الكريم كل شهر قمري.

3_ المحافظة على الرواتب والنوافل والسنن من الصلوات.

4- التفقه في الدين عامة وأركان الإسلام خاصة.

5- قيام الليل ولو بركعتين مع الدعاء قبل أذان الصبح.

6- محاسبة النفس قبل النوم.

7- صيام الاثنين والخميس والأيام البيض وما استطاع من الأيام.

8- إحياء سنة النبي ﷺ في اللباس والطعام والنوم وغيرها.

9- التقليل من الطعام والمنام والكلام والاختلاط بالأنام.

10- استقبال القبلة والطهارة وجلسة التواضع وتغميض العينين أثناء الذكر الخاص.

11 – كثرة الذكر مع تكرار الذكر الخاص بعد الظهر والعصر والمغرب مع المداومة على الطهارة.

12 – حضور مجالس الذكر مع الإكثار من الصدقة وإطعام الناس عامة وإخوانه في الله خاصة.

13- زيارة الشيخ المقدم والصالحين عامة أحياء وأمواتا.

14 – مطالعة كتب القوم وسيرتهم.

ملاحظة هامة: لابد أن يكون الراغب في الانتساب إلى الطريقة متزوجا، فلا تعطى أذكارها للأعزب إلا بإذن خاص من الشيخ[1].

1 المرجع السابق، ص 27/24.

خلاصة الفصل:

إن الطريقة الشيخية التي تناولناها في هذا الفصل بالدراسة تعتبر طريقة جزائرية المنشأ، مغاربية الجغرافيا، إلا أنني من خلال دراستي، قد وجدت أن البيئتين السياسية والاجتماعية قد ساهمتا في وجودها، إضافة إلى الشخصية الفذة التي تميز بها المؤسس الشيخ **عبد القادر بن محمد** " سيدي الشيخ " وقد استعرضت في الفصل الثالث مبحثين أساسيين هما " بيئة نشوء الطريقة "، وهو المبحث الأول الذي بحثت فيه الأوضاع الاجتماعية والسياسية للبيئة التي نشأت فيها الطريقة، كما درست تأثير العاملين السياسي والاجتماعي في مسار الطريقة، منذ البدايات الأولى لنشوئها، وقد تعرضت بعد ذلك إلى حياة المؤسس الشيخ **عبد القادر بن محمد** " سيدي الشيخ " والمراحل التي مر بها منذ ولادته، وتحصيله العلم، وتأسيسه لزاويته، والآثار العلمية التي تركها.. كما تعرضت في المطلب نفسه لمجدد الطريقة الشيخ بوعمامة، الذي يعتبر المجدد الحقيقي للطريقة في المغرب العربي، إذ تناولت سيرته العلمية وجهاده، بالإضافة إلى أهم ما قدمه للطريقة، وفي المبحث الثاني الذي عنونته بـ: " الطريقة الشيخية وبدايات التأسيس " حيث درست سند الطريقة الروحي والأوراد المعتمدة، وكذلك تطرقت إلى الأعمال التي يقوم بها المريد في اليوم والليلة، وشروط الطريقة، وفي ختام هذا الفصل خلصت إلى النقاط الآتية:

1/ تعتبر الفترة التاريخية التي أسست فيها الطريقة الشيخية فترة حرجة من تاريخ المغرب العربي، فالمطالع لكتب التاريخ يدرك جيدا أنها كانت فترة تشرذم مست جميع القطاعات، إلا أن الزوايا كانت تلعب الدور الرئيس في إحياء البيئة على مستوى كل ما تستطيع إصلاحه الطرق، كما لا ننسى أهمية المنطقة التي كانت الشيخية تغطيها وهو الذي جعلها تلعبا دورا إقليميا بامتياز.

2/ تعتبر البيئة الاجتماعية والبيئة السياسية أهم عاملين يؤثران سلبا أو إيجابا في إيجاد أية منظومة فكرية، كما تؤثران على نشأة أية مؤسسة جمعية كالزاوية والطريقة الصوفية، هذه الأخيرة تنشأ أساسا لتقدم خدمة للمجتمع والبيئة التي توجد فيها، ولعل الزوايا في فترات النشوء كانت تسعى بالأساس إلى تهذيب المجتمع ودعوته للفضيلة عن طريق ممارسة الإحسان وتعليمه للناس، وهي الخدمة العظمى التي يتلقاها المجتمع في الغالب من الزوايا والطرق الصوفية.

3/ يعد شيخ الطريقة الشيخية **عبد القادر بن محمد** الملهم الحقيقي للطريقة، وهذا ما نجده عادة في كل الطرق المنبثقة عن الشاذلية، هذه الطريقة الكبرى الملهمة للكثير من الطرق في المشرق والمغرب، فنجد أن أتباع الشيخية الشاذلية في كل من الجزائر والمغرب، وكذا في فرنسا وبلاد الغرب عموما يتخذون من شخصية الشيخ المؤسس مصدر تلق وإلهام روحي، وهذا الأمر نجده في كثير من

الأدبيات الصوفية المعاصرة في العالم، فعادة ما يستمد المريد طاقته الروحية من أطياف روح الشيخ السابحة في مخياله.

4/ إن الدور الذي لعبه الشيخ المجدد الشيخ بوعمامة يعد دون أدنى شك دورا رائدا وفريدا، إذ نجده قد ساهم بتجديده في فترة عرفت فيه الطريقة خمولا وتراجعاواضحا، كما لا حظ هذا التراجع الكثير من المؤرخين الذين درسوا الطريقة، إذ قد مس الطريقة ضعف كبير، خصوصا مع غياب شيخ جامع للطموحات الروحية والسياسية لأتباع هذه الطريقة الصوفية المجاهدة.

5/ لقد لعبت التركة العلمية لكل من الشيخين، الشيخ المؤسس عبد القادر بن محمد، والشيخ المجدد بوعمامة، دورا مهما في ربط الأتباع بأصول طريقتهم، ولعل الدور المحوري الذي تلعبه " الياقوتة " و" حزب الفلاح "، وصلوات الشيخ بوعمامة ليعد دليلا كافيا على البصمة التي تركها الشيخان في الأوساط الصوفية الشيخية.

6/ إن السند الروحي للطريقة الشيخية كما تقدم معنا، يعتبر رابطا حقيقيا يربط المريد الشيخي بسيدنا رسول الله ﷺ، ويتميز هذا السند بالقوة، والعلو، والصحة.. بالإضافة إلى شيء في السند وهو الاتصال، إذ لا نجد فيه أي انقطاع وهذا ما أثبته المحققون في الطريق، ولعل ما يعطيه كل هذا التميز والقوة هو وجود الضباط والعدول فيه السلسلة، من أمثال السماحي وزروق وابن عطاء الله والمرسي والشاذلي وابن مشيش، وأبي مدين، وأبي يعزى، والغزالي والجويني، والجنيد، والحسن البصري والإمام علي عليه السلام، وغيرهم من فحول العلم والإحسان.

7/ إن البرنامج الذي وضعته المشيخة الحالية للمريد، من خلال عمله في اليوم والليلة يعتبر برنامجا متكاملا من جهة تغطيته للحاجيات الروحية بما يلزمه من ذكر واسغفار وأذكار وصلوات عموما، كما نجده من جهة أخرى واقعيا، ومعاصرا، إذ نجده يراعي حاجيات الحياة المعاصرة من سهولة ويسر، وذلك من خلال حجم الأذكار والصلوات الذي يلتزم في تأديته المريد، وهو ما لا يحتاج إلى وقت طويل، يضاف إلى ذلك سهولة الألفاظ التي يستعملها الأشياخ إذ نجدهم في أورادهم وصلواتهم يبتعدون عن التقعر في الألفاظ، فهم طارحون للتكلف، فيختارون ما يسر فهمه، وهو ما يبرر وجود الأوراد باللهجة العامية المغاربية.

8/ تعد شروط الطريقة الشيخية، المعروفة لدى أتباعها لأجل دخول المريد في الطريقة شروطا تنظيمية أكثر منها شروطا تمييزية، فهي – أي الطريقة – لا تميز بين مريد وآخر، فكلهم أحباب تجمعهم محبة الرسول ﷺ، والمتأمل في الشروط يجدها على قسمين: قسم أول، وهو بالأساس ما يعرف

بشروط دخول اعتناق الإسلام، وهو لا يعني من تحقق به، والقسم الثاني هو القسم التنظيمي أي الذي يتعلق بالطريقة أساسا، وهذا النوع من الشروط معروف في كل الطرق الصوفية في، ومهم أن ننبه إلى أن هذه الشروط في القسم الثاني تعتبر شروطا توفيقية، فهي تختلف من طريقة لأخرى، وهي محل اجتهاد من شيوخ الطريقة، إلا ما كان منها سرا من أسرار المؤسس، فذاك يبقى إرثا لا يجوز المس به.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع:

الطريقة الشيخية بفرنسا الخطاب والامتداد

المبحث الأول: الطريقة الشيخية الشاذلية بفرنسا

المبحث الثاني: خطاب الطريقة الشيخية وامتداداته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الطريقة الشيخية الشاذلية بفرنسا

يبدو أن فرنسا اليوم تعيش مشاكل معقدة مع مسلميها، فمنذ حادث طرد الأختين " ليفي " من المدرسة عام 2003 بسبب إصرارهما على ارتداء الحجاب، لم تجر تلك الواقعة في انسياب سلس مع الأحداث، وإنما اختلطت وامتزجت حولها الأصوات وتعالت، وانخرط الناس في سجال قوي حول الموضوع الذي لم يخفف من حدته إلا تدخل البرلمان الفرنسي بإصداره لقانون جديد، عرف بقانون منع الرموز الدينية داخل المؤسسات التعليمية، ثم جاءت انتفاضة الضواحي في أكتوبر ونوفمبر من عام 2005 لتدفع بالبرلمان الفرنسي مرة أخرى إلى أن يتدخل ويقر قانونا جديدا حول الهجرة، ذلك الذي بات يعرف بقانون الهجرة الانتقائية، وكانت دينامية المفكر السويسري **طارق رمضان**، داخل حركة العولمة البديلة، وهي حركة يسارية ذات منشئ فرنسي، قد دفعت بالحكومة الفرنسية إلى أن تحذر في كتابها الأبيض حول الإرهاب من إمكانية حدوث تقارب بين المتطرفين الإسلاميين وحركة العولمة البديلة1.

المطلب الأول: تاريخ وجود الطريقة الشيخية بفرنسا

تعود علاقة الطريقة الشيخية الشاذلية بفرنسا إلى فترة بداية القرن العشرين إذ (حظيت الطرق الصوفية والزوايا في المغرب باهتمام الدارسين الفرنسيين قبل فترة الحماية وأثناءها، وكان الغرض المتوخى في المرحلة الأولى هو استكشاف الأوضاع الاجتماعية والدينية تمهيدا لاحتلال البلاد، وأثناء الغزو الاستعماري اتجه الاهتمام إلى محاولة تسخير بعضها لتسهيل عملية الاحتلال، وفي هذا السياق وجهت السلطات الاستعمارية الفرنسية مراكز البحوث التابعة لها لإنجاز دراسات عن الزوايا والطرق الصوفية المنتشرة في المغرب، من بينها الوزانية والدرقاوية والناصرية والشرقاوية..، والحالة نفسها تنطبق على الزوايا الصوفية بالجزائر أثناء احتلالها.. فكثير من الطرق الصوفية والزوايا انبعثت من هذا البلد أو من المغرب، فكان لها مريدون كثيرون على طول المجال الحدودي المشترك بين البلدين، ونخص بالذكر هنا الوزانية والدرقاوية والتيجانية والقادرية والكرزازية والقندوسية والبوعمامية – الشيخية – وجدير بالإشارة إلى أن الطرق الصوفية والزوايا المذكورة أعلاه هي التي كانت نشيطة أكثر من غيرها بالمناطق الحدودية بين المغرب والجزائر قبل سنة 1912م2.

---

1 سعيد ناشيد، مرجع سابق، ص 71/70.

2 عكاشة برحاب، الزاوية البوتشيشية دراسة معززة بالوثائق، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مطبعة فيديرانت، الرباط، ط1، 2004، ص 5.

منذ السنوات 1970، بدأنا نشهد تطوّرا سريعا جدا للحضور الصوفي في أوروبا، وخاصة في فرنسا، عديد المجموعات الصوفية المتفرعة عن الطرق الكبرى، كالشاذلية والنقشبندية والقادرية والتيجانية.. بدأت ترى النور، ولم يكن هذا التوسع مجرّد نتيجة بسيطة للهجرة، فالشيوخ " الشرقيون " يعتبرون الغرب منذ زمن طويل كمنحة إلهية، فعندما لاحظوا أن الضغط الاجتماعي والسياسي في بلدانهم يمكن أن يعرقل تطورهم الذاتي، رأوا في الغرب فضاء للحرية، ولمسوا فيه تعطشا حقيقيا في المجال الروحي، اكتشف القادمون ذوو الأصول المسلمة – سواء كانوا من الطلبة أو من العمال – في الغرب تصوفا لم يكونوا يرون فيه غير الخرافة والتسطح، وبسرعة استقر بعض الشيوخ "الشرقيين" في أوروبا، بينما كان عدد قليل من الغربيين المدربين يتحركون كممثلين لشيخ أجنبي، أو يصلون إلى مرتبة المشيخة، لذلك نجد الشيخ **خالد بن تونس**، شيخ الطريقة العلوية الحالي، يعيش في فرنسا ويجتهد في شرح الدعوة الكونية للتصوف، ولكن الزاوية الأم بقيت في مستغانم غربي الجزائر، وكان شويون من مريدي الطريقة العلوية، ونجد لديه هو أيضا – ولكن بتعبيرات مختلفة – هذا البعد الكوني إلى جانب تأثير كبير في الأوساط المسيحية، وهو يسمّي طريقته بالمريَميّة نسبة إلى **مريم العذراء**1، وكثيرون هم الدارسون الذي يلحظون بأن الطرقية في فرنسا قد أصبحت أكثر انتشارا مما مضى بالإضافة إلى أن (العالم الطرقي الفرنسي رخو جدا، وهو صورة لما هو عليه، أو كان عليه، في البلاد الإسلامية. فالشاذلية مثلا، التي نشأت في مصر القرن الثالث عشر، ممثّلة بالزاوية العلوية ومختلف تفرعاتها – والتي من ضمنها الطريقة المدنية التونسية – وبالزاوية الدرقاوية بالمغرب " القرن الثامن عشر"، أو هي مرتبطة إلى إرث **ميشال فالسان**...الخ. ويمكن أن تتفرع عن الطريقة الأم مجموعات مختلفة جدا في اختياراتها وطرائقها، كما يبدو في النقشبندية مثلا، هناك بعض الفرق التي اختارت عن قصد طريق الكتمان، في حين تكشف أخرى عن حماسة في دعوتها، إن البُوتشيشية – وهي متصلة بالطريقة القادرية الأم – تخصص جهدا كبيرا للتعريف برسالة الشيخ الحالي " **سيدي حمزة البوتشيشي** "، سواء عبر مواقع الانترنت والحلقات العلمية والحفلات، أو عبر المحاضرات التي يقدّمها فوزي الصقلّي، ممثل هذه الطريقة المعروفة في فرنسا، وبما أن على الشيخ البحث عن أتباعه كان من الضروري الوصول إلى جمهور واسع حتى وإن كان من غير المسلمين)2.

1 إريك جوفروا، مقال سابق.

2 المقال نفسه.

الفرع الأول: الإرهاصات الأولى للتصوف الجزائري بفرنسا

إن وجود الطرق الصوفية بفرنسا كان نتيجة لقابلية المجتمع لهذا النوع من الإسلام الذي نستطيع تسميته بـ: " **الإسلام الناعم** " وفي هذا السياق نجد الحكومة الفرنسية تسمح بوجوده في الساحة الفرنسية بل تدعمه وتمكن له كي يكون بديلا حقيقيا للإسلام الذي أنتجته منظومة المستشرقين المعادين للإسلام بكل أطيافه، وكذا تكون بديلا للإسلام الحركي الذي أصبح يتكاثر في الأحياء المهمشة الهشة البعيدة عن حضارة المدن الكبرى، إن صورة هذه الأحياء في هذه المدن المعروفة وغيرها من الأحياء التي قد تكون أكثر بشاعة وتعاسة تعكس الفوضى، ومستويات البطالة العالية واقتراف الجرائم وعصابات الشباب ومدارس عاجزة عن حل المشاكل التي تواجهها، وفي بيئة كهذه تنتشر المخدرات على نطاق واسع، كما تنتشر أبشع مظاهر الإدمان والتشرد والسرقة والسطو، وكذا اعتراض سبيل المارة خصوصا في الأوقات المتأخرة مع الإشارة إلى أن الرداءة في هذه الأماكن تمس كل قطاعات الحياة..

إن هذه الأحياء السكنية، التي تنتشر فيها ديانات المهاجرين، هي التي تحدد الطابع الذي تبدو عليه هذه الديانات.

إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن هذه الأماكن مع ما حوته من الشرور استطاع بعض الغيورين أن يوجدوا لهم أماكن لصلواتهم، كما يجب أن نشير إلى أن غالب هذه المساجد والمصليات هي في الأصل مرافئ ودكاكين تم تحويلها من طرف المهاجرين إلى مساجد وأماكن للعبادة، وحال المسلمين في هذا الواقع، ليس بأحسن من حال غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، إذ لا يستبعد أن تجد كنيسة قابعة خلف واجهات المخازن المهجورة وأديرة في زوايا الأحياء السكنية.

وينبغي هنا الإشارة إلى أن دور هذه المساجد ليس فقط أداء الصلوات والتضرع بل هي تلعب أدوارا أكبر من ذلك الدور الروتيني بكثير..إذ أضحت المساجد هناك أماكن لتقديم العون للمسلمين الوافدين الجدد وكذلك للتآزر بين أبناء الدين فضلا عن أبناء الوطن، كما أن هذه المساجد تقوم بدور الرعاية والتربية لأبناء الجالية المسلمة هناك..

نشير إلى أننا هنا تحدثنا عن المساجد التي تتميز بنوع من الاستقلالية، وإلا فهناك الكثير من

المساجد الرسمية الحكومية لكنها قد تكون أقل تأثيرا في واقع الأمر[1].

يعود وجود المسلمين في هذا الجزء أو ذاك من بلاد الغرب عموما ومن القارة الأوروبية على الأرجح إلى حقبة بعيدة في تاريخ الإسلام، فالتجار والدبلوماسيون شكلوا على مر العقود سمة مميزة للعديد من الأماكن، وخصوصا في أوروبا.

طغى على موجات الهجرة الأولى إحساس بأن إقامتها بديار الغربة إقامة مؤقتة، فكانت على سبيل المثال نظرة المهاجر إلى فرنسا نظرة لبلد أجنبي يختلف عنه في سلم القيم وفهم الحياة والتعامل..

ويرجع أحد الباحثين ذلك إلى أنهم كانوا ينطلقون في ذلك من الموروث الثقافي ومن التجربة الاستعمارية السابقة. لذلك حاول مهاجرو الموجة الأولى – وبدرجات متفاوتة – نقل ما أمكنهم من حياتهم التقليدية الوطنية إلى فرنسا، فأقاموا ما يمكن اعتباره " **غيتو** " ثقافي بالمعنى الواسع لكلمة ثقافة[2].

وكان أول مظهر من مظاهر هذا الغيتو الاحتماء بالجماعة الأصلية، فكان المهاجر الجزائري يربط علاقته بمريدي طريقته الصوفية التي ينتمي إليها بالجزائر: العيساوية، القادرية، الدرقاوية، الشاذلية، الشيخية، العلاوية..[3].

وكان القادم الجديد من الجزائر حاملا معه توصية من الشيخ إلى المريدين المهاجرين الذين يتكفلون بحماية الوارد حتى لا يعيش الغربة في بلاد المهجر[4].

أما المهاجرون الذين ليس لهم انتماء لطريقة تربوية صوفية فحينها يحل محلها الانتماء الجهوي، حيث يعمد المهاجر إلى البحث عن أبناء بلدته أو منطقته، ولعل الانتماء العرقي في توزيع المهاجرين يلعب دورا فنجد الأمازيغ يتقاربون مع بعضهم البعض أكثر من غيرهم، إلا أن الطرق الصوفية التربوية تعتبر صاحبة المرتبة الأولى في نسبة جمع وتجميع المهاجرين..

---

[1] المسلمون في ألمانيا "سونيا هاوغ، المركز الألماني للإعلام" تاريخ الإضافة: السبت، 10 ديسمبر،2011 قنطرة.

[2] مصطفى النيفر، الشرق والغرب حين يلتقيان، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط 1/ 2004، ص495.

[3] Sossie anderzian. Appartenance religieuse et appurtenance communautaire: exemple d un groupe d immigres algeriens en france. In maghrebins en france. Op cit.

[4] Jean francois legrain. Islam de france ou islam en france. Revue esprit n119. Octobre 1986.

وقد كانت بعض مؤسسات السيارت تنتدب عبر بعض عمالها عمالا جددا، فكان كل عامل حريصا على بني جهته وهذا ما يفسر تواجد الكثير من العمال المهاجرين من منطقتي القبائل بالجزائر وسوس بجنوب المغرب الأقصى بمصانع سيارات " **رونو** "[1].

الفرع الثاني: الوجود الفعلي للطريقة الشيخية في فرنسا

إن المطالع للمسارات الفكرية في فرنسا والتي تتحدث بالخصوص حول الإسلام والمسلمين هناك، سيلحظ بزوغ شمس نوع من التقارير الغريبة، إذ تبدو غرابتها في الإجماع أو شبه الإجماع الذي نجده فيما بينها تجاه الإسلام، إذ (تقدم مختلف التقارير الرسمية المسلمين على أنهم يشكلون تهديدا لمستقبل العلمانية بفرنسا، لذلك تتجه مجمل الإجراءات التي يتخذها المسئولون الفرنسيون نحو هدف تحقيق المصالحة بين الثقافة الإسلامية وقيم الجمهورية الفرنسية، وذلك من خلال استبدال الإسلام في فرنسا بإسلام فرنسي، بحسب تعبير **ساركوزي**، لا ندري إن كان الأمر يتعلق بمجرد مصادفات أريد لها أن تكون العلامات التي ستجعل زلزال الحادي عشر من ديسمبر يصل إلى البلاد الفرنسية، ولا ننكر وجود من في نيته أن يحدث مثل هذا الأمر، وذلك لاعتبارين اثنين: أولهما أن فرنسا وبصرف النظر عن علاقاتها، وبغض الطرف عن جوقة المعادين للحداثة وللعقلانية من بين فلاسفتها، وفي أوساط يسارها، ويسارها الجذري على وجه التحديد، إلا أنه وبالنظرة الإجمالية، فهي تبدو وكأنها تمثل آخر قلاع القيم الثقافية المنحدرة من الثورة الفرنسية، والقائمة على وجود قيم ثقافية إنسانية وعالمية، والمتابع يلحظ أن فرنسا لم تشهد أحداثا إرهابية كبرى من قبيل ما شهدته لندن، مدريد، أو نيويورك2 – عدا أحداث شارلي إيبدو – بيد أننا نجد بعض العلامات والإشارات قد أريد لها أن تبدو أكثر دلالة من الأحداث عينها، ولقد شاءت المصادفات والتي أريد أن تتحول إلى علامات أو مؤشرات، أن يكون المتهم الوحيد في أضخم عملية إرهابية في التاريخ الفرنسي الحديث، انتهت إلى مئات الضحايا والمعتقلين، هو مسلم فرنسي من أصول جزائرية، لكن المتتبع لسيرة الجاني في الحادثة سيجدهما لا علاقة لها بالجزائر، بل كل نشأته كانت في فرنسا، وكذا مراحل دراسته كانت في فرنسا، وما فتئت هذه المصادفة أن تحولت إلى دلالة كبرى على إخفاق النموذج الفرنسي في إدماج المهاجرين، ثم تتالت المصادفات.

وبالعودة إلى تاريخ الطريقة الشيخية الشاذلية، وانتشارها في التراب الفرنسي فهي لا تخرج عما

---

[1] Gildas Simon. Les maghrebins de la regie Renault: solidarite communautaire et implication dans les pays d origine sud marocain et Grande kabylie. In A.A.N 1981.

2 المقال السابق، ص 73/72.

يقره الباحثون من أن وجود الطريقة يعود هو أيضا إلى البدايات الأولى التي هاجرت فيها الأجيال المهاجرة الأولى من كل من الجزائر والمغرب فترة الاستعمار الفرنسي والتي تعتبر الفترة الحقيقة التي التقت فيها فرنسا بالثقافة الصوفية وذلك من خلال الأفواج الهائلة التي خصصها الاستعمار الفرنسي لأجل فهم طبيعة تدين الشعوب المغاربية التي كانت تدين بالتصوف سلوكا.

أما إذا جئنا لنعطي تأريخا دقيقا لوجود الطريقة الشيخية في الوقت المعاصر على التراب الفرنسي بشكل منظم فإن ذلك يعود للعام 1998م، وذلك إثر زيارة الولي الصالح سيدي الحاج الشيخ رحمه الله، وهو أحد أقطاب الطريقة.9

الشيخ الحالي في فرنسا:

وقد أعطت زيارة شيخ الطريقة الحالي الحاج " **حمزة بن عبد الحاكم** " ﷺ، سنة 2004م، إذ تفضل بتعيين مجموعة من المقدمين والمقدمات في مختلف مدن فرنسا، باريس، نونت، غايين، مرسيليا، بوردو، ليون.. وغيرها من المدن، بل توسعت حتى في بعض الدول الأوربية الأخرى كبلجيكية وألمانيا، وهولندا، وإسبانيا..

ترجمة الشيخ حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة:

ولد سيدي حمزة 1927م بجبل غيني، قرب تكافايت بعمالة جرادة، بالمملكة المغربية، تربى على يد والده سيدي عبد الحاكم، وقضى سنوات في أحضان جده سيدي الطيب، وبعد وفاة والده 1966م، تولى مشيخة الطريقة ومسؤولية الزاوية، وقد ساعدته ثقافته الواسعة، وصبره الجميل وتجاربه السياسية وجولاته المتكررة، على حمل هذا الإرث العظيم، خصوصا قبل أن يشب أبناؤه ويتحملوا معه شطرا من الأعباء، ويعمل الشيخ جاهدا على إعطاء شعلة جديدة للطريقة، خصوصا في أوساط الشباب، إذ عين مجموعة من المقاديم المثقفين، خصوصا في ديار المهجر كفرنسا وإسبانيا وايطاليا، وتتوسع الطريقة في عهده باستمرار داخل البلاد وخارجها، يتجند على حمل هذا الإرث العظيم إلى جانبه أبناؤه السبعة، الذين يتحلون بحسن الخلق، وواسع الثقافة، وحسن السلوك، والاستعداد الدائم لخدمة الإسلام والمسلمين كل في مجاله، إلى جانب مجموعة مباركة من أقارب الشيخ ومحبيه. ومما يضاف إلى حسناته، تأسيسه لموسم سيدي عبد القادر محمد سنة 2005م بالزاوية الشيخية البوعمامية بعين بني مطهر عمالة جرادة، المغرب.

وهو الآن في ربيعه الثامن والثمانين، متواصل الحركة لنشر الطريقة في كل مكان، ودليل انتهاء المشيخة إليه أن ياقوتة سيدي الشيخ (الحجر الكريم) التي تعتبر رمز المشيخة، هي الآن في حيازته، إضافة إلى طوابع

وخواتم مؤسس الطريقة سيدي بن محمد، وطوابع غيره من أعلام الطريقة[1].

المطلب الثاني: هياكل ومؤسسات الطريقة

لم يكن المسلمون يشكلون طرفا في العقد الذي قامت بموجبه العلمانية في فرنسا، فالمؤسسات الدينية الإسلامية، والمساجد أو الأئمة لا تمثل أي عنصر من عناصر ذلك الاتفاق المفضي إلى العلمانية، فوجود هذه المؤسسات هو وجود لاحق على إقرار مبدإ العلمانية في فرنسا عام 1905، ووضعية المسلمين على هذا النحو، يتمثلون أنفسهم وكأنهم أصبحوا محط دعوة إلى الانخراط في هذا العقد الذي لم يشاركوا في صياغته، وأصبح حالهم مثل حال ذلك الضيف الذي تمت دعوته إلى مائدة لتناول طعام جاهز لم يشارك في إعداده، ومع ذلك فقد جاءت الدعوة في وقت أصبح فيه ذلك العقد في أزمة خانقة، إنهم إذن مدعوون إلى الانخراط في عقد مأزوم[2].

من هنا نجد الحكومة الفرنسية قد حاولت استعادة دورها في تبني كل المؤسسات الدينية بما في ذلك المؤسسات الإسلامية، هذه الأخيرة التي كان الدور الأكبر في إيجادها للحكومة الفرنسية، التي سعت للمساهمة في دعمها قانونيا وماليا، ومن تلك المؤسسات نجد مؤسسة مسجد باريس الكبير وكذا المساجد التابعة له في عموم الأراضي الفرنسية، وبما أن طريقتنا – محل الدراسة – تعتبر أهم طريقة أثبتت وجودها في هذا المسجد، وكذا في المعهد الإسلامي التابع له " معهد الإمام الغزالي لتكوين الأئمة " فإننا في الفرعين الآتيين سنتناول بشيء من التفصيل قصة مسجد باريس الكبير ومعهده، والدور الذي يلعبانه في الساحة الفكرية الصوفية الإسلامية في فرنسا.

الفرع الأول: النشاط داخل مسجد باريس ومعهد

مسجد باريس الكبير:

يعود الفضل الكبير لبناء مسجد باريس إلى عدة شخصيات فرنسية وإسلامية وفي مقدمة هؤلاء، الشيخ **قدور بن غبريط** (توفي في 24 جوان 1954)، فقد ولد **قدور بن غبريط** في سيدي بلعباس وهاجر إلى المغرب وارتقى إلى منصب مدير التشريفات، ورئيس قسم الترجمة البلاط الملكي المغربي، وكان يتقن ثلاث لغات: الفرنسية العربية والأسبانية، وأصله الحقيقي من تلمسان مثل الدكتور **التيجيني هدام** العميد الرابع لمسجد باريس من 1989 إلى غاية جانفي 1992، و**قدور بن غبريط** هو مؤسس

1 الطريقة الشيخية الشاذلية السند والأذكار، مرجع سابق، ص 16/15/14.

2 سعيد ناشيد، مرجع سابق، ص 78.

ورئيس " جمعية أحباس الحرمين الشريفين " التي تأسست في الجزائر سنة 1917م، وهو يحمل يومئذ لقب القنصل العام الفرنسي، ويساعده أعضاء آخرون من الجزائر وتونس والمغرب، ومن الشخصيات الجزائرية نذكر **حمراوي باشاغا** الجزائر، و**مصطفى شرشالي** قاضي تيزي وزو، ومن تونس **الشاذلي العقبي** قاضي تونس و**العربي بن الشيخ**، ومن الأعضاء الشرفيين[1]:

الجزائر:

- سي **محمد بن صيام**، رئيس الفرع العربي للتمثيل العقاري في الجزائر.
- **أبو بكر الشيخ شعيب** قاضي تلمسان.
- **بن ناصر بن زكري** مفتي الجزائر.
- سي **ميلود بن ميهوب** مفتي قسنطينة.
- سي **محمد بن ساسي** قاضي عين البيضاء.
- سي **محمد أزواز أدواز** مفتي وهران.

المغرب:

- الشيخ **شعيب الدوكالي** وزير العدل في حكومة ملك المغرب.
- السيد **تامر بن عبادو** موظف سامي في القصر الملكي المغربي.
- السيد **محمد جاي** وزير الأحباس.
- السيد **محمد العراقي** القاضي الأول في فاس.
- السيد **محمد حاجوي** أستاذ في جامعة فاس.

تونس:

- **مصطفى ينغليزي** وزير التشريفات في قصر باي تونس.
- سي **حميدة بيرم** شيخ الإسلام في تونس.
- سي **محمد خوجة** قائد الكاف " بالحدود الجزائرية التونسية ".

1 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 20/19.

الكتاب العامون:

الجزائر:

- السيد **محمد كسوس**، مترجم عدل في سكيكدة.
- السيد **محمد سماتي قايد قرقور**.

المغرب:

- السيد **عبد السلام بن يوسف** مترجم في الحكومة المغربية.

تونس:

- السيد سي **محمد سعد الله** من الحكومة التونسية[1].

وكانت " جمعية أحباس الحرمين الشريفين " تأسست لغرض تسهيل إقامة الحجاج الميامين من المغرب العربي، ومن أفريقيا السوداء الذين كانوا يومئذ رعايا لا مواطنين في الدولة الفرنسية، وقد اشترت الجمعية عمارتين إحداهما بمكة والثانية بالمدينة المنورة، قصد توفير العناية للمسلمين في هذه الديار قد سبق إقامة جمعية الأحباس بسنوات عديدة، ويقول " **آلان بوير** " **"Alain Boyer** في كتابه: (المعهد الإسلامي لمسجد باريس L'institut Musulman De La Mosquée De Paris)

الذي صدر عن (مركز الدراسات العليا حول إفريقيا وآسيا المعاصرة، طبع سنة 1992) إنه وبالضبط في 22 سبتمبر 1916 كتب " **بول بورداري**ن " مدير " مجلة الأهالي " وعضو اللجنة الاستشارية لشؤون الأهالي، معلنا في مجلته أنه قدم مشروعا فنيا إلى المعنيين بالأمر في الحكومة الفرنسية حول تأسيس المعهد الإسلامي لمسجد باريس، وقد لقي مشروعه هذا الذي قدمه مع مذكرة قبولا حسنا من طرف الدولة الفرنسية التي أكدت استعدادها لتبني هذا المشروع وبعثه للوجود، وقد أولت اللجنة للوزارات المعتمدة المهتمة بشؤون الأهالي اهتماما بهذا المشروع، وعلى ضوء ذلك ولدت بعد سنوات " جمعية أحباس الحرمين الشريفين " وقد ضمت عدة شخصيات فرنسية أصواتها للإقامة هذا المسجد جزاء وفاقا لتضحيات أبناء المستعمرات الفرنسية الذين قدموا حياتهم قربانا دفاعا عن حرية فرنسا وشرفها خلال الحرب العالمية الأولى، وفي مقدمة هؤلاء أبناء الجزائر، وتذكر مختلف المصادر أن الجزائريين الذين

1 المرجع السابق، ص 20.

فقدوا في هذه الحرب 25000 شخص، مقابل 22000 شخص يمثلون فرنسا والجزائر، وقد أراد الفرنسيون إقامة هذا المسجد تقديرا لتضحيات هؤلاء، وللتذكير فإن جمعية " أحباس الحرمين الشريفين " التي تأسست في الجزائر سنة 1917م تعرض لعدة تغيرات في قيادتها وفي قوانينها، ويوجد مقرها حاليا في باريس تحت إشراف دليل بوبكر الذي هو استمرار لوالده حمزة بوبكر بوسائل مختلفة، والجمعية واقعة تحت نفوذه يوجهها كيفما شاء، ومتى شاء، وكان والده حمزة بوبكر قد نقل الجمعية من الجزائر إلى باريس وأخضعها لنفوذه[1].

إن مسجد باريس ولد بعد مخاض عسير في بلد تم فيه فصل الدين عن الدولة سنة 1905، وقد احتفل الفرنسيون سنة 2005 بمرور قرن كامل على هذا القانون الذي أنهى عهودا من تحكم الكنيسة في فرنسا في كل دوليب المجتمع الفرنسي اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ودينيا، واعتبر ذلك مكسبا للمجتمع الفرنسي على درب التنوير والتحرر من قبضة الكنيسة ورجالاتها وممارساتهم التي أرهقت البلاد والعباد، إن بناء مسجد باريس كان استجابة لتضحيات 300 ألف مغاربي منهم 170 ألف جزائري شاركوا في الحرب العالمية الأولى[2].

عمداء مسجد باريس منذ التأسيس إلى الآن:

تداول على إدارة مؤسسة مسجد باريس الكبير ومعده الإسلامي أربعة عمداء وخامسهم هو العميد الحالي الدكتور دليل أبو بكر بن حمزة بو بكر العميد الثاني لمسجد باريس، ولا يزال إلى يومنا الدكتور دليل أبو بكر عميدا للمسجد منذ سنة 1992..

أما العميد الأول للمسجد فهو الشيخ قدور بن غبريط من مواليد سنة 1873م بسيدي بلعباس، لعب دورا هاما في بناء المسجد، وكان وراء هذا المشروع بدءا من سنة 1917م عندما تأسست جمعية " أحباس الحرمين الشريفين " في الجزائر، وتتبع فكرة إقامة مسجد للمسلمين في العاصمة الفرنسية حتى رأى المشروع النور، وشاءت له الأقدار أن يكون أول عميد لمسجد باريس منذ افتتاحه في 15 جويلية 1926م إلى غاية وفاته في جوان 1954م، ودفن في صحن المسجد، وكثيرا ما يتردد العارفون لقدره على قبره لقراءة الفاتحة ترحما عليه، ومهما قيل في ماضي بن غبريط فيكفيه فخرا أن اسمه ارتبط باسم مسجد باريس الكبير، وعندما مات سي **قدور بن غبريط**[3].. وبعد 28 سنة من إدارته المسجد حاول

1 المرجع السابق، ص 22/21.

2 المرجع نفسه، ص 22.

3 المرجع نفسه، ص 23.

حفيده **محمد بن غبريط** أن يخلفه، إلا أن مواقفه الوطنية ومؤازرته لثورة التحرير التي كانت قد اندلعت في نوفمبر 1954م وطلبه من المترددين على المسجد الدعاء لنصرة ثوار الجزائر قد كلفته إقصاءه من المنصب، وبقي المنصب شاغرا إلى غاية 1957م عندما قام رئيس وزراء فرنسا وهو " **غي موللي** " بموافقة المقيم العام بالجزائر " **جاك سوستيل** " شتعيين الشيخ **حمزة بوبكر** وهو من الأبيض سيدي الشيخ، وكان نائبا في البرلمان عن منطقة الصحراء، ومن أنصار فصل الصحراء عن الجزائر لفائدة فرنسا.. ووما يجب الاعتراف له به أن **الشيخ حمزة بو بكر** كان شخصا يتمتع بالذكاء والخبرة والشجاعة، وقد تميزت السنوات الأخيرة من عهدته التي دامت 25 سنة بالمشاكل الداخلية، وانتقل ذلك إلى الصحافة الفرنسية، وأدرك في الأخير أنه لا مفر من التسليم للإرادة التاريخية وتسليم مسجد باريس إلى الجزائر من خلال صفقة كان فيها الرابح الأكبر، وقد زار الجزائر واستقبل استقبالا رسميا بعد أن كان ذلك أمرا غير وارد أصلا، فكانت سنة 1982م نهاية لعهد وبداية لعهد جديد بالنسبة لمسجد باريس، الذي أصبح يدار من طرف شخصية جزائرية تحمل الجنسية الجزائرية بعد أكثر من نصف قرن ومسجد باريس يدار من طرف شخصيات من أصول جزائرية ولكنها تحمل الجنسية الفرنسية[1].. ومنذ سنة 1982م صار عميد المسجد هو **الشيخ العباس بن الشيخ الحسين**، وهو سياسي وأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لتجري في ظروف حسنة، فقد تحركت عناصر معادية للجزائر، تريد السيطرة على مسجد باريس ومن هؤلاء " الحركة " وبعض عملاء فرنسا، فما أفلحوا ثم تكاتفت جهات مغاربية بدعم سعودي من خلال فرع (رابطة العالم الإسلامي) بباريس، ومعهم بعض المعتنقين للإسلام من أصول فرنسية، وفي مقدمة هؤلاء " **يعقوب روتي** " و" **يوسف لوكلير** " وكان **يعقوب روتي** – وهو من عائلة فرنسية عريقة اعتنقت الإسلام منذ عشرات السنين – يعمل في مصلحة الاعتناق بمسجد باريس، ويبدو أنه لم يكن متفاهما مع الشيخ العباس مما جعله يقود حملة ضده بدعوى أن الجزائر بواسطة **الشيخ العباس** استولت على مسجد باريس من غير وجه حق، علما وأن الجزائر لم تعين **الشيخ العباس** إلا بموافقة الحكومة الفرنسية، وكان **يعقوب روتي** يعتقد أنه أحق بعمادة مسجد باريس، لأنه فرنسي والمسجد في أرض فرنسية، لكن الجميع يعلم أن روتي غير مؤهل فهو لا يعرف العربية، وليس له رصيد يذكر في الثقافة الإسلامية، وكان ابنه رضا يعمل في مسجد باريس ومتزوج بامرأة جزائرية من بجاية، يقال أن **الشيخ العباس** هو من كان وراء تزويجه إياها، لكن هذا لم يثن روتي فانضم إلى جماعة مغاربة مدعمين ماليا من مكتب (رابطة العالم الإسلامي) وكان الدكتور عمر ناصيف رئيس الرابطة وراء تحريك هذه المعارضة لعميد مسجد باريس، وقد عقد هؤلاء مؤتمرا في قصر المؤتمرات في **بورت مايو**

1 المرجع السابق، ص 26/25.

Portemaillot وأسفر مؤتمرهم على تأسيس الرابطة الوطنية الفرنسية لمسلمي فرنسا برئاسة يعقوب روتي شخصيا، وقد انظم لهؤلاء مفتي باريس السابق الشيخ عبد الحميد عامر.. وقد ساد الاعتقاد عند جماعة " الرابطة الوطنية لمسلمي فرنسا " أنهم بمؤتمرهم هذا وتشكيلهم للرابطة يمكنهم التأثير في نفوذ مسجد باريس على مسلمي فرنسا، وقد فاجأهم الشيخ العباس بأكبر مؤتمر تعرفه فرنسا حول الإسلام والذي عقد في مدينة **ليون Lyon** في ديسمبر 1985م، وقد علقت على هذا المؤتمر جريدة (التقدم Le Progrès)بقولها: " إن هذا المؤتمر حول الإسلام لم تشهده فرنسا في تاريخها من قبل، حضره حوالي 5000 شخص، وصرفت عليه الجزائر مبلغا ماليا كبيرا " وقد راهن الشيخ العباس على هذا المؤتمر لكسب المعركة، والواقع أن الشيخ الذي كان عميدا لمسجد باريس من 1982 إلى غاية ماي 1989 استطاع أن يسيطر على الساحة الإسلامية في فرنسا رغم تكاتف خصومه المدججين بأموال خليجية[1].

ويرى أحد المتابعين لملف الإسلام في فرنسا، ثم الإسلام الفرنسي أن الصراع بين مسجد باريس وخصومه لا يخدم الجالية المسلمة وخاصة المغاربية منها، بل يوسع من هوة الخلافات، ويكرس العداوة، والخاسر في المعركة هي الجالية الإسلامية والمغاربية، ويبدو حاليا أن التوتر قد خف وخاصة منذ تأسيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، وشارك فيه على الخصوص الأطراف الثلاثة الفاعلة في الساحة الإسلامية وهي

– مسجد باريس الكبير الممول من طرف الجزائر، والذي تندرج تحته عدة مساجد والمؤطرة من طرف حوالي 100 إمام جزائري، أوفدتهم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية.

– " الاتحادية الوطنية لمسلمي فرنسا " وقد كانت إلى عهد قريب يرأسها الدكتور محمد بشاري وهو مغربي وموال للسفارة المغربية، وقد أزيح من منصبه إثر انقلاب قام به خصومه، وهو حاليا تحول إلى صديقه دليل بو بكر عميد مسجد باريس بعد أن كان خصمه العنيد.

– وكان ثالث هذه المنظمات " اتحاد منظمات مسلمي فرنسا " برئاسة مغربي أيضا.[2]

1 المرجع السابق، ص 28/27.

2 المرجع نفسه، ص 28.

معهد الإمام الغزالي لتكوين الأئمة:

يقول " آلان بوير " " **Alain Boyer**" في كتابه: (**المعهد الإسلامي لمسجد باريس L'institut Musulman De La Mosquée De Paris**)

إن مسجد باريس هو من بناء فرنسا الاستعمارية، وهو رمز من اعتراف فرنسا لمسلمي الإمبراطورية بعد الحرب العالمية الأولى، وإن فرنسا بعد احتلالها لأقطار المغرب العربي الثلاثة غدت إمبراطورية إسلامية كبرى، ويمضي قائلا: إن فكرة مسجد باريس ليست وليدة " جمعية أحباس الحرمين الشريفين " التي تأسست أساسا لتسهيل مهمة حجاج مسلمي الإمبراطورية إلى البقاع المقدسة، فقد اشترت الجمعية فندقين أحدهما في مكة والآخر في المدينة لإيواء حجاج مستعمرات فرنسا، من المغرب العربي وبعض البلدان الإفريقية، ويعيد " **آلان بوير** " إلى أذهاننا فكرة **السلطان عبد الحميد الثاني** " خليفة المسلمين يومئذ " والذي تقدم سنة 1895 بطلب إلى السلطات الفرنسية، قصد إقامة مسجد للمسلمين، الذين يعيشون في فرنسا، إلا أن انضمام تركيا إلى ألمانيا حال دون تحقيق فكرة السلطان في حينها، ولكن الفكرة مع ذلك تتفاعل تدريجيا لتصبح في يوم ما بعد عشرات السنين حقيقة واقعة، كما أن " **الماريشال ليوطي** " طالب بإقامة مركز إسلامي بباريس، ولا نعرف بالضبط ما هو هدف " ليوطي " من وراء إنشاء معهد إسلامي في باريس، هل هو حب للإسلام والمسلمين ؟[1].

إلا أن الجدل الذي فتح في فرنسا حول العلمانية، وما جرى حول هذا الموضوع من نقاش، انتهى في 9 ديسمبر 1905 بفصل الدين عن الدولة، وإقرار ذلك رسميا، وجاء في المادة الثانية من دستور فرنسا أن الجمهورية لا تعترف ولا تقدم أجرا ولا دعما لأي مشروع ديني، ومع ذلك فإن مسجد باريس ظل يتلقى دعما ماليا من وزارة الداخلية وبلدية باريس إلى غاية 1981 – في ظل العميد الثاني لمسجد باريس الشيخ حمزة بوبكر – كمعلم تاريخي وثقافي، ولعل هذا ما جعل فرنسا اليوم تساهم من خلال وزارة الثقافة وبلدية باريس في كل عمليات الترميم كما في آخر عملية ترميم للمسجد إلى جانب الجزائر وقطر، وفي كتاب " **غزافييه تيرنيسيون Xavier Ternision** " الذي يحمل عنوان " **فرنسا ومساجدها** " " **La France Et Des Mosquées** " سلسلة روحانيات " **Spiritualités** " الذي صدر في سبتمبر 2002، أفرد الكاتب فصلا كاملا عن مسجد باريس بعنوان: " **مسجد باريس تحت الهيمنة الجزائرية** " " **La Mosquée De Paris Sous La Main D'Alger** "

وقد جاء في الكتاب: أن فرنسا أقامت إلى جانب مسجد باريس المستشفى الفرنسي الإسلامي "

1 سعدي بزيان، مرجع سابق، ص 15.

Hôpital Franco-musulman " وذلك سنة 1937 الذي أضحى يحمل اسم " **مستشفى ابن سينا** " " **Hôpital Avicenne** " ويقع في دائرة " **بوبيني** " شمال باريس الولاية 93، وإلى جانب المستشفى هناك مقبرة للمسلمين، وكانت حينها الأولى من نوعها في فرنسا، وإن كان لحد الآن لم تحل مشكلة تخصيص أماكن خاصة أو مقابر لدفن المسلمين، ففي باريس وضواحيها لا توجد سوى مقبرتين " مقبرة بوبيني " و" مقبرة تيي "، ويقال إن هناك مساحة خصصت لدفن المسلمين في " مقبرة بيير لاشاز "[1].

في سبتمبر 1917 كتب " **بول بورداري** " " **Paul Bourdari** " مدير مجلة " **أنديجان** " " **Revue Indigène** " وعضو اللجنة الاستشارية لشؤون الأهالي، مقالا في مجلته يعيد أذهان قرائه أنه قدم مذكرة مصحوبة بمشروع فني، يرمي إلى تأسيس المعهد الإسلامي لمسجد باريس، وقد لقي مشروعه هذا قبولا حسنا من لدن القيادات السياسية الفرنسية ومن قبل اللجنة المتعددة الوزارات والمهتمة بـ: " **شؤون الأهالي** " " **Les indigène** " وعقب هذه المذكرة تم فعلا إنشاء جمعية ذات الطابع القانوني، وذلك في 16 أكتوبر 1916، وقد استهلهمت هذه الجمعية وجودها بناء على قانون 1901 المتعلق بإنشاء جمعيات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي، ويشير الأستاذ **سعيد بزيان** إلى وجه الغرابة وذلك في إشارة لما ذكره الكاتب الفرنسي " **آلان بوبير** " وأكد عليه من أن هناك شخصيات ماسونية بارزة لعبت دورا في إنشاء مسجد باريس، وقد ظل مسجد باريس لا يتلقى أي دعم من الدول العربية والإسلامية، مكتفيا بما يتلقاه من مساعدة مالية من وزارة الداخلية الفرنسية بصفتها مسئولة عن الديانات في فرنسا، فكانت تقدم مساعدة مالية لمسجد باريس تقدر بـ: (200 ألف فرنك فرنسي)، وبلدية باريس تقدم هي الأخرى مساعدة مالية للمسجد قدرت بـ: (150 ألف فرنك فرنسي)[2].

وفي سياق ذكر الدور الذي تقوم به فرنسا في مسجد باريس ومعهده يلقي **الشيخ قدور بن غبريط** خطابا في حفل الافتتاح قائلا: (شاءت الدولة الفرنسية التي لم تزل تبرهن منذ قرون عديدة على محبتها وحسن ولائها للمسلمين أن تأتي بدليل محسوس لما يكنه فؤادها من شعائر المودة والإخاء نحوهم، فأخذت تهتم بتشييد المسجد لهم في عاصمتها، يقومون فيه بفروضهم الدينية، وببناء معهد بإزائه يسهل عليهم فيه على مكونات العلوم والفنون، ويأوون إليه ضيوفا كراما تجلهم الأمة الفرنسوية وتكرم وفادتهم، وأن هذا الأثر سيكون في مدينة النور والبهاء دارا للإسلام، ومحطا لرحالهم، سينشأ فيه المسجد والمكتبة

1 المرجع السابق، ص 16.

2 المرجع نفسه، ص 17.

والحمام، ومحلات لإيواء الضيافة، وإن الألوف من المسلمين الذين اتخذوا فرنسا وطنا لهم، يعيشون تحت سمائها والذين يردون إليها، وقد شغفت قلوبهم بمحاسنها وبهائها، سيلاقون فيه من إخوانهم المسلمين الفرنسيين أحسن استقبال، ويضيف سي قدور بن غبريط وهو يشيد بمناقب فرنسا وضيافتها وحبها للمسلمين) ويمضي في هذا الصدد قائلا: (فإنهم ينعمون بما اتصفت به الضيافة الفرنسوية من الجود والسخاء ملاقين كثير المساعدة والإعانة فيما يرمون إليه سواء شاءوا تثقيف عقولهم، أم راموا تقوية أسباب مدنيتهم الخاصة بهم، أم أرادوا فقط أن يتجولوا في بهيج أرجائها زمنا يسيرا، مهتمين بمعرفة رجالها وأحوالها، وممتعين أبصارهم بمحاسن أرضها، وجمال مناظرها، وبهاء مبانيها، ومواقعها الرائعة الفتانة، ثم عرج على قصة مشروع بناء مسجد باريس وما اعترى هذا المشروع من عوامل ومصاعب مالية، لأن إنجازه يستلزم نفقات طائلة ليكون عملا جديرا بأمة كريمة الشمائل، نبيلة المزايا، عميقة السخاء، كالأمة الفرنسوية، وسيعود على المسلم بالنفع الأكيد، ولهذا كان إنجازه يفوق طاقة أفراد الناس، وتقصر عليه أياديهم، فاقتضى الأمر من أن تعاود الحكومة الفرنسية الاهتمام من جديد بأمر المسجد والمعهد الإسلامي) ويلحظ بعض الدارسين إلى المعهد أنه كان في الأساس عدة أقسام لتعليم اللغة العربية[1]، وفي السنوات الأخيرة تطورت لتصبح معهدا بأتم معنى الكلمة وهو معهد الإمام الغزالي لتكوين الأئمة.

وفي هذا الإطار يقترح معهد الغزالي لتكوين الأئمة تعليما شرعيا، وذلك استجابة لتطلعات الجالية المسلمة في فرنسا وفق المخطط الآتي:

أقسام التكوين:

1/ تكوين المرشدين.

2/ تكوين الأئمة.

3/ الدراسات الإسلامية.

4/ الحضارة الإسلامية (باللغة الفرنسية).

توسيع المعارف:

بعد حصول الطالب على شهادة الثانوية، يجد إطارا مؤهلا للتكوين الديني والثقافي، وكل ما يتعلق بالشعائر الإسلامية، فالمدرسة هي مصدر التكوين الذي يتواصل مع أماكن العبادة.

1 المرجع السابق، ص 25/24.

الجودة والإتقان:

تعطى الدروس من طرف فريق علمي تم اختياره بعناية، ويتكون هذا الفريق من أساتذة جامعيين، ومختصين في تكوين الأئمة والمرشدين، كما توجد بالمعهد تجهيزات إدارية وعلمية، أقسام وفصول دراسية، وقاعة محاضرات..

فترة الدراسة:

1/ تكوين المرشدين، سنتان من الدراسة المتواصلة.

2/ تكوين الأئمة، أربع سنوات وسنة تربص.

3/ الدراسات الإسلامية، أربع سنوات.

4/ الحضارة الإسلامية، سنتان.

الشهادات العلمية:

1/ شهادة مرشد.

2/ شهادة الكفاءة في الإمامة.

3/ شهادة في الدراسات الإسلامية.

آفاق العمل:

1/ أئمة مساجد.

2/ مرشد بالسجون والمستشفيات والمدارس.

3/ محاضر في الدراسات الإسلامية.

المهمة الاجتماعية:

- تأطير الشباب.
- المشاركة في إطار الجمعيات للوقاية من جنوح الشباب، ومقاومة كل الأفكار المتطرفة.
- الإسهام بكل فاعلية في الحياة الاجتماعية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نشاط الطريقة بمسجد باريس الكبير:

تركز الطريقة الشيخية نشاطها في مسجد باريس الكبير وذلك لأنه يعتبر منارة ثقافية وإسلامية عالمية، للمكانة التي تحتلها العاصمة الفرنسية باريس ساحة الفكر والثقافة والتنوير، ويتلخص دور أتباع الطريقة في حث المصلين على الاهتمام بلقاءات الذكر والمذاكرة، وذلك للأهمية الكبيرة التي توليها مشيخة الطريقة للذكر وفضائله الجليلة في حياة المؤمن المعاصر، ويخصص مقدمو الطريقة بفرنسا جلسات منتظمة لتدارس سير الطريقة أسبوعيا لمن تيسر لهم ذلك، ولمن يتيسر لهم ذلك فمرة في الشهر، ويكمن نشاط الطريقة في شهر رمضان المعظم في التركيز على صلاة التراويح بالمسجد، والمداومة على الذكر بانتظام طيلة الشهر ويزيد تشمير أتباع الطريقة في العشر الأواخر، وذلك بحث الأتباع على قراءة القرآن وختمه وتمثله واتباع ما فيه من تدابير إلهية وأوامر ونواهي، كما لا يفوت القائمون على الطريقة فرصة شهر الأنوار شهر ميلاد النبي ﷺ، وذلك بالاحتفالات وإدخال البهجة في قلوب المؤمنين ويخصص احتفال عظيم في يوم مولد سيد الخلق، من صلاة الظهر حتى بعد صلاة العشاء، يقرأ فيها القرآن الكريم والأوراد والأدعية وتقرأ فيها منظومة الشيخ سيدي **عبد القادر بن محمد** وهي " الياقوتة " وتليها الأحزاب المعروفة عند أتباع الطريقة، بالإضافة للبردة والهمزية للإمام **البوصيري** وتقرأ أيضا كتب شمائل الرسول لتذكير جموع المصلين بفضائل هذا الرجل الكريم الذي أتانا بالإسلام محمد ﷺ.

الفرع الثاني: زوايا الطريقة بالأراضي الفرنسية

تعريف الزاوية:

المعنى اللغوي: تفيد مادة **(ز. و. ي)** الانجماع والانقباض، هذا ما ذكره صاحب تاج العروس في المادة نفسها، لكن أين ؟ ومتى ؟ وما اسم المكان الذي ينزوي فيه المنزوي، لا شيء من هذا في أكبر معجم عربي مع أن اللفظة وردت في بعض كتب التصوف المشرقية، فلما تكلم مؤلف (قوت القلوب) على أقسام العلماء ذكر منهم عالم الخاصة وهو (العالم بعلم التوحيد والمعرفة، وهؤلاء أهل

الوايا وهم المنفردون)1 فهل يريد بالزوايا أركان البيوت، وهذا المعنى هو ما ذكرته المعاجم اللغوية المشرقية أم يريد معناها المصطلح عليه في الإسلامي ؟ فبالتأكيد أنه يقصد المعنى الأخير لأن دائرة

1 أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، مصر، دط، 1961. نقلا عن: محمد مفتاح، الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، دط، 2014، ص 50.

المعارف الإسلامية بينت أن الزاوية كانت معروفة بالمشرق وكانت تعني المسجد الصغير في مقابل المسجد الكبير، وأما المعاجم الخاصة بلغة الغرب الإسلامي فيمكن لنا أن نستشف منها معنى الزواية الاصطلاحي1، وينقل لنا الدكتور محمد مفتاح ما أورده أحد الباحثين الغربيين وهو (**دوزي Dozy**) من نصوص في هذا الشأن يفيد ذلك، وأحد هذه النصوص يصف أحد الناس بأنه (كان منزويا عن الناس هاربا منهم، ثم تزهد وانزوى، ورابط على ساحل البحر)2، ومنطوق هذا النص يتلخص في العزلة والزهد والانزواء والرباط ويجعل الرباط هو غاية ونهاية تلك الأوصاف، أي إن هناك علاقة وثيقة بين الزاوية والرباط3.

المعنى الاصطلاحي:

وأما معناها الاصطلاحي فهي (المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين)4، وهذا التعريف ذكره ابن مرزوق في المسند، ويلاحظ أحد الدارسين أن هذا التعريف ليس جامعا مانعا، فلا يشمل كل الزوايا، ولا يمنع الرباط من مشاركة الزاوية في وظائفها، وإنما يشير إلى الزوايا التي أقامها المرينيون مثل زاوية الحجاج بمكناس، وزاوية النساك بسلا التي كانت مركزا صوفيا وعبدا ومأوى للقاصدين وأبناء السبيل، والزاوية المتوكلية التي كان بها جملة من الفقراء لإقامة الذكر، وكان بها دار معدة لنزول الواردين ولوفود القاصدين5.

الزواية الرئيسية للطريقة بفرنسا:

المركز الرئيسي للطريقة الشيخية الشاذلية في فرنسا هو الزاوية الشيخية قرب مسجد باريس الكبير تحت إشراف الدكتور جلول صديقي مقدم الطريقة بأوروبا، ومدير معهد الإمام العزالي لتكوين الأئمة، بمساعدة ابن الشيخ ونائبه بفرنسا الأستاذ **الشيخ بوعمامة**، ومقدم فرنسا **حاكمي مصطفى**، زاوية باريس تتكون من قاعتين متوسطتين واحدة للرجال والأخرى للنساء ومساحة بينهما ثم قاعة الوضوء.

أهم الزوايا الشيخية بفرنسا:

1 محمد مفتاح، مرجع سابق، ص 50.

2 R. Dozy, Supplement aux dictionnaires Arabes, T ,I, P 616. Paris. 1967.

3 محمد مفتاح، مرجع سابق، ص 50.

4 ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن (المسند الصحيح)، مخطوط بالخزانة الملكية، رقم: 111 ق. نقلا عن: محمد مفتاح، مرجع سابق.

5 محمد مفتاح، مرجع سابق، ص 51.

للطريقة العديد من الأتباع على مستوى التراب الفرنسي، وكل هؤلاء الأتباع يجتهدون في حدود ما يمكنهم في إيجاد زاوية لهم يجتمعون فيها لأجل الذكر وقراءة القرآن وتلاوة الأوراد المأثورة في الطريقة، وقد نجد من الفقراء من استطاعوا أن يؤسسوا زاوية خاصة كما هو الحال في الزاوية الرئيسية بباريس، أما الذين لم يستطيعوا تأمين مقر قار يكون لهم بمثابة الزاوية فيجتمعون في بيوتهم الأسرية بشكل منتظم يعتمدون في ذلك على المناسبات والإمكانيات المتاحة، وتبقى الزاوية المكان المفضل لدى المريدين، وهنا نورد أهم الزوايا الفعلية للطريقة بفرنسا:

– **زاوية باريس**: تحت إشراف مقدم أوروبا الدكتور " **صديقي جلول** "

– **زاوية كليشي سوبوا 93**: تحت إشراف مقدم فرنسا " **حاكمي مصطفى** "

– **زاوية ليون**: تحت إشراف مقدم الطريقة " **جيغيمي عبد الله** " وهو فرنسي الأصل واعتنق الإسلام على يدي مقدمي الطريقة.

– **زاوية مرسيليا**: تحت إشراف المقدم " **إبراهيم شبيب** " وهو إمام في إحدى المساجد

– **زاوية نونت**: تحت إشراف المقدم الأستاذ " **مصطفى المهياوي** "

– **نائب المقدم**: مدينة آفينيو " **حاكمي حمزة** "

– **زاوية سانتيتيان**: مقدم الطريقة فيها " **محمد محب** " وهو فرنسي الأصل واعتنق الإسلام على يدي مقدمي الطريقة.

هدف الزوايا الشيخية:

هدف زوايا الطريقة الشيخية في فرنسا هو تمثيل الإسلام أحسن تمثيل والدعوة إليه بالحكمة وباللين، وبالتي هي أحسن كما عمل ودأب عليه شيوخ الطريقة الشيخية عبر العصور، وكما يذكر مناقبهم المؤرخون، يدعون إلى الله تعالى أينما حلوا وارتحلوا، كل ذلك في إطار احترام قوانين الجمهورية الفرنسية.

وهدف فروع الزوايا الشيخية في العالم، كهدف الزاوية الأم التي يرأسها الشيخ الحالي المربي الشيخ سيدي حمزة بوعمامة حفظه الله، ومنه تستمد تعاليمها ونشاطاتها.

برنامج الزوايا الشيخية:

تعتمد الزاوية الشيخية نظاما محددا في الاشتغال بتحفيظ القرآن الكريم، باعتباره الأساس السامي

لكل روافد الفكر الإسلامي، وقد وضع هذا البرنامج بحسب ظروف الطلبة والطالبات، إذ أن تحفيظ القرآن مفتوح أمام الذكور والإناث، ومن خلال البرنامج الموضع من قبل القائمين على التدريس في الزاوية هناك ثلاثة أيام في الأسبوع الأربعاء، السبت والأحد في الصباح والمساء صباحا ومساء، مع مراعاة أحكام التلاوة والأداء، ويقوم على تدريس الطلبة والطالبات فئة من مريدي الزاوية بمتابعة مقدم الطريقة في الزاوية، ويتم الحفظ عن طريق المصحف وبرواية ورش عن نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق، وفي السياق نفسه تقام دروس تحض المريدين على المداومة على قراءة كتاب الله والحث عليه

وكل الزوايا الشيخية في فرنسا أبوابها مفتوحة أمام جميع المسلمين دون استثناء، تطعم الطعام وتنصح الجميع بما يرضي الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: خطاب الطريقة الشيخية وامتداداته

ينبغي في بداية المبحث أن نشير إلى مسألة منهجية مهمة ومن خلالها نستطيع تجلية طبيعة الخطاب الصوفي المغاربي الأصل عموما، والشيخي منه على وجه الخصوص، ومن ذلك فإن منهجية الطرق الصوفية التي نبتت في البيئة المغاربية في نشر الإسلام تعتمد على وسائل وأساليب عدة وأهما:

أولا: وسيلة التعليم والتوجيه بالجلوس للتدريس:

كانت هذه الطريقة من أنجح الطرق وأفضلها بل لا تزال هي الطريقة الأكثر فائدة، حيث إن الشيخ يتصل بتلاميذه مباشرة في حلقات تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، وقد انتشرت الخلاوي بفضل هذا الأسلوب الميسر، وفي حالات كثيرة يستعين بكبار تلاميذه على صغارهم وبهذا تتسع طاقة الخلوة، حتى حكي عن بعض أهل السودان أن بعض الخلوات كانت تضم المئات ممن يبدأ اسمهم بـ: (محمد) ناهيك عن الآخرين، ولا تزال بعض الخلاوي في شرق السودان وشرق أفريقيا تضم الآلاف كخلاوي الشيخ علي بيتاي بمنطقة هشكوريب ولاية كسلا، بالإضافة إلى تعليم القرآن حفظا وتجويدا، هناك دروس الفقه والسيرة والتفسير في المساجد الكبرى وإن كانت العناية بهذه العلوم من الاعتناء بالقرآن الكريم، وذلك أمر طبيعي في مثل تلك البيئات[1].

ثانيا: وسيلة التربية بالعبادة والأذكار في الخلوات:

كان مما درج عليه بعض الشيوخ أن يختاروا لمريديهم أسلوب التربية بأوراد معلومة والحبس في خلوة قد تمتد إلى أربعين يوما مع الصيام والقيام، وبعد أن يخرج المريد من خلوته يكون قادرا على المساهمة في نشر الدعوة الإسلامية ويرتقي مقاما في إيصال الطريقة إلى الآخرين، وقد اتبع هذه الطريقة الشيخ تاج الدين البهاري القادري مع من صاروا شيوخ التصوف القادري في السودان.

ثالثا: وسيلة إنشاء الخلاوي والزوايا والتكايا:

كانت هذه الوسيلة من أنجح الوسائل حيث أصبحت مراطز ثابتة يقصدها طلاب العلم والمحتاجون والعابرون والمنقطعون إلى الله تعالى، وقد تطورت هذه الخلاوي والزوايا والتكايا حتى نمت حولها مدن كبيرة، وكثيرا من مدن السودان الناهضة الآن كانت أساس تسميتها النسبة إلى شيخ إنشاء هذه المؤسسات مثلا: مدينة مدني تنسب إلى الشيخ مدني السني، حلة حمد تنتسب إلى الشيخ حمد،

1 محمد عثمان صالح، التصوف ودوره في نشر الإسلام في إفريقيا – مداخلة – أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي، طرابلس، ليبيا، سبتمبر 1995، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 1426 "من ميلاد الرسول"، ص 369/368.

ودام مريوم بانقا تنتسب إلى الشيخ بان النقاء، وهكذا نجد أسماء مدن كثيرة كان أساسها خلوة أو زاوية أو تكية[1].

رابعا: وسيلة إقراء الضيف وإكرام القصاد وطلاب العلم المتفرغين في هذه الخلاوي:

وقد تفطن بعض هؤلاء الشيوخ إلى ضرورة المحافظة على هذه الخصال، حتى إنه ينسب إلى الشيخ وديدر من أهالي السودان إنه كان يقول في دارجية واضحة: (لولا عجيني مين اللي يجيني) يوضح بهذا القول دور العجين في نشر الدين، كما يقول (الشجر اللي يرمي البرم تتلم عليه البهم) أي إن الشجر الذي يلقي الثمار يأتيه القصاد، وهكذا يسر الله لهؤلاء الدعاء من يكفيهم مؤنة الهم في التدبير فكانت تأتيهم الحبوب والثمار وأنواع الخضار لإعاشة الطلاب، ولا يزال الحال كما كان عليه سابقا من الاهتمام بتلك المؤسسات، كما كانوا يحرضون تلاميذهم ويحثونهم على العمل لكسب العيش لمجتمع الخلوة والبعد عن السؤال والتسول، ولا تزال هذه السجايا حية إلى اليوم في كثير من أنحاء أفريقيا وخاصة.

خامسا: وسيلة المعالجة من الأسقام:

المرض من أكثر الأشياء بغضا للإنسان، والإنسان الذي يعالج الأمراض أقرب الناس إلى قلوب الناس لذلك فطن هؤلاء الدعاة إلى ممارسة تطبيب الناس بالقرآن الكريم وبالطب النبوي، وكانت لبعضهم كرامات في هذا المجال، ولذا ارتبط الناس بهم واجتمعوا حولهم، وأدى ذلك إلى مودة وترابط يفوق الحد في بعض الأحيان مما استغله بعض ضعاف النفوس لاستغلال حاجة الناس للاستشفاء، ولكن تظل بعض المراكز تؤدي خدمات جليلة في المعالجة أو التوجيه للأطباء المعالجين، وبالطبع قد فطن لهذه الوسيلة كذلك المنصرون فأقاموا المشافي الحديثة ولكن يظل ارتباط الناس بشيوخهم هو الأكثر دلالة علة قوة هذا الارتباط الروحي[2].

سادسا: وسيلة الاجتماع على الأذكار بالطبول ونحوها:

هذه الوسيلة نجحت أيما نجاح في المجتمعات الأفريقية الوثنية التي تطرب للموسيقى في الاجتماعات على أنغام الطبول وتحرك مشاعرها الأنغام التي تصاحب الأناشيد والأغاني، ولذا جرب الصوفية هذه الوسيلة في مناطق الغابات والجبال، كجبال النوبة وجبال الفور، وأدت نتائج طيبة بالرغم مما يثار حولها من خلاف حول تلك الوسيلة هل هي مباحة أم هي مخالفة للدين؟ لكن الواقع الأفريقي له حكمة وضروراته، خاصة وأن المنصرين يحاولون، وقد حاولوا من قبل الولوج لاستخدام هذه الوسيلة.

1 المداخلة السابقة، ص 369.

2 المداخلة نفسها، ص 370.

سابعا: وسيلة الالتصاق بالحكام والولاة وغيرهم:

هذه الوسيلة جربها بعض أهل التصوف ونجحت في كثير من الحالات، ولكنها في حالات أخرى أصبحت مدخلا لزيغ بعض الرجال حيث إن القرب من الحكام فيه من المغريات ما تهوي به الأقدام لمن لا يثبت في طريقه وسلوكه، لكن على العموم كانت لنصائح الصالحين منهم منافع كثيرة على الأمة حيث إن كثيرا ممن هداهم الله تعالى من ولاة الأمور انتفعوا بنصائح المشايخ وعملوا بمقتضاها وأكبر مثال على ذلك ملوك السلطنة الزرقاء بالسودان الذين وفد عليهم الصوفية وأفادوهم فوائد عظيمة من كل الأنحاء[1].

المطلب الأول: الأثر العلمي للطريقة

إن من يمعن النظر في الممارسة الصوفية في المغرب العربي لا يلبث أن يتبين أنها تتصف بخصائص أساسية ثلاث وهي:

1/ البعد عن التجزؤ أو الخاصية التكاملية:

يظهر البعد عن التجزؤ في التصوف المغاربي في أصناف الجمع الثلاثة التالية وهي: الجمع بين التصوف والفقه، والجمع بين التجرد والتسبب، والجمع بين المجاهدة والجهاد[2].

أدلة الجمع بين التصوف والفقه: أما الجمع بين التصوف والفقه فتدل عليه الأمور الآتية:

أ- أن التصوف المغاربي أخذ الفقه في معناه الأصلي الواسع، وهو موافقة أحكام الشريعة ظاهرا وباطنا بحيث تكون الأعمال الظاهرة متوقفة في صيغتها على الأعمال الباطنة توقف الشروط في صحته على الشرط.

ب-أن أغلب الصوفية المغاربة كانوا فقهاء أو محدثين أو حملة للقرآن أو حفظة للمتون العلمية، يشتغلون بالتدريس أو التحفيظ.

ت-أن الصوفية المغاربة شاركوا الفقهاء فيما هم فيه من القيام على أداء الأعمال الظاهرة، بل نافسوهم في ذلك حتى قاموا بما وقف دونه الفقهاء، فقد استنبطوا الوسائل التي تعين على نشر العقيدة الإسلامية وعلى ترسيخها في النفوس وعلى قدرة العامة على أداء شعائرهم وفرائضهم، فقد انتقلوا إلى

---

1 المرجع السابق، ص 371/370.

2 طه عبد الرحمن، الخصائص العامة للتصوف في المغرب العربي، مداخلة – أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي، طرابلس، ليبيا، سبتمبر 1995، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 1426 "من ميلاد الرسول"، ص 167.

البوادي والأصقاع النائية يعلمون الناس أمور دينهم كما أقروا أنماطا من التعبد، كالذكر الجماعي وقراءة القرآن الجماعية حتى يسمعوا الغافل ويجلبوا العابر وييسروا الحفظ على الأمي، وعملوا على رفع الموانع التي جعلت الفقهاء يفتون بإسقاط فريضة الحج عن المغاربة، فأمنوا الطرقات ونظموا الرحلات وأنشئوا المحطات فوفروا للحجاج الأمن والزاد والراحة.

وأما عن الجمع بين التجرد والتسبب، فإن التجرد تجردان: تجرد عن الحظوظ، وتجرد عن الأسباب، وكثيرا ما اختلط على الناظرين في التراث الصوفي المغاربي أمرهما، فصلوا أحدهما عن الآخر والصواب أ، التصوف المغاربي وقف سير المريد على ترك الحظوظ، حتى يتحقق بإفراد الله بالقصد في الأعمال، وامتاز بالتحذير من ترك الأسباب والنهي عنه، وقد دخل أكابر رجالهم في طلب الأسباب واتخذوا من وسائل العيش ما يدفع عنهم الحاجة إلى الخلق، فمارسوا التدريس والتجارة والزراعة، وكرهوا الكسل من مريديهم " المتعطلين " ونصحوهم باتخاذ الحرف وبالبعد عن السؤال وعن انتظار العيال.

لكن لشد ما كانوا يحرصون على أن يكون تعاطي مريديهم للأسباب قائما بشرط الخروج عن التعلق بها، حتى يدركوا أن تسببهم ليس هو الذي يوصلهم إلى تحقيق طلبهم من الرزق، وإنما موصلهم على الحقيقة هو الرازق ذو القوة المتين، فيكونون في ذات الوقت متسببين ومتجردين[1].

أدلة الجمع بين المجاهدة والجهاد:

أ- إنشاء مراكز للمرابطة بعيدة عن العمران تسمح بالانقطاع لأعمال العبادة، ومحاذية للسواحل والتخوم تسمح بالتصدي لأعمال السطو على البلاد.

ب-المشاركة الفعلية إما مباشرة بدخول غمار المعارك طلبا لإحدى الحسنين، وإما بصفة غير مباشرة باستنهاض الهمم واستفسار الرجال للذود عن حوزة الإسلام.

ت-المشاركة المعنوية بقبول دعوات الولاة والأمراء لهم بمصاحبتهم عند الخروج إلى ملاقاة العدو، استدرارا للبركات وتثبيتا للقلوب واستجلابا للنصر.

وعلى الجملة، فإن التصوف المغاربي ينأى عن منحى التجزؤ ويتجه اتجاها تكامليا صريحا يجعل العمل الروحي جزءا من الفقه، والتجرد من الحظوظ جزءا من التسبب، والجهاد جزءا من المجاهدة.

2/ البعد عن التجريد أو الخاصية العملية:

يظهر عن التجريد في التصوف المغربي في أصناف النفور الثلاثة التالية: وهي: " النفور من الفروع

1 المداخلة السابقة، ص 168/167.

الفقهية " و" النفور من الجدل الكلامي " و" النفور من الحكمة العرفانية "

– **النفور من الفروع الفقهية:** فلقد اقتضى التطور أن يخرج علم الفقه عن بساطة أصوله، وقرب مأخذ مسائله إلى تعقيدات في القواعد والأحكام وتفريعات في الأقضية والفتاوى، فأظهرت هذه التشعبات أقوال بعض الفقهاء بمظهر النظر المجرد، رجال التصوف الذين ظلوا يدعون إلى سلوك متسم بالبساطة والحيوية ومعتبر لطاقة العامة في التعقل والتفقه، ويأخذون من الآراء ما كان تحته عمل أو ما كان داعيا إلى العمل، لذلك كان يقع تقريب صوفية الأعمال وتنتشر دعوتهم من تعرض فقهاء الفروع للإبعاد والمضايقة، وعلى العكس من ذلك كان صوفية الأعمال يتعرضون للمضايقة والمراقبة كلما وقع تقريب فقهاء الفروع وتوسيع نفوذهم.

– **النفور من الجدل الكلامي:** فلقد اختص الصوفية المغاربة بمفهوم للتوحيد يقتضي أساسا العمل التعبدي لا النظر التأملي على طريقة أهل الكلام، لا يتعدون في هذا النظر القدر الذي جاء به الكتاب والسنة، وينفرون من الخوض في مسائله التفصيلية ولو مع من أثر عنه التسليم بالتصوف، بل بدا بعضهم منكرا لما جاء في كتب المتصوفة أو في أقوالهم مما يشعر باقتباس أساليب المتكلمين والمشاركة في قضاياهم، والشاهد على ذلك المناظرة التي دارت بين الشيخ **أبي شعيب السارية وواسنار**، أحد قواد الموحدين، في مجلس عقده **الأمير عبد المؤمن بن علي**، فكان **واسنار** يسأل **أبا شعيب** عن عقيدة التوحيد، قاصدا الأوصاف التجريدية التي كان يبثها **المهدي بن تومرت**، ويجيبه أبو شعيب بذكر الآيات القرآنية التي وردت فيها معاني التوحيد.

– **النفور من الحكمة العرفانية:** فلقد تسربت إلى الممارسة الصوفية، بمقتضى التطور والاستمداد من البيئة، بعض التوجهات الفكرية والعلمية والتي لا يمكن إلا أن يضيق بها صوفية الأعمال، مثل صوفية المغرب العربي، إذ يعدونها بمنزلة آفات سلوكية ينبغي صون النفس عنها.

3/ البعد التسييس أو الخاصية الأخلاقية: يظهر البعد عن التسييس في التصوف المغاربي قي أصناف المدلولات الثلاثة الآتية وهي:

(المدلول الروحي للجهاد) و(المدلول الإنساني للدعوة) و(المدلول المعنوي للنسب).

أما المدلول الروحي للجهاد، فتجدر الإشارة إلى أن لفظ الجهاد من الألفاظ التي بدلت معانيها فقد صرف هذا اللفظ عن مقصوده بوجهين:

– أحدهما أن الجهاد صار يحمل على معنى القتال من أجل التشدد الديني وبسط النفوذ

العقدي.

أحدهما أن مدلول الجهاد كما أخذ به رجال التصوف المغربي، فلا تعلق له أصلا بطلب الرئاسة الدنيوية، لأن هذا يناقض مقاصد التربية الروحية، كما لا تعلق له بالتشدد العقدي لأن هذا يناقض وسائل هذه التربية، وإنما تعلقه بمجاهدة النفس وحدها، ببذلها رخيصة في سبيل الدفاع عن الإسلام، كما استرخصت في سبيل الخروج عما سوى الله، على هذا فإن الجهاد بالمعنى الصوفي ليس عملا تسييسيا ولا سلوكا إيديولوجيا وإنما عمل روحي أخلاقي بالأصالة.

أما المدلول الإنساني للدعوة فليس من شك أن للدعوة دورا بالغ الأهمية في الممارسة الصوفية المغربية، فقد شمل مجالها البوادي والحواضر بعد أن ابتدأ محصورا في الأصقاع البعيدة عن العمران، إلا أنها تشبه في شيء الدعوات التي تطلب النفوذ السياسي لطائفة معينة، أو الدعوات التي تطمع في المكاسب المادية إلا أن تكون قد جرت عليها سنة التغير فتبدلت أحوالها أو قانون الادعاء فانتحلها بعض الأدعياء.

أما عن المدلول المعنوي للنسب فمن الثابت أن للنسب أهمية في التجربة الصوفية المغاربية تزايدت مع مرور الزمن حتى ظن بأن الولاية الكبرى والفتوحات العظمى لا تحصل إلا لمن كان من أهل النسب الشريف، والغالب عند الصوفية المغاربة أن يرفعوا نسب شيوخهم إلى سيدنا الحسن بن علي، على خلاف صوفية المشرق الذين غلب عليهم نسبة شيوخهم إلى أخيه سيدنا الحسين بن علي، وسواء صح هذا النسب أم لم يصح، فإن دلالته تظل بالأساس دلالة معنوية، فلما كان سيدنا الحسن قد نزل لمعاوية عن الخلافة، فإن الانتساب إليه يدل على إرادة الزهد في السلطة السياسية، وإذا حدث لأحدهم أن تولى سلطة سياسية، مضيقة أو موسعة، لتعذر من يقوم مقامه فيها، فإن توليه لها تكون بالغرض وبالتبعية للسلطة الأخلاقية التي اختص بها وليس بالجواهر وبالأصالة كما هو الشأن عند المنتسبين لسيدنا الحسين.

الفرع الأول: الفقه المالكي

يعود اهتمام الزوايا والطرق الصوفية بالفقه إلى بدايات النشأة وذلك أن حرص الشيوخ القائمين على التربية لا يمكنه لهم الفكاك عن فقه الحلال والحرام الذي يجسد الشريعة في أسمى تنظيمها وتجلياتها، وقد عرفت المتون العلمية في بلاد الغرب الإسلامي خصوصا حظوة كبيرة لدى الطرق الصوفية الأصيلة ومن هذه الطرق نجد الطريقة الشيخية الشاذلية، و(لما كان متن ابن عاشر أحد المتون الفقهية المعتمدة للتدريس في الزوايا والمدارس – وهو متن ملخص للأحكام الأساسية الضرورية من علوم الدين، وقد جاء

مقسما تقسيما موضوعيا دقيقا بشكل متكامل متزن على النحو الآتي: توحيد، فقه، تصوف – كان الضروري الاهتمام به منهجا وموضوعا، ويعد التصوف عند ابن عاشر مؤصلا تأصيلا علميا دقيقا من حيث المباحث والمصطلحات، ولذلك يمكن أن يكون منن ابن عاشر نموذجا للكتابة الصوفية عند الفقهاء)1.

مفهوم الكتابة الصوفية عند الفقهاء:

تعطي العلوم أهمية خاصة جدا للمفاهيم المتداولة فيها ومن ذلك تخصيصها لمجموعة من الاصطلاحات إذ نجد (لكل فن مصطلحاته ورموزه الخاصة به، وهكذا فلكل من علمي التصوف والفقه مصطلحاتهما الخاصة، ولما كان الفقه والتصوف عنصرين من عناصر بناء الشخصية الإسلامية لزم أن يكون مشتركين في أغلب المصطلحات باعتبار اشتراكهما في المبادئ التأصيلية وبذلك يمكن أن نعرف الكتابة الصوفية عند الفقهاء كما يلي: " هي أسلوب من أساليب التعبير تستخدم فيه مصطلحات معلومة وذلك عند الكلام عن أبواب السلوك وتزكية النفس وما تعلق بهما من الأحكام الفقهية")2.

مميزات الكتابة الصوفية عند الفقهاء: تتميز الكتابة الصوفية عند الفقهاء بما يلي:

1/ الانطلاق من علاقة التكامل بين الفقه والتصوف في أن كلا منهما يمثل جانبا مهما من عناصر بناء الشخصية الإسلامية.

2/ تأسيس مباحث كل من علمي الفقه والتصوف على نصوص الكتاب والسنة وما تخرج عليهما من أحكام فقهية ومبادئ عملية.

3/ ضرورة تقيد الكتابة الصوفية عند الفقهاء بالمصطلحات العلمية الموافقة لأحكام الشريعة عموما وبذلك نجد أن المصطلح الصوفي عند الفقهاء خال من المبالغات والأوهام والخيالات.

4/ مراعاة جريان الأحكام الفقهية على الحالات العامة دون اعتبار للخوارق والكرامات.

5/ انضباط التأويل الصوفي عند الفقهاء بشروط التأويل الصحيح عندهم حيث إنهم لا يقبلون التأويل البعيد ولا الفاسد3.

---

1 محمد دباغ، الكتابة الصوفية عند الفقهاء – متن ابن عاشر أنموذجا – مقال، مجلة الأثر، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، العدد 03، أبريل 2009، ص 94.

2 المقال نفسه، ص 94.

3 المقال السابق، ص 95/94.

ابن عاشر والكتابة الصوفية:

ترجمة ابن عاشر:

هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسبا الأندلسي أصلا، الفاسي منشئا وداراً كان رحمه الله عالما ورعا متوسعا في العلوم، أخذ عن شيوخ كثيرين في القراءات والنحو والفقه والتوحيد ودرس الأصول والفقه والحساب والفرائض والمنطق والبيان.

حفظ القرآن على يد الشيخ المذرر أحمد بن عثمان اللمطي، وأخذ القراءات السبع على يد أبي العباس الكفيف ومحمد التلمساني.

وأخذ الفقه عن جماعة من شيوخ العصر كأبي العباس بن القاضي وابن عمه أبي القاسم وابن النعيم الغساني وقاضي الجماعة بفاس علي بن عمران وأبي عبد الله محمد الهواري، والشيخ القصار القيسي.

وقرأ الحديث عن سيدي محمد الجنان، وأبي علي الحسن البطيوي. وقد تردد على الزاوية البكرية وأخذ عن علمائها المبرزين، فكان يحضر مجالس محمد بن أبي بكر الدلائي في التفسير والحديث، ولما اشتغل أحمد بن القاضي المتوفى عام 1025هـ في آخر عمره بتدريس صحيح البخاري في جامع الأبارين بفاس كان الذي يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد ابن عاشر.

رحل إلى المشرق وأخذ عن **سالم السنهوري** وعن الإمام المحدث أبي عبد الله **محمد بن يحيى العزي** الشافعي، والشيخ **بركات الحطاب**، وغيرهم، وحج سنة 1008هـ، والتقى بالشيخ **عبد الله الدنوشري**، وأخذ طريق التصوف عن العالم العارف الشيخ سيدي **محمد بن أحمد التَجيبي** الشهير بابن عزيز دفين الدرب الطويل في فاس –المتوفى عام 1022هـ– وعلى يده فُتح عليه بسعة العلم والعمل[1].

أهم مؤلفاته[2]: ترك العديد من المؤلفات أهمها:

- تقييد على العقيدة الكبرى للإمام السنوسي.
- شرح على مختصر خليل من النكاح إلى العلم.

1 معلمة المغرب، مجموعة مؤلفين بإشراف: د محمد حجي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، دط، 1989، المجلد: 17، ص 5837.

2 المرجع السابق، ص 5838.

- شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح.
- مقطعات في جمع نظائر مهمة من الفقه والنحو.

توفي بعد مرض لم يطل قيل بالداء المسمى على لسان العامة بالنقطة، وقيل مات مسموما بسبب سم وضع له في نوار الياسمين عند اصفرار يوم الخميس 3 ذي الحجة عام 1040هـ/3 يوليوز 1631م، وهو ابن خمسين سنة، ودفن من الغد في مطرح الجنة المعروف أيضا بمطرح الجلة قرب مصلى باب فتوح **بفاس**، وبني عليه قوس معروف غرب روضة سيدي **يوسف الفاسي** بجوار السادات المنجريين، وهو مزار متبرك به[1]

منظومته: فهي الموسومة " بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين " وقد أشار إلى ذلك في خاتمتها بقوله:

سميته بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين

وهي منظومة مختصرة ومفيدة ولذلك هي ميسرة للحفظ حتى بالنسبة للأمي كما عبر ذلك بقوله:

وبعد فالعون من الله المجيد في نظم أبيات للأمي تفيد

أهم المحاور الصوفية في متن ابن عاشر:

1/ التوبة وشروطها.

إصلاح النفس وينقسم إلى:

1/ امتثال الأوامر.

2/ اجتناب النواهي.

التحذير من أمراض القلوب:

1/ الرياء.

2/ الحسد.

3/العجب.

4/ الغيبة والنميمة.

1 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5/ الزور والكذب.

التحلي بمقامات اليقين:

1/ الخوف. 2/ الرجاء.

3/ الشكر. 4/ الصبر.

5/ التوبة. 5/ التوكل.

7/ الرضا. 8/ المحبة.

فائدة السلوك والتحلي بما سبق من الفضائل حصول العبادة الحقة لله تعالى، والظفر بمرضاته والاستغناء عما سواه، وفي ذلك يقول ابن عاشر:

يصير عند ذاك عارفا به حرا وغيره خلا من قلبه

منهج الكتابة الصوفية عند ابن عاشر:

أ- التزام المصطلحات الشرعية العامة دون لجوء إلى التأويل ولا إلى الرمزية.

ب- ضبط السلوك بفقه الحلال والحرام.

ت- الاهتمام بإصلاح النفس ظاهرا وباطنا حيث قال:

وحاصل التقوى واجتناب وامتثال في ظاهر وباطن بذا تنال

ث- التنبيه والتحذير من أمراض القلوب.

ج- بيان الأثر الروحي للتحلي بمقامات اليقين.

ويخلص أحد الدارسين للكتابة الصوفية عند الفقهاء إلى النتائج الآتية:

1/ تكامل العلوم الشرعية في بناء الشخصية الإسلامية.

2/ ضرورة ضبط المصطلحات الصوفية بما يتفق مع الأحكام الشرعية ابتداء ودوما.

3/ اعتماد منهج التصوف عند ابن عاشر في تدريس هذا الفن والتأليف فيه.

4/ ضرورة تنقية التصوف وتخليصه مما علق به من الخرافات والتأويلات والأوهام الباطلة سواء على المستوى الفكري النظري أو على المستوى السلوكي العملي.

5/ دعوة علماء الشريعة والباحثين فيها إلى تبوء، الريادة في بيان المصطلحات الشرعية وتأصيلها وبيانها للباحثين في المجالات الأخرى وكذا جعل قواعد التأصيل الشرعي هي الحكم الأساس على كل تأويل أو تفسير للنصوص الشرعية، التي هي مرجع أساس لكل العلوم الشرعية وما يتفرع عنها من مبادئ وأحكام1.

الفرع الثاني: العقيدة الأشعرية[2] عقيدة أهل السنة

أما عن الكتب المعتمدة في العقيدة فيبدأ أولا بقسم العقيدة في متن بن عاشر وذلك لبساطته وسهولة استيعابه، خصوصا في بيئة بعيدة نسبيا عن علوم الشريعة لذا فالمتون البسيطة مطلوبة، وتخصص زوايا الطريقة الشيخية في التراب الفرنسي حلقات في " العقيدة الطحاوية " ويتم تقديم شروح مبسطة عليها، بالإضافة إلى دراسة نظم " جوهرة التوحيد " مقرونا بشرح البيجوري عليه، كما تخصص الزاوية الكبرى في باريس كغيرها من الزوايا على مستوى فرنسا حلقات لتدارس كتاب " المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال " وذلك لما فيه من عظيم فائدة في هداية القلوب وتثبيتها على اليقين في الله.

ومن خلال ما سبق يبدو جليا تركيز الطريقة على العقيدة الأشعرية – عقيدة أهل السنة الحقيقية – ويرجع التزام الطريقة الشيخية في فرنسا بالعقيدة الأشعرية إلى التأثير البارز لنمط التدين المغاربي، إذ نجد أن العقيدة – عقيدة أهل السنة – هي العقيدة السائدة في أوساط المجتمع المغاربي الموحد ثقافيا وفكريا وتاريخيا، أما في الجانب الديني فكل عرى الإسلام الثلاث موحدة بين أقطار بلدان المغارب، وجلي حرص شيخ الطريقة الشيخية الحالي سيدي **حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة** على اتباع سلفه من علماء الغرب الإسلامي (لا سيما شيوخ التصوف الذين كانوا يحرصون على الجمع بين السلوك الصوفي

1 محمد دباغ، مقال سابق، ص 96/95.

2 ينسب هذا المذهب العقدي إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ﷺ ولد سنة 260هـ، وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري اليمني، ولد بالبصرة سنة 270هـ، تلقى في مستهل حياته العلمية ثقافة قرآنية وحديثية ولغوية واسعة، وعاش في شبابه في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره، وأخذ عنه علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته، ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة مدة أربعين سنة، ثم بدأ الأشعري يعيد النظر في أفكار أستاذه الجبائي ويدرسها، وكنتيجة للبحث أعلن البراءة من الاعتزال، وخط لنفسه منهجا جديدا يلجأ فيه إلى تأويل النصوص التي قد يفهم منها تشبيه الله بمخلوقاته بما يراه متفقا مع محكمات الشرع ومقتضيات العقل، وقد خلف الأشعري مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة، ولما أحس بقرب أجله دعا أحد جلسائه وقال له: أشهد علي أني لا أكفر أحدا من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات، توفي سنة 324هـ ودفن ببغداد. أنظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ج 2، ص 245، وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1، ص 326، البداية والنهاية لابن كثير ج 11، ص 187، وفي الأعلام للزركلي ج 4، ص 263.

والمذهب المالكي في الفقه والأشعري في العقيدة، وذلك لتقارب الآراء المذهبين، فدخول المذهب المالكي إلى المغرب – الإسلامي – كان له أثر قوي في دعم عقيدة أهل السنة، إذ كان للإمام مالك موقف كلامي عقدي ديني، خالف به أقوال المذاهب المخالفة، وكان من الأسس التي بنى عليها الأشاعرة مذهبهم وانتموا إليه، فكان هو مذهبهم العقدي إلى جانب فقه مالك وتصوف الجنيد، وهكذا ارتبط العقدي بالفقهي بالصوفي في تفكير المغاربة)[1]، ويحرص الكثير من الدارسين على إبراز الأسباب الفعلية التي دعت المغاربة لتبني العقيدة الأشعرية وهي:

1/ اتصال المغاربة المالكيين بنظرائهم الأشاعرة في المشرق، فقد كان مجموعة من كبار المفكرين بالأندلس وتونس يتجهون في بداية حياتهم العلمية إلى المشرق فيتلقون دراستهم الفقهية والعقدية على كبار الأشاعرة هناك، وعند عودتهم إلى بلدانهم يعودون مقتنعين أشد ما يكون الاقتناع بهذا المذهب، وبضرورة نشره وتعميمه بين الناس.

2/ اعتقاد المغاربة بأن العقيدة الأشعرية هي الفرقة الناجية الواردة في الحديث النبوي المعروف[2]، بالإضافة إلى اعتبارات أخرى منها: أن العقيدة الأشعرية تتميز بشموليتها ووسطيتها وتوفيقيتها.. وقد أقر العلماء بالمجهود الكبير الذي قام به أبو الحسن الأشعري في إعادة أسس العقيدة السنية السلفية إلى أصلها الصحيح، وقواعدها الإيمانية السليمة، ثم قرروا جميعا أن العقيدة الأشعرية هي نفسها عقيدة " أهل السنة والجماعة " واستمر الأمر على ذلك إلى يومنا هذا، أي أن الفكر الأشعري في الغرب الإسلامي عموما، وفي الغرب الإسلامي خصوصا، هو طبق الأصل لصاحب المذهب وهو أبو الحسن الأشعري.. الأمر الذي يفيد من جهة أخرى أن أشعرية المغاربة لم تتأثر بالاتجاهات الأشعرية في المشرق، مثل اتجاه الجويني والباقلاني.. بل هي أشعرية اعتدالية سنية سلفية محافظة خلافا لما يلاحظ في بعض الأقطار[3].

كما نجد لأحد شيوخ الطريقة كتابا مهما وهو في التوحيد البسيط من منطلق العقيدة الأشعرية إذ

---

1 الكبيطي، مرجع سابق، ص 155/154.

2 (افترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين، فرقة ناجية، واثنتين وسبعين في النار) رواه أبو داود في السنن, كتاب السنة, باب شرح السنة, برقم 4585, ورواه الترمذي في كتاب الإيمان, باب ما جاء في افتراق هذه الأمة, برقم 2640.

3 مقال: (لماذا اعتنق المغاربة العقيدة الأشعرية ؟) بموقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية على الرابط: تم إنزاله على الموقع بتاريخ: 2012/02/03.

http://www.habous.gov.ma/2012-01-26-16-14-59/1258-

يركز على تنزيه الباري عن الكيف، كما أن فيه إشارات صوفية لطيفة، وهو مخصص لأتباع الطريقة الشيخية في شتى زواياها وهو بعنوان: (**بهجة البهاج المشهودة في تنزيه من لا يكيف أحد وجوده**)1.

الفرع الثالث: السيرة النبوية

يعتبر حب الرسول ﷺ رأس الحكمة الصوفية وبوابة الفتح الذي يصبو لتحقيقه كل المتصوفة في شتى العصور والأمصار، ولعل هذه المحبة هي المسألة الوحيدة التي تجمع المتصوفة، على اختلاف طرقهم ومشاربهم الروحية، فيبقى عين الرحمة " محمد " ﷺ دائم الحضور في المخيال الصوفي الإسلامي، لذلك فلا غرابة أن نجد أتباع الطريقة الشيخية في كل الأماكن التي توجد بها، يركزون على تدريس متون السيرة وأشعارها، التي تحكي حياة وشمائل الرسول ﷺ، وغاية ذلك ترسيخ محبة الرسول ﷺ في نفوس المريدين والأتباع (ولعل أهم مؤلف يعتمدونه في هذا المجال هو كتاب " **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** " للعالم الجليل " **القاضي عياض**[2] "، وكتاب الشفا من أكثر كتب السيرة النبوية التي أولاها الصوفية المغاربة اهتماما بالغا، لأنها تحكي حياة الرسول ﷺ وسيرته بأسلوب يطفح بالمحبة والشوق والتعلق بالذات النبوية، وفيه توثيق للمعجزات التي كانت تحدث للرسول ﷺ مع أصحابه، وفيه أيضا إشارات تربوية هامة يستفيد منها المريد، ويتأدب بها في علاقته بشيخه وبالحضرتين المحمدية والأحدية[3]

ونجد زوايا الطريقة تركز أيضا على كتب الشيخ " **يوسف النبهاني**[4] " رحمه الله كمؤلفاته النافعة

---

1 ألفه الفقيه العلامة سيدي أبو حفص الحاج بن الحاج عبد الحاكم بن عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ) توفي بالإسماعلية بمصر منقلبه من الحج ﷺ، لم نعثر تاريخ وفاته، وقد ترك من المؤلفات كتاب: (بهجة البهاج المشهودة) في التصوف، وكتاب (مفاتح الخيرات) في الصلاة على النبي ﷺ وهو مطبع ومحقق. أنظر: الطريقة الشيخية الشاذلية السند والأذكار، 23/22.

2 هو الحافظ شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي السبتي المالكي مذهبا، ولد في سنة (476هـ)، أخذ عن الحافظ أبي علي الغساني إجازة مجردة، رحل إلى الأندلس سنة بضع وخمسمائة، وروى عن القاضي أبي علي بن سكرة الصدفي، ولازمه، وعن أبي بحر بن العاص، ومحمد بن حمدين، وأبي الحسين سراج الصغير ، وأبي محمد بن عتاب ، وهشام بن أحمد.. وتفقه بأبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي، والقاضي محمد بن عبد الله المسيلي، واستبحر من العلوم ، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق، توفي سنة (544هـ) ودفن بمراكش. أنظر: محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، دط، 2001، ج 20، ص 217/214/213/212.

3 الكبيطي، مرجع سابق، ص 141/140.

4 يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، شاعر وأديب، من رجال القضاء نسبته إلى بني نبهان من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية اجْزِم – بصيغة الأمر – التابعة لحيفا في شمالي فلسطين، وبها ولد ونشأ، وتعلم بالأزهر بمصر (1283– 1289هـ) وذهب إلى الآستانة فعمل في تحرير جريدة " الجوائب "، ورجع إلى بلاد الشام سنة (1296) فتنقل في أعمال القضاء إلى أن صار رئيسا لمحكمة

التالية: (جامع الصلوات، ومجمع السعادات على سيد السادات)، (جواهر البحار في فضائل المختار ﷺ)، (حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين)، (رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله)، (رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة)، (سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله)، (سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين)، (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق)..

كما نجد للطريقة مؤلفا مهما جدا في مجال سيرة الرسول ﷺ وهو كتاب " **مفتاح الخيرات ومواهب البركات في الصلاة على سيد السادات** " ﷺ جمع وتحقيق مقدم الطريقة الشيخية بمدينة أدرار الأستاذ **عبد الله طواهرية**، وهو من تأليف العلامة شيخ وفخر الطريقة الشيخية، الجامع بين الشريعة والحقيقة القطب الشهير الحاج بحوص – مرت معنا ترجمته في الفصل الثالث – خليفة القطب الرباني مولانا الشيخ سيدي الحاج عبد الحاكم نجل مؤسس الطريقة الشيخية إمام الصوفية مولانا الشيخ سيدي **عبد القادر بن محمد** رضي الله عنهم جميعا.

وحول أهمية الصلاة على النبي ﷺ يورد في مقدمته: (الحمد لله الذي رفع بالصلاة والسلام على نبيه الكريم درجات المقربين، لما امتثلوا من أمره، لقوله جل من قائل: " يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " وما فهموا من تعظيمه لمقامه ببدايته بنفسه، وتثنيته بملائكة قدسه وتثليثه بجن العالم وإنسه: " إن الله وملائكته يصلون على النبي " متخذين من الصلاة والتسليم عليه منهاجا، ومن مطالعة حليته وذكر نعوته ومدح صفاته سراجا وهاجا أضاءت به قلوبهم، فاستنارت بالهدى والرشاد، واقتدى بهديهم واهتدى بسر متابعتهم من سبقت له سابقة العناية من العباد، صلى الله عليه وعلى آله وعترته وأهل بيته والمقتفين سبيله وسلم تسليما، **وبعد**:

فإنه لما كانت الصلاة على النبي ﷺ أوكد القربات وأجل الطاعات، ودليل على التوفيق لسبيل الخيرات، بها يزكوا العمل ويعظم الأمل في التوفيق والقبول ونجاح السول، فإن الأكابر من ذوي الدين والإيمان لم يزل دأبهم وديدنهم مداومة الصلاة عليه في الغدو والآصال استدرارا لغيث قوله ﷺ:" إذا تكفى همك ويغفر ذنبك ". متخذينها وردا مورودا وموطنا صالحا مشهودا، نطقت ألسنتهم بما وعدت قلوبهم، وظهرت محبتهم له ﷺ في ما حبروا وسطروا، فلا يخلو ورد ولا ذكر من أنفاس الصلاة عليه العطرة بصيغة وعدد ما قل أو جل، والكل جليل معنى وإن قل مبنى، كل ذلك استمناحا لفضل الله

الحقوق ببيروت سنة (1305) وأقام زيادة على عشرين سنة، وسافر إلى " المدينة " مجاورا، ونشبت الحرب العالمية (الأولى) فعاد إلى قريته وتوفي بها. سنة 1932 – 1849م، أشهر كتبه " جامع كرامات الأولياء ".الزركلي (الأعلام)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط4، 1399هـ، المجلد 8، ص 218/217.

ومواهبه، ودفعا لصروف بلاء الزمان ونوائبه)[1].

المطلب الثاني: المواسم الدينية

تعتبر المواسم الدينية في الإسلام ذات أبعاد حِكَمية بالغة وأدلة دامغة على أن هذه الشريعة شريعة متجددة على مر العصور والأزمان، والناظر لأدوار المواسم الدينية في الأمة يستشف أن الله اختارها لتكون بمثابة محطات يجدد فيها المؤمنون إيمانهم بالله.

ولئن كانت أعمال الجوارح الحركية كالصلاة تجعل الإنسان يتحرر من عبودية الهَوى، فإن محطات المواسم كشهر رمضان والمولد النبوي الشريف.. تحرره من عبودية الشهوة، بل تعتبر بمثابة محطة يتزود من خلالها المتصوف، لذلك نجد جميع المتصوفة يولون هذه المناسبات أهمية أكبر، فيجددون بذلك ارتباطهم بالزوايا والخلوات ويعدون للاعتكاف في شهر رمضان، ويحبسون أنفسهم لقراءة شمائل الرسول ﷺ، وإنشاد الأمداح التي تذكرهم بربهم وتربطهم بالعالم المأمول فيعيشون حلاوة العيش مع الله، وفي الفرعين الآتيين سنتناول محطة المولد النبوي الشريف ومحطة شهر رمضان المبارك.

الفرع الأول: شهر رمضان المبارك

تعطي الزاوية الشيخية بفرنسا لشهر رمضان المبارك أهمية خاصة، فيزيد اجتهاد أتباع الطريقة في أيام رمضان وخاصة ليلة القدر، إذ تخصص الزاوية المذكورة برنامجا ثريا أساسه القرآن الكريم والذكر، والصوم نهارا والقيام ليلا، بالإضافة إلى تهيئة المريدين طوال الشهر لدخول الخلوة والخروج ونيل البركة والفتح المأمول، ولا تزال الطريقة الشيخية تعتبر شهر رمضان أعظيم شهر في السنة، ففيه أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وقد جعل الله صومه ركناً من الأركان الخمسة للإسلام، وقيامه نافلة تزيد العبد قربا من ربه، وقد قال ﷺ في فضل هذا الشهر (مَن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، ومَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه)[2]، لذلك فهذا الشهر بالنسبة للصوفية هو شهر البركة والخير والعون من الله خصوصا وأن أهم انتصارات هذا الدين كانت في هذا الشهر ففيه كانت غزوة بدر الكبرى من السنة الثانية للهجرة النبوية، كما كان فتح مكة المكرمة، ولئن كان بعض المسلمين ينظرون لهذه الأحداث العظيمة بسطحية، فإن المتصوفة يعطونها أبعادا روحية عجيبة، ولعله السبب الذي جعل من الطريقة الشيخية تجعله – أي شهر رمضان – شهر دخول الخلوة وخروجا وذلك في ليلة القدر من كل رمضان.

---

1 منتدى سيدي الشيخ على الرابط: http://sidicheikh.yoo7.com/t1901p1-topic

2 رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا، برقم: 1802.

الفرع الثاني: المولد النبوي الشريف

يعتبر المتصوفة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف أمر مؤكدا على كل متصوف مؤمن صادق، محب لرسول الله ﷺ، ونجد الطريقة الشيخية في فرنسا تولي لمولد النبي ﷺ أهمية بالغة، وذلك لأن عظمة اليوم من عظمة من يرتبط به، فالتركيز على هذا الشهر مبعثه محبة رسول الله ﷺ، خصوصا وأن المتصوفة أعظم فرقة تعطي بعدا لإظهار شعيرة حب النبي والتبرك به والتوسل به في مثل هذه المناسبات المباركة، ويفعل أتباع الطريقة الشيخية ذلك للتحقق بصفة الإيمان الواردة في الحديث الشريف، إذ لا يؤمن من لا يحقق شرط محبة النبي ﷺ قبل محبة لشيء آخر بعد الله سبحانه وقد قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[1].

ولأجل هذا كله تحتفل الطريقة بالمولد النبوي الشريف في مختلف زواياها على مستوى التراب الفرنسي كما تقوم بذلك مختلف زوايا الطريقة الشيخية في أوروبا والجزائر والمغرب، ويدوم الاحتفال بمولد الرسول الأكرم شهرا قبل الليلة المباركة فتتم مراجعة القرآن، والبردة والهمزية عند لقاءات الذكر وفي ليلة المولد يدوم الاحتفال من صلاة الظهر حتى بعد صلاة العشاء، فيقرأ أتباع الطريقة سورة الفاتحة، ويس، والفتح ثم الملك، ثم يرجعون مرة أخرى لقراءة البردة وبعض من أبيات الهمزية والياقوتة، مع إكرام الفقراء والأحباب، فتوزع الحلوى والشاي ثم يوضع الطعام للحضور، وبعد صلاة العشاء يبقى الباب مفتوحا لمن أراد الذهاب أو البقاء، إذ هناك من يذكرون الله ويحتفلون بمولد المصطفى عليه الصلاة والسلام حتى صلاة الفجر.

الفرع الثالث: السماع والأمداح – الياقوتة – الحضرة – حزب الفلاح

قصيدة الياقوتة المباركة:

يفتتح المقدم أو نائبه بقوله:

– لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، بصيغة معينة، ثم يرد عليه باقي الفقراء بنفس الصيغة، ثم يكررها المقدم ثم يتم ردها عليه كذلك.

– وبعد ذلك يشرع المقدم في قراءة القصيدة، وغالبا ما يقرؤها بيتا بيتا ليرد عليه الفقراء بعد كل بيت، وفي بعض الأحيان يقرأ بيتين أو ثلاث قبل أن يرد عليه الحضور..

– والذي يبدو أكثر وقعا على القلوب وتأثيرا على النفوس، أن يتم تقسيم القصيدة إلى مقاطع

1 رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب رسول الله ﷺ من الإيمان، برقم: 15.

حسب المعاني، فحينما يكون البيت مستقل المعنى يكتفي بذكره لوحده، أما حينما لا يتم المعنى إلا بعد عدة أبيات فيتم تقسيمها بشكل معين، شريطة مراعاة بداية المعنى ونهايته.

وقد نظم – الياقوتة – مؤسس الطريقة سيدي **عبد القادر بن محمد** في 178 بيتا، وكان سبب نظمها هو الرد على الرسائل التي ألفها الفقيه **ابن أبي محلي الفيلالي – المقتول عام 1613م/ الموافق لـ: 1022هـ –** على يد جيوش الأمراء السعديين الشرفاء بسبب ادعائه للمهدوية وشق عصا الطاعة عليهم.

بين الشيخ ﵁ في هذا القصيدة تجربته في السلوك بداية وأطوار ونهاية، ثم بين للمريدين كيفية الوصول إلى الله ومعرفته، وبين بعض علوم القوم واصطلاحاتهم، ثم سنده في الطريق، ومن أهم شروح قصيدة الياقوتة – شرح سيدي **محمد بن معروف العامري البوشنافي** الإدريسي الذي مازال مخطوطا، منه نسخة بحوزة سيدي **حمزة** – شيخ الطريقة – وللقصيدة شروح وتعليقات لبعض الأساتذة المعاصرين كمقدمي الطريقة، الأستاذ **عبد الله طواهرية البوشيخي**، والأستاذ **أحمد بن عثمان حاكمي**، والأستاذ **أبو بكر بن المازوزي** آل سيدي الشيخ، وكلها مطبوعة، وقد وضع عليها تخميسا الفقيه الشيخ الخلادي حفظه الله، وتقرأ الياقوتة خاصة صباح كل جمعة في كل من الزاوية الشيخية المركزية بالأبيض سيدي الشيخ بالجزائر، وفي الزاوية البوعمامية الشيخية بعين مطهر بالمغرب[1].

كما تقرأ قصيدة الياقوتة في بعض زوايا الطريقة الأخرى، خاصة في المواسم الكثيرة التي تقيمها الزوايا التابعة للطريقة، كالمواسم التي تقام بالقطر الجزائري وعلى رأسها موسم (**الركب**) بالأبيض سيدي الشيخ ثم مواسم كل من عسلة، أم جرار، البنود، الرقاصة، عين السخونة، متليلي، واد الناموس، خلف الله، بريزينة، بن باديس، سيدي بلعباس، عين صالح، لمنيعة، توات، بني ونيف.. وغيرها، والمواسم التي تقام بالمغرب كموسم زاوية عين بني مطهر، والمهاية مكناس، وفجيج، وجرادة، والعيون الشرقية، وسيدي موسى، والفيضة، والسيبلية، والقعدة.. وغيرها، وكذا في الزوايا الشيخية بفرنسا ودول أوروبا[2].

1 الطريقة الشيخية الشاذلية السند والأذكار، مرجع سابق، ص 71/70/69.

2 المرجع السابق، ص 72/71.

الياقوتة[1]

بـدأت بحمـد الله قصـدا لـنجح مـا ... أروم مـن إسـتفتاح نظـم القصـيدة

وأهـدي صـلاة ثم أزكـى تحيـة ... علـى المجتبى الهـادي شـفيع البريـة

صـلاة وتسـليما كثـيرا مجـددا ... إحاطـة علـم الله في كـل لحظـة

وبعـد ففضـل الله يوتيـه مـن يشـاء ... بمحـض تفضـل ومـن ورحمـة

ومهمـا اجتبى عبـدا سـعيدا لقربـه ... تخـيره وذاك لـيس لعلـة

ويمنـع مـن يشـاء جـل بعدلـه ... ويحـرم فـيض الفضـل مـن غـير قلـة

ولمـا رأيـت القـوم جـدوا في سـيرهم ... إلى المقصـد الأسـنى بصـدق العزيمـة

جـرت للتأسـي نفسـي ثم تعلقـت ... بأذيـال أربـاب النفـوس الأبيـة

وحامـت علـى حمـاهم ثم خيمـت ... بقـربهم فـزاحمتهم لشـركة

ولمـا تفاوضـنا المشـورة بيننـا ... برمنـا عقـودا بالعهـود الوثيقـة

تبايعنـا بيـع البـت لـيس كبيـع مـن ... يـرى الـبخس ثم ينشـني بالإقالـة

فصـرنا وصـاروا حلـف صـدق وودنـا ... وداد النهـى ذوي الصـدور السـليمة

وبعـد تعاطينـا الموائـد نبتغـي ... فنون العلوم يا لها من عطية

فلمـا أديـرت الأبـاريق بيننـا ... مـن الشـوق تتلوهـا كـؤوس المحبـة

ونحـن نشـاوى نلتقـي شـرب خمرهـا ... بكلتـا اليـدين في الأواني المعـدة

وحـين انتهى بنـا الشـراب علـى الـذي ... قضـاه لنـا الرحمـان وفـق المشـيئة

سـكرنا وهمنـا بالشـراب فبينمـا ... أنـا بـين حـال غيبـة وإفاقـة

دعيـت هلـم فاسـتمعت نـداءه ... فلبيتـه إذن بحسـن الإجابـة

1 عمل المريد الشيخي في اليوم والليلة وشروط الطريقة، إعداد الزاوية البوعمامية الشيخية، عين بني مطهر، ولاية وجدة، المغرب، دط، 2014، ص 40/30.

وأدنـــاني منـــه إذ فهمـــت مـــراده ... وغـــاب مـــرادي كلـــه في الإرادة

وأشـــهدني عـــوالم الخلـــق كلهـــا ... وخـــيرني فاخترتـــه دون مريـــة

فلمـــا رأى رضـــائي لـــيس بدونـــه ... كســـاني رداء قربـــه والخلافـــة

فنيـت فلـم يغـن الفنـا عـن بقائنـا ... ولـيس البقـاء حاجبـا عـن فنايـة

ولا الفـرق أيضـا حاجـب لاجتماعنـا ... ولا الجمـع لي عـن ذاك جـاء بعكسـة

فغبـت عـن الأكـوان طـرا بأسـرها ... وشـاهدت ربنـا بعـين البصـيرة

ومنـذ عرفـت الحـق غبـت عـن السـوى ... ولم تطـب النفـوس إلا برؤيـة

ومهمـا نظـرت كائنـا مـا بعيـدما ... عرفتـه لم أعـره مـني بلمحـة

رقيـت فمـا الـذي يفـوق مقامنـا ... سـوى السـلف الأخيـار أهـل الولايـة

كـذا صـحب خـير الخلـق فـازوا برتبـة ... تقـاعس عنهـا الغـير مـن دون مريـة

وعاينـت مـا لـو عـاين الغـير جـزأه ... لـذاب وطـاش مالـه مـن قريحـة

وحملـت نفسـي مـا لـو معشـارها ... علـى عنـان الجبـال الراسـيات لـدكت

ولـولا فشـؤ السـر كفـر بعينـه ... لبحـت بـه ولكـن أولى التصـمت

ولكنـني أغضـي حيـاء واقتفـي ... سـبيل ذوي النهـى في صـون السـريرة

سـلكت طريقـا لم يطأهـا خلافنـا ... ولم يسـلكنها غيرنـا مـن خليقـة

سـوى سـلف لنـا قفونـا آثـارهم ... وهـم قـدوتي مـن الشـيوخ الأجلـة

ولـو شـئت قـول كـن لكـان الـذي ... أنـا أقـول ويجـري الأمـر وفـق الإرادة

ولكـن جلبـاب الحيـاء وتـأدبي ... مـع الله يحجبـان تلـك المقالـة

وردت بحـور الحـب فـازداد صـحوها ... وغبـت فـزاد الغيـب صـفوا لحضـرة

فلمـا عرفـت وصـفي وامتـاز وصـفه ... وأجلسـني ببـاب صـدق العبـودة

بـذلت لـه نفسـي بجـد وقـال لي ... رويـدك خـذ مقـام عـز ورفعـة

ففـــاض علـــي جـــوده متـــوافرا ومـــن ... وولاني لـــــــــــواء الولايـــــــــة

ومـــا مـــن مقـــام شـــئت فيـــه إقامـــة ... إلا وهواتـــــف النـــــداء بالحقيقـــة

تنـــادي هلـــم فـــاخلع النعـــل وادخلـــن ... لـــك الحكـــم أو بـــك المكـــارم حفـــت

حويـــت بكـــم وكـــم مراتـــب حزتهـــا ... ولا أنســـــت بغـــــيره دون همـــــة

فكـــــم آيـــــة رأيتهـــــا في إرتقائنـــــا ... ولم تغنـــني عـــن دونـــه كـــل آيـــة

حفظـــت علومـــا لم تســـعها سماؤهـــا ... ولم يبلـــغ إنتهـــاهى أهـــل الإشـــارة

فعمـــت وخصـــت في الأنـــام منارهـــا ... وفي حضـــرة الكمـــال هـــي مســـتمرة

ســـرى ســـريانا ســـرنا في الســـرائر ... ولم يـــــدركن بالأفهـــــام المعـــــدة

فلـــيس ســـوانا بعـــدنا بمعـــبر ... عـــن الحضـــرة العليـــا بـــأحلى عبـــارة

بعزتـــــه أقســـــمت ثم جلالـــــه ... لمـــا طـــاب وقـــت القـــوم إلا ببيعـــة

وأي وصـــول كـــان مـــن غـــير بابنـــا ... وأي دخـــــول منـــــه دون إشـــــارة

ومـــن يســـتغث بنـــا اضـــطرارا لغوثنـــا ... يغـــاث ولـــو بقعـــر بحـــر وظلمـــة

ومستنشـــد بـــإسمي لكشـــف ملمـــة ... ســـأدركه ولـــو ببعـــد المســـافة

فيـــا أهـــل عصـــرنا أجيبـــوا دعاءنـــا ... فـــإنني أدعـــو للهـــدى عـــن بصـــيرة

أحـــذركم بمـــا النـــبي قـــد أتـــى ... بـــه وأخـــبركم بمـــا أتـــى مـــن بشـــارة

ولســـت بمـــدعي الرســـالة غيرمـــا ... تحصـــل لي مـــن إثـــر علـــم وحكمـــة

فيـــا عجبـــا لعـــاطش بإزائـــه ... بحـــور وماؤهـــا شـــراب المـــودة

فـــدونك فاشـــرب وارتـــو مـــن بحورنـــا ... ففيهـــا شـــفاء مـــن الأهـــواء المضـــلة

وأي طبيـــب للقلـــوب مـــن العمـــى ... أطـــب مـــن الـــذكر القـــوي الإشـــارة

وأي معـــــد للـــــذنوب ومحوهـــــا ... أشـــد مـــن اســـم ذي الصـــفات الجليلـــة

ومـــا الحـــج والجهـــاد مـــن غـــير فرضـــنا ... بأفضـــل مـــن ذكـــر الأســـماء العظيمـــة

بـــل الـــذكر أقـــوى ثم أولى لا ســـيما ... إذا استشـعر القلـب النعـوت الحميـدة

بـــذا صـــدع المختـــار أعـــني نبينـــا ... وصـــح بنقـــل في الآثـــار الصـــحيحة

وأي ســـلوك كامـــل دون صـــحبة ... وأي اهتـــداء شـــامل دون منحـــة

وأي طريـــق راشـــد غـــير رشـــدنا ... وأي اهتمـــام الوقـــت مـــن غـــير همـــة

فصـــدق فـــإن الصـــدق أرفـــع رتبـــة ... لمـــن يبتغـــي الوصـــول فـــاحفظ مقالـــة

لقـــد شـــهد المـــولى بـــأني نصـــيحكم ... وأني علـــى نصـــح جـــدير بخـــبرة

فـــوا أســـفا لتـــارك حبـــل عهـــدنا ... عمـــي وصـــم وارتـــد بالقطيعـــة

ويـــا خيبـــة المشـــغول عنـــا بلهـــوة ... وأضـــحى بعيـــدنا ســـريع الندامـــة

ويـــا حســـرة الـــذين نـــاءوا ببعـــدنا ... إلى أن تجرعـــوا كـــؤوس المنيـــة

سيســـقطوا في أيـــدي الخوالـــف بعـــدنا ... لمـــا فرطـــوا في أخـــذهم للطريقـــة

ومـــا أقـــبح التســـويف عـــن قـــرب بابنـــا ... ومـــا أحســـن التشـــمير قبـــل الإفاتـــة

فـــأنى لبطـــال يظـــل مثبطـــا ... حليـــف الكـــرى غـــرا بطـــيء الإفاقـــة

ينـــال مقـــام القـــوم أو يـــدرك المـــنى ... ويفهـــم عـــنهم وهـــو صـــاحب ســـكرة

أم كيـــف رضـــاء الله يدركـــه الـــذي ... يســـاخط ربـــه ويرضـــي الخليقـــة

أم كيـــف لمغتـــاب الـــورى ذي نميمـــة ... يمـــوت شـــهيدا أو علـــى خـــير ملـــة

أم كيـــف لمســـرف الطعـــام وشـــربه ... يـــذوق مـــذاقا أو يفـــوز بشـــمة

كـــذا مـــن عـــرف بالفســـوق ونحوهـــا ... يجـــازى بفعلـــه القبـــيح ولعنـــة

فلـــم يمتثـــل أمـــرا ولم يجتنـــب نهيـــا ... ولم يـــذكر المـــولى خبيـــث الســـريرة

حـــريص علـــى دنيـــاه لاه مكثـــر ... منـــاع للخـــير معتـــد ذو عتلـــة

فكيـــف يكـــون للعلـــوم مناســـبا ... أخـــو الكســـل والتفـــريط في خـــير خلـــة

إذا مـــا امتطـــى القـــوم الـــدجى للتهجـــد ... وحـــازوا مقـــام قربـــه بالمزيـــة

بمقعد صدق فازوا والرتب العلى ... وأسمى فراديس الجنان الرفيعة

فأعلى مقام العارفين بربهم ... رضوان الإله ثم زائد نظرة

وذلك كله بفضل إلهنا ... ينال بمن لا بكد أو حيلة

وأما أسير ذنبه يوم حشره ... فهالك إن لم ينجينه برحمة

دعوت إلى باب الكريم عباده ... دعاء مأذون لم يزل عن بصيرة

وقد جاء ولتكن بمحكم ذكره ... إلى:" المفلحون." أين أهل الإجابة

فكن مقتد بنا وثق بكلامنا ... وجد في سيرنا تفز بالمودة

فإنني عبد القادر بن محمد ... سليل أبي الربيع نجل السماحة

ولا فخر غير أني عبد لقادر ... وأحمد تاج الرسل أقوى وسيلة

فبالاتباع نلنا مرتبة والعلى ... فبالله ما حدنا عن شرع وسنة

ومنذ عقلنا سدد الله سعينا ... ومازلنا مقتفين نهج الشريعة

ولا تسمعن قول عاد معاند ... حسود لفضل الله بادي التعنت

ومن ينسبن إلينا غير مقولنا ... يصبه بحول الله أكبر علة

ومو ت على خلاف دين محمد ... ويبتليه المولى بفقر وقلة

وبطش وشدة انتقام وذلة ... ويردعه ردعا سريع الإجابة

بلعن الإله باء من رام نسبنا ... عنادا إلى فعل نكير وبدعة

كذاك الذي يرمي كريم جنابنا ... وينسب قدرنا لأقبح سيرة

فكيف وبإسم الحق نهج طريقنا ... يعود إلى ضلال أهل الدناءة

بدايتها للغافلين بتوبة ... وأشراطها محصورة بالتثبت

ونصح لدين الله ثم رسوله ... وخاصته والمؤمنين بجملة

وتطييب لقمة وتعظيم حرمة ... وشكر لنعمة ورفع لهمة

قواعـــدها شـــوق وعـــين يقينهـــا ... محبـــة جـــد الســـير دأبـــا لحضـــرة

وكـــــف الأذى وحملـــــه وتصـــــبر ... ولا تهمـــل الرضـــى بـــأدنى المصـــيبة

وزهـــد وتســـليم وعفـــو وعفـــة ... وتفـــويض أمـــر والشـــهود لمنـــة

وجـــد قـــوي واجتهـــاد موافـــق ... وصـــوم وســـهر ثم صـــمت وعزلـــة

وحـــزن ودمـــع ســـاكب ثم لوعـــة ... وشـــغف قلـــوب الـــوالهين بزفـــرة

نهايتهـــا شـــم وذوق شـــرابها ... بـــه ري خمـــر ثم ســـكر بغيبـــة

وأمطارهـــا فكـــر وذكـــر وعـــبرة ... ومحـــو ذواتهـــم للـــذات العظيمـــة

ومـن بعـد غـيم جـاء صـحو سماءهـا ... بإشـراق شمـس بالمعـارف حفـت

فجـذب لـه عـزم انتهـى دون حاجـب ... إلى حضـــرة القـــدوس زج بســـرعة

وحـال لهـا حـوى الأصـول بأسـرها ... طريقـــة أســـلاف بيضـــاء نقيـــة

فهـــذي فصـــولها وشـــرط كمالهـــا ... منـــوط بعلـــم ثم حلـــم وحكمـــة

لهـا الجمـع جمـع الجمـع جمـع إتحادهـا ... أصـــول لهـــا شـــهود في كـــل لمحـــة

فأولهـــا ولي ثم نقيبهـــا نجيـــب ... كـــذا الأبـــدال فـــاقوا برتبـــة

عمـــادهم الأخيـــار أوتـــادهم حبـــوا ... بخاصـية المـولى هـم أهـل الخصاصـة

وغـوث اسـتغاث ثم جـرس علومهـا ... وقطـــب لـــه أعلـــى مقـــام الولايـــة

فشـيخ الشـيوخ ذاك شـيخ زماننـا ... إليـه انتهـت فنـون هـذي الطريقـة

فمـن شـيخنا عـن شـيخه عـن شـيوخه ... تسلســـلت الأشـــياخ أهـــل الولايـــة

كـذا نسـبة الأبـرار مـع صـفوة المـلا ... لهـــا شـــرف ينمـــى لعـــز ورفعـــة

فمـــن قـــدوة عـــلا إلى نخبـــة سمـــا ... ومـــن صـــفوة رقـــى لأسمـــى الخلاصـــة

وتلكـــم مـــن بحـــر النبـــوءة أنشـــئت ... ومنـــه اســـتمدت الفحـــول الدرايـــة

عليـك بهـم في كـل شـأن تشـاؤه ... توســـل بهـــم تنـــل ســـريع الإجابـــة

فخـذهم بـنظم واحـدا بعـد واحـد ... علـيهم مـن الإلـه أزكـى تحيـة
فـأولهم في الـذكر شمـس وجودنـا ... وقطـب النهـى علومنـا اللدنيـة
إليـه انتهـت رئاسـة القـوم فـارتقى ... علـى صـهوات المجـد مـن غـير مريـة
أبـو عبيـد الإلـه يسـمى محمـدا ... إلى عبيـد الرحمـان يعـزى في نسـبة
عليـه سـلام الله مـا ذر شـارق ... ومـا حـن طـير باللغـات الحنينـة
فعنـه أخـذنا أعـني عـن قمـر الـدجى ... ورثنـا طريـق القـوم دون اسـترابة
فبالراشـدي اقتـدى عـن الـزروق اهتـدى ... عـن الحضـرمي ثم شـيخ القرافـة
عـن ابـن عطـاء الله بحـر علومنـا ... عـن المرتضـى المرسـي أحمـد حلـة
معـارف منـه للـورى ومواهـب ... فحـاز بهـا مجـد العـلا والجلالـة
إلى الشـاذلي السـامي أبي الحسـن الـذي ... بحـوز الكمـال أضـحى بحـر الحقيقـة
عـن ابـن مشـيش قطـب دائـرة العلـى ... عبيـد السـلام ذي العلـوم الرفيعـة
عـن المـدني المرضـي غـوث زمانـه ... أبي يزيـد النحريـر تـاج الأحبـة
عـن الشـيخ شـيخه مريـد شـعيبهم ... أبي أحمـد السـني بـدر السـعادة
عـن السـيد الـذي أقـر بفضـله ... أئمـة مـن مضـى مـن أهـل الولايـة
ومـع ذاك أن الله أشـهر ذكـره ... كشـهرة هـذي الشـمس مـن كـل بلـدة
أخـي لـذ بـه وأصـغ سمعـا لإسمـه ... أبي مـدين إمـام هـذي الطريقـة
لقـد أخـذ الأسـرار عـن قطـب غربنـا ... الإمـام أبي يعـزى نـور البصـيرة
عـن السـيد الأسـنى الهمـام الـذي سمـا ... أبي الحسـن إبـن حـرزهم ذي الإغاثـة
عـن الشـيخ فخـر الـدين ناهيـك فخـره ... أبي بكـرهم يحـي سـراج الأئمـة
عـن الشـيخ شـيخ الكـل سـر هـداتهم ... إمـام كفـيض البحـر علمـا وحكمـة
بـه يسـتغيث الكـل شـرقا ومغربـا ... أبي حامـد الغـزالي عـين العنايـة

عـــن الســـيد أبي المعـــالي لأنـــه ... إمـــام ينتهـــي إليـــه في الفراســـة
عن الشيخ شمس الدين ذي النصح للورى ... أبي طالـــب المكـــي نـــور الولايـــة
عـــن الســـيد المرضـــي في كـــل ســـيرة ... الإمـــام الجريـــري ذي النهـــى والنهايـــة
عـــن الشـــيخ تـــاج العـــارفين رئيســـهم ... أبي القاســـم الجنيـــد روح المجـــادة
عن الشيخ سري السقطي نجل مغلس ... عـــن المعـــروف الكرخـــي نجـــم الدلالـــة
إلى داود الطـــائي الـــذي فـــاض علمـــه ... عـــن العجمـــي حبيـــبهم ذي الإنابـــة
إلى الحســـن البصـــري الـــذي فـــاق نـــوره ... نجـــوم الـــدجى ونـــور كـــل منـــيرة
إلى ســـيف ربنـــا المهنـــد للعـــدا ... وبـــاب مدينـــة العلـــوم الجليلـــة
أبي الحســـن علـــي صـــهر نبينـــا ... عليـــه رضـــاء الله في كـــل لمحـــة
إلى تـــاج مـــن وافى القيامـــة جملـــة ... ونـــوره عـــين الكـــون مـــن غـــير مريـــة
محمـــد الهـــادي إلى النـــاس رحمـــة ... ومعـــدن أســـرار وعنصـــر نعمـــة
عليـــه صـــلاة الله ثم ســـلامه ... بـــدال دوام الملـــك في كـــل لحظـــة
فعـن جبريـل الأمـين عـن إسـرافيل قـد ... تلقاهـا مـن اللـوح محفـوظ الأمانـة
عـــن القلـــم المـــأمور بـــالخط الـــذي ... قـــد كـــان ومـــا يكـــون مـــن كـــل ذرة
وكـــل بـــأمر ربنـــا وقضـــائه ... فســـلم وصـــدق وأحكمـــن بصـــحة
وإيـــاك والتعنيـــت والحســـد الـــذي ... ينـــافي الكمـــال عـــن صـــميم العقيـــدة
فـــإن مواهـــب الكـــريم تعاظمـــت ... لـــدينا مـــن غـــير حـــول منـــا وقـــوة
وإن قلـــت مـــا الـــذي أنالـــك فضـــله ... ففضـــل الإلـــه لا ينـــال بحيلـــة
علـــى أني للتقصـــير والعجـــز حيثمـــا ... حللـــت ملازمـــا وفي كـــل حالـــة
ولســـت بـــذي نحـــو ولا عـــروض لمـــا ... يرومـــه مـــن قريضـــنا ذو الدرايـــة
فعـــذرا لمـــن رام إنتقـــاد ظاهرنـــا ... فلـــم نعـــد عـــن أوصـــافنا البشـــرية

ومـــن رأى مـــن عيوبنـــا فليـــداركها بحلـــم وليصـــلحنها بعـــد التثبـــت

ولـــولا الكـــريم جـــاد منـــا بفضـــله لمـــا فـــاه منـــا ذي العلـــوم بقولـــة

ولكـــن ســـتر مـــن مســـاوئنا جملـــة وأظهـــر مـــا بـــه النفـــوس إطمأنـــت

لـــه الحمـــد أولا وآخـــرا بمثـــل مـــا لـه الشكر على ما أسدى من فضيلة

قد انتهى بنا القول نظما في كل ما نحـاول مـن تحصـيل جمـع القصـيدة

وسميتهـــا اليـــاقوت رفعـــا لقـــدر مـــا تسلسـل فيهـا مـن أشـياخ عديـدة

معرفـــــة لشـــــأنهم وطـــــريقهم وأسمـــائهم ذوي الأحـــوال الشـــريفة

علـيهم رضـاء رب العـرش بمـلء مـا أحـــاط بـــه علمـــا وأزكـــى تحيـــة

وأهـــدي الصـــلاة والســـلام مســـرمدا علـــى كـــل رســـل الله أهـــل النبـــوءة

وأضـــعافها علـــى النـــبي محمـــد إمـــام الرســـل المجتـــبى بالوســـيلة

هـــو النـــبي المبعـــوث للخلـــق كلهـــم وحامـــل لـــواء كامـــل الشـــفاعة

وآلـــه والأصـــحاب ثم جميـــع مـــن قفـــا نهجـــه القـــويم في كـــل وجهـــة

صـــلاة تمـــلأ الملـــك عـــدد وزنـــه كـذاك مـا فـوق الفـوق وأسـفل ظلمـة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قصيدة الحضرة[1]

وهي من الأوراد الشتائية في الطريقة الشيخية، وقبل الشروع في الحضرة لابد من مفاتيح وأذكار قبلها نوردها كاملة:

-يؤتى بسورة الملك وسورة الكوثر.

-الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، إن ربنا لغفور شكور.

-إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

-اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما **(ثلاث مرات)**.

-لا إله إلا الله (**100 مرة**) دون تقسيم الجماعة وفي الختام سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

وبعد ذلك يشرع في الحضرة على الشكل التالي:

الله الله الله (4 مرات) **الله الله الله** (4 مرات) مرتين، وبين كل بيتين يردد 12 مرة لفظ اسم الجلالة **"الله"**

"للإشارة إنه حينما يؤتى بالحضرة فإنه يتم تأخير الصلاة الكمالية والدور إلى نهاية الحضرة والدعاء ".

يا الله خلخل قلبي، في هوى ذكرك لهواك قلت يا ربي، بالمرصاد لقاء

خلقتني لا أعرف، عبيدا لك ضعيف ألطف بنا يالطيف، بالرضا يوم لقاك

أوقفتني للحساب، ولا أعرف الجواب يا الله ويا وهاب، اجعل مأوانا رضاك

اذكروا يا عابدين، ذكر حضرة العشاق هي وهب الفاكرين، تضوي القلوب بالإشراق

راه وقتها مشروع، بعد فرض مولاك قبل سراج الطلوع، عالج بها هواك

ثم بعد الغروب، كن في ذكرها مرغوب تأتيك من الغيوب، مواهبها تضوى

سندها معقول، عن الحضرمي منقول استمدها الفحول، عن الحبيب تروى

أهل السلوك ملوك، فرسان في الحضرة يصبغوك بغير الكوك، من شافهم يبرى

1 المصدر السابق، ص 42/41.

بسر حضرتهم يأتوك، والعاشق فيهم يضوى بنور همتهم يسقوك، مجمع هيكلهم يروى

بدايتها بروق، في أعماق القلب تجلى نهايتها شروق، في علم الغيب تضوى

التسليم ليك رضا، والأدب فيها يوالي أشغل بها هواك، تصفى بها حوالك

يا رب طلبتك، بأحمد الحبيب بجاهه قصدتك، تغفر لنا يا مجيب

محمدنا الرسول، جاء بالحق بشير وبالوعد يقول، راه بالوعيد ندير

محمدنا الشفيع، جاء بالحق بشير وبالوعد يقول، راه بالوعيد ندير

صلى عليه الإله، بسلام كثير ما احتوي علم الله، بجلال كثير يسير

هو فضل الإله، من نوره يقدح رحمة لمن سواه، به الجنان يفتح

يا الله وصفك عالي، يا الله بلا إدراك يا لله زين حالي، يا لله بلا اهتاك

تعاليت يا تعالى، تنزهت بالتقديس واحد في الأزل، لا إنس ولا أنيس

يا الله يا ذا الجلال، والجمال والكمال تحيرت العقول، في كنهك ولا مثال

يا الله أنت ربي، إلهي مالي غيرك يا الله نور قلبي، إلهي برحمتك

وجهت لك قلبي، شوقا لك يا جواد اسقنا من بطون الغيب، ووفقنا للمراد

يا الله اغفر ذنبي، يا الله يوم حشرك يا الله استر عيبي، إلهي بحرمتك

انظر فينا نظرة، يا لطيف بالعباد جدد لنا الحضرة، واسقنا كأس الوداد

يا الله طب المعلول، يا الله بجاه الرسول يا الله واشف المعلول، يا الله وف ذا القول

وفي الختام يتم تكرار اسم الجلالة بالتناوب (**50 مرة**) في كل مرة يكرر الاسم **"الله الله الله"** وفي ختامها يقول سيدنا محمد رسول الله .ﷺ

ثم الدعاء الآتي:

يا الله ويا دائم يا الحي يا باقي لا تجعل فينا محروم و لا شاقي (**9 مرات**).

بالتناوب يقول أحد الفريقين الجزء الأول ثم الفريق الثاني ختام الدعاء وفي العاشرة:

(يا الله أنت الدائم يا الحي أنت الباقي لا تجعل فينا ولا في أمة سيدنا محمد لا محروم ولا شاقي يا الله. اللهم اجعلنا في الدنيا مهتدين، ومن الحرام محفوظين، وعلى الطاعة واقفين، وفي الآخرة مرحومين، وعند السؤال ثابتين، وفي الميزان راجحين، ومن الحوض واردين، وفي الفردوس نازلين، وفي وجه الله ناضرين، ومن الحلال مرزوقين، ومن المعاصي هاربين، وبالشهادة ناطقين، وفي القبر مؤنسين، وفي الحشر آمنين، وعلى الصراط جائزين، وفي الجنة خالدين، وفي عليين ساكنين، برحمتك يا أرحم الراحمين) **ثلاث مرات**.

حزب الفلاح[1]:

وهو ذكر عام مطلق يعطى للراغبين الجدد سواء كانوا عزابا أم متزوجين، وهو:

أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَيْطَانِ الرَجِيمِ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمَا:

- تَوَكَّلْتُ عَلَى الحَيِّ الذِي لا يَمُوتُ (**مرتان**).
- تَوَكَّلْنَا عَلَى الحَيِّ الذِي لا يَمُوتُ.
- وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا.
- الحَمْدُ للهِ الذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ
- جَزَى اللهُ عَنَّا سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلَ مَا هُوَ أَهْلُهُ (**3 مرات**).
- رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَكَ أَنْتَ الوَهَّابْ (**3مرات**).
- أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (**3 مرات**).
- بِسْمِ اللهِ الذِي لاَ يَضُرُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (**3 مرات**).
- سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَةَ إلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ (**3 مرات**).
- أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمِ الذِي لاَ إِلَهَ إلاَ هُوَ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ جَمِيعِ جُرْمِي وَظُلْمِي وَمَا جَنَيْتُهُ عَلَى نَفْسِي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ (**مرتان**).
- أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمِ الذِي لاَ إِلَهَ إلاَ هُوَ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ جَمِيعِ جُرْمِي وَظُلْمِي

1 المرجع السابق، ص38/ 39/40/41/42

وَمَا شَهِدْتُهُ عَلَى نَفْسِي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

-فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ، يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلاَمٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

-لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ (**9 مرات**).

-لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ شَفِيعُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ.

-ثَبِّتْنَا يَا اللهُ بِقَوْلِهَا وَارْحَمْنَا يَا مَوْلاَنَا بِذِكْرِهَا وَاجْعَلْنَا مِنَ أَخْيَرِ أَهْلِهَا وَاحْشُرْنَا مَعَ الطَّاهِرِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ.

-ثَبِّتْنَا يَا اللهُ بِقَوْلِهَا وَارْحَمْنَا يَا مَوْلاَنَا بِذِكْرِهَا وَاجْعَلْنَا مِنَ أَخْيَرِ أَهْلِهَا وَاحْشُرْنَا مَعَ الصَّادِقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ.

-ثَبِّتْنَا يَا اللهُ بِقَوْلِهَا وَارْحَمْنَا يَا مَوْلاَنَا بِذِكْرِهَا وَاجْعَلْنَا مِنَ أَخْيَرِ أَهْلِهَا وَاحْشُرْنَا مَعَ الشَّافِعِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ.

-أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ عَمْدًا وَخَطَئًا سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنَ الذَّنْبِ الذِي نَعْلَمُ وَمِنَ الذِي لا نَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَمُ الغُيُوبِ غَفَّارُ الذُّنُوبِ سَتَّارُ العُيُوبِ كَاشِفُ الكُرُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

-اللَّهُمَ اغْفِرْ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَ ارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَ اسْتُرْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَ أَجِرْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

-أَعْدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ لا إِلَهَ إلا اللهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ الحَمْدُ للهِ، وَلِكُلِّ رَخَاءٍ الشُّكْرُ للهِ، وَلِكُلِّ أَعْجُوبَةٍ سُبْحَانَ اللهِ، وَلِكُلِّ ضَيْقٍ حَسْبِيَّ اللهُ، وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ مَا شَاءَ اللهُ، وَلِكُلِّ قَضَاءٍ وَقَدَرٍ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلِكُلِّ مُصِيبَةٍ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلِكُلِّ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ وَلِكُلِّ بَلاءٍ وَشِدَةٍ اسْتَعَنْتُ بِاللهِ اسْتَعَنْتُ بِاللهِ اسْتَغَثْنَا بِاللهِ وَصَلَى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمَا، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

-إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَا أَيُّهَا الذِينَ أَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا.

-اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ كَمَا لا نِهَايَةَ لِكَمَالِكَ وَعَدَّ كَمَالِهِ (**24 مرة**).

-اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى المصْطَفَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ كَمَا لا نِهَايَةَ لِكَمَالِكَ وَعَدَّ كَمَالِهِ.

-اللَّهُمَ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى المجْتَبَى، سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ هِلالُ الرَّجَاءِ، شَفِيعُنَا وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ سَفِينَةُ النَّجَاةِ، صَلاةً تَكُونُ لَنَا فَرَجًا، وَتَفْتَحُ لَنَا أَبْوَابَ النَّجَاةِ، فَتْحًا قَرِيبًا مُنْفَرِجًا (**3 مرات**).

-اللَّهُمَ شَفِّعْهُ فِينَا بِجَاهِهِ عِنْدَكَ(**مرتان**) اللَّهُمَ حَنِّنْهُ فِينَا بِجَاهِهِ عِنْدَكَ يَا اللهُ.

-سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المرْسَلِينَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

الكلمة الطيبة:

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله لا إله إلا الله، لا إله إلا الله

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله لا إله إلا الله، لا إله إلا الله

لا إله إلا الله، محمد رسول الله لا إله إلا الله، محمد رسول الله

يتم تكرارها بالسبحة، ويسير الدور سيدي الشيخ أو المقدم، ويكون ذلك جماعة وجهرا، ويقسم المريدون إلى قسمين وتكون القراءة بصيغة معينة لدى المريدين (**17 مرة**).

ويختم الحزب بالقول: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا نبي الله، ألف صلاة وألف سلام عليك وصلى الله وسلم عليك وعلى آلك وأصحابك يا سيدي يا من خيرك الله، " **اللهم شفعه فينا بجاهه عندك يا الله**" (**3 مرات**).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

خلاصة الفصل:

في هذا الفصل الذي عنوناه بـ: " الطريقة الشيخية بفرنسا الخطاب والامتداد " تناولنا الشيخية الشاذلية بفرنسا، انطلاقا من تاريخ وجودها، ثم تطرقنا إلى خطاب هذه الطريقة وامتداداته، وفي آخر هذا الفصل الرابع نخلص إلى النقاط الآتية:

1/ تعتبر الطريقة الشيخية بفرنسا طريقة حديثة الوجود، فعلاقتها بفرنسا بشكل منظم تعود إلى سنة 2004 بالتحديد، حيث عرفت الطريقة تنظيما وبرنامجا تسير عليه، موافق لما تسير عليه الزوايا الشيخية في كل من الجزائر والمغرب.

2/ توصلنا من خلال البحث إلى أن الطريقة الشيخية كانت موجودة في فرنسا، من بداية القرن العشرين، لكن وجودها غير منتظم، إذ حظيت الطرق الصوفية والزوايا في المغرب العربي باهتمام كبير من طرف الحكومة الفرنسية – الاستعمارية – وطلك بغرض فهم طبيعة التدين السائد لتسخير بعض هذه الطرق لتسهيل عملية الاحتلال لهذه الأقطار المهمة.

3/ عرفت الفترة المعاصرة حضورا قويا وتطورا ملحوظا للحضور الصوفي في أوروبا عموما وفرنسا على وجه الخصوص، وغالب الطرق الموجودة في أوروبا اليوم تتفرع عن الطرق الكبرى في العالم الإسلامي، من قبيل الشاذلية والنقشبندية والقادرية والتيجانية، وطريقتنا محل الدراسة قد جمعت بين أصلين هما الشاذلية والقادرية بالإضافة للعلاقة العلمية التي كانت تربط الشيخ الثاني مع الشيخ **أحمد التيجاني**.

4/ إن التصوف هو الوجه الصحيح للإسلام الناعم، هذا الأخير الذي وجد قابلية مجتمعية عجيبة في البيئة الفرنسية، كما نسجل في السياق نفسه مساهمة الحكومة الفرنسية في إيجاد هذا النوع من التدين، بل تذهب إلى حد التمكين له ودعمه ماديا في غالب الأحيان.

5/ أهمية الدور الذي يقوم به الشيخ الحالي للطريقة الشيخ **حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة** في ترسيخ مبادئ الطريقة الشيخية بزواياها بفرنسا، في مختلف المدن كباريس ونونت وغايين ومرسيليا وبوردو وليون.. كما يعود له الفضل في توسع الطريقة خارج فرنسا كبلجيكا وألمانيا وهولندا وأسبانيا.. وتكمن أهمية الدور الذي يلعبه الشيخ **حمزة** بالإضافة إلى الجانب التنظيمي، في الإلهام الروحي الذي يمد به أتباع الطريقة في فرنسا على غرار باقي الأتباع.

6/ يعتبر مسجد باريس الكبير ومعهده معهد **الإمام الغزالي** لتكوين الأئمة من أهم المؤسسات

الرسمية التي تحظى الطريقة الشيخية لديها بالترحاب، وذلك أن طريقتنا محل الدراسة قد أثبتت وجودها في هذا المسجد، وبما أن الدور الذي يرمي إليه المسجد ينطلق أساسا من التصوف، فإن الشيخية لا تزال تلعب هذا الدور في محيط هذا المسجد من خلال حضور مقدميها، خصوصا في المناسبات الدينية التي لا تمر دون تعظيم واحتفال وذكرى من هيئة تسيير شؤون المسجد.

7/ تعتبر زاوية باريس القريبة من المسجد الكبير بمثابة الزاوية الأم بالنسبة لباقي الزوايا في التراب الفرنسي، وتكمن أهميتها في أن تعاليم الطريقة تؤخذ من الزاوية الكبرى بباريس، بالإضافة إلى الأهمية الروحية التي يضفيها عليها وجود كل من منسق الطريقة في عموم أوروبا الدكتور جلول صديقي، وهو نفسه مدير معهد باريس الإمام الغزالي لتكوين الأئمة، وكذا وجود نائبه الأستاذ الشيخ بوعمامة – نجل الشيخ الحالي – ووجود مقدم الطريقة في عموم فرنسا الأستاذ مصطفى حاكمي، ولعل وجود هذه الشخصيات المهمة في زاوية واحدة يعطي دفعا للزاوية دون شك.

8/ تعتمد الطريقة في إثراء خطابها الصوفي في فرنسا على أتباعها من الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام، بل وتسمح لهم المشيخة العامة بأن يكون منهم المقدمون في زوايا الطريقة، كما هو الحال مع الشيخ عبد الله جيغيمي، وهو فرنسي اعتنق الإسلام على يدي أتباع الطريقة، وهو المشرف الآن على زاوية سانتيتيان، والشيخ محمد محب، وهو فرنسي الأصل أيضا اعتنق هو الآخر الإسلام على يدي مقدمي الطريقة.

9/ يهدف الخطاب الصوفي الشيخي في فرنسا إلى تمثيل الإسلام أحسن تمثيل، والدعوة إليه بالحكمة وباللين، كما دأب على ذلك شيوخ الطريقة الشيخية منذ بدايات التأسيس، وهذا الهدف الذي تسعى إليه الزاوية الشيخية الفرنسية مستمد من تعاليم الشيخ الحالي المربي حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة.

10/ إن الخطاب الصوفي للطريقة ليس خطابا عشوائيا بل هو يقوم على برنامج متكامل تعتمد فيه الزاوية الشيخية نظاما محددا في الاشتغال بتحفيظ القرآن الكريم، باعتباره الأساس السامي لكل روافد الفكر الإسلامي، وقد تمت مراعاة أحوال المخاطبين في وضع هذا البرامج المتكامل.

11/ تعتمد الطريقة في فرنسا في خطابه الفقهي على المذهب المالكي أساسا، وذلك من خلال متن ابن عاشر، ويعود اهتمام شيوخ الطريقة بالفقه إذ أن القائم على التربية لا يمكنه أن ينفك عن فقه الحلال والحرام الذي يجسد لنا الشريعة الإسلامية في أسمى تنظيمها وتحليلها، ويعتبر اختيار متن ابن عاشر مدروسا لأنه متن ملخص للأحكام الأساسية الضرورية من علوم الدين، كما أنه قسم تقسيما موضوعيا دقيقا، على نحو ثلاثي وهو: التوحيد، الفقه، التصوف، وفي العقيدة تعتمد الزاوية في خطابها

العقدي الأشعرية، عقيدة أهل السنة الأصلية الثابتة، وذلك من خلال تدريس العقيدة الطحاوية، وجوهرة التوحيد بشرح البيجوري، كما تركز الطريقة على كتب الشمائل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ككتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وكتب النبهاني في السيرة المحمدية.

12/ أهمية السماع في الطريقة الشيخية، وثراء الموروث الشيخي في المديح والذكر والأوراد، وتحوز الأهمية الكبرى في هذا السياق منظومة الشيخ المؤسس سيدي الشيخ، المعروفة في التراث الصوفي بالياقوتة، وهي الحجر الكريم، كما يعبر عنها في الطريقة، ولا توجد زاوية من الزوايا الشيخية في العالم إلا وتجعل من الياقوتة رأس سنام المديح والسماع، وذلك للأسرار والكنوز العظيمة المحشوة فيها، وللمعاني الصوفية العميقة التي حوتها، بالإضافة إلى الحضرة وحزب الفلاح، ثم تأتي قصائد الشيخ ابن الدين وغيرها من قصائد أوائل شيوخ الطريقة، ولا ننسى قصائد مجدد الطريقة الشيخ المجاهد بوعمامة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خـاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن ما قدمناه من تجليات للخطاب الصوفي للطريقة الشيخية في فرنسا يعتبر حتى اللحظة قليلا جدا، وهو ما يدخل في سياق الخطابات الإسلامية، ومن ذلك كل الخطابات الصوفية الموجودة بفرنسا اليوم، والتي وإن لم تكن وليدة البيئة إلا أنها استطاعت أن تتأقلم مع البيئة والثقافة الفرنسية فتزيت بأزيائها، حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من رافدها التاريخي والثقافي.

وفي ختام هذا البحث وبعد أن تجولنا في ثنايا فصوله ومباحثه، واطلعنا على الثقافة الصوفية في منظومة الإسلام الفرنسي، وتبين لنا أهمية الخطاب الصوفي الشيخي في فرنسا، وبعد أن أدركنا حقيقة الواقع الذي يعيشه المتصوفة هناك، أو بالأحرى المواطن المسلم في فرنسا، باعتباره قد اكتسب صفة المواطنة على خلاف الأجيال التي سبقته إلى عالم الغرب، وبعد أن عرفنا أن المتصوف في هذا الجزء من العالم يؤثر كما يتأثر هو الآخر، فلا غرابة أن يصبح التصوف في بلاد الحضارة المعاصرة رافدا من أهم روافدها.

ومن خلال ما توصلنا إليه من جوانب التأثير في كثير من الأحيان على غير المسلمين في فرنسا، وهو أمر جعل للصوفية وخطاباتهم تمكينا يدعهم بالأساس يتواصلون مع الآخرين المخالفين لهم تواصلا فعالا يخدم بالأساس مصلحة الإنسان، ويجعلهم يتحدون أي المتصوفة مع إخوانهم في العالم أجمع، للتحقق بإنسانية الإنسان تحت مظلة التثاقف والحوار البناء، لبناء مشترك إنساني، مشترك متين لا يمكن للعصبيات ولا للنعرات ولا حتى للصراع المزعوم بين الأديان أن يهدده البتة.

كما بينا أن الخطاب الصوفي الشيخي المعاصر لا يمكنه إقامة هذا البناء وتسويته، إلا إذا أسند أمره إلى القيم الإنسانية المشتركة التي يستمد التصوف منها قوته في التواصل والعطاء والامتداد، وهاته الأخيرة – أي القيم الإنسانية – كفيلة بعولمة الإنسانية وإشاعة روح الحرية عن طريق إشعار الفرد أنه يشترك مع الآخرين في الإنسانية الجامعة، ومن خلالها يستطيع الإنسان الفرد أن يواجه كل التشويهات، والمغالطات التي يتعرض لها في بلاد الغرب عموما، وفي فرنسا خصوصا مع ما تمر به من أزمات باعثها الأساس التطرف والإرهاب، وما تعيشه فرنسا اليوم إنما هو نتيجة حتمية على السياسة المنتهجة، والتي نجدها في فترة من الفترات تحابي جهة دون أخرى، وهو ما جعل التصوف يتوارى عن المشهد التربوي والمجتمعي الفرنسي مدة طويلة – نماما كما هو الحال في بلاد المسلمين –، لذا فإن الخطاب الصوفي الشيخي استطاع على الرغم من كل المعوقات، أن يوجد له مكانا ومؤسسات تشع بنور رحمة شيوخ هذه الطريقة، وذلك بمواجهة عديد الخطابات المناهضة، مواجهة يكون عمادها الروية والحكمة، إذ يضمن خطاب الطريقة الشيخية لكل إنسان العيش الكريم في بيئة تسودها العدالة الاجتماعية، تكون

الفنون فيها قيمة من قيم الإنسان العليا، فتصبح قيمة الإنسان حينها فوق كل القيم، وخطاب التصوف هو أسمى الخطابات.

أما عن أهم النتائج التي توصلنا إليها فيمكن إيرادها فيما يلي:

1/ إن كلمة (صوفي) قد أخذت من الجدل حول أصلها واشتقاقها حيزا مهما في جانب البحث الصوفي، بالإضافة إلى الجدل الذي مس التعريفات الاصطلاحية للتصوف، وهو ما نلحظه جليا في كتب الدارسين من مفكري الإسلام في القديم والحديث، وكذا في مؤلفات المستشرقين الذين اهتموا بالتراث الصوفي الإسلامي، مع ما أثارته هذه الدراسات من جدل واسع.

2/ من خلال كل ما تقدم من أقوال في أصل كلمة (صوفي) في اللغة العربية فإننا نحكم بأن الأغلبية من الدارسين للتصوف، من العرب، ومن الغربيين، المهتمين والمتخصصين في دراسة التصوف، يجمعون على أن الأصل في الكلمة إنما هو الاشتقاق اللغوي من الصوف، وهو الأصح من بين الأقوال وإن لم يسعف القياس اللغوي فإن حال أصحاب التصوف وسلوكهم مسعف لهذا القول فالزهاد عمدوا إلى تجنب زخرف الدنيا بكل مظاهره انطلاقا من العدول عن لين اللباس والثياب.

3/ إن استعمال كلمة (صوفي) ليس اسما، بل هو لقب – مع أن الأصل في الكلمة الاشتقاق – عرفت به هذه الطائفة، على الرغم من أن هذه الطائفة قد عرفت بلبس الخرق الصوفية البيضاء وتميزها بها، فاستعمال لفظة صوفي استعمال قديم، وهي لا تحتوي من اشتقاقها أيا من المعاني التي تجعل أصحابها يتميزون عقديا عن غيرهم من الفرق الإسلامية.

4/ إن المرحلة الأولى من مراحل تطور التصوف قد عرفت بالزهد كما عرفت بعظماء الزهد في التراث الإسلامي، إذ لا نكاد نجد مصدرا من المصادر التاريخية في الفكر الصوفي الإسلامي إلا وقد روى لنا الكثير من القصص التي تحكي سيرة كبار الزهاد، وبهذا تعتبر هذه المرحلة مرحلة التصوف العملي بامتياز دون سواها من المراحل، رغم أن هذه المرحلة عرفت بعض المظاهر الجديدة التي لم تكن موجودة في عصر الصحابة، كالأنماط الخاصة للحياة التي بدأت تظهر خاصة في الكوفة والبصرة.

5/ تمتاز المرحلة الثانية من مراحل التصوف بظهور بناء فلسفي روحي متكامل، وذلك على أيدي أعظم رجالات السلوك في تاريخ الإسلام، ومن أهم العلماء الذين طبعوا هذه المرحلة نجد حجة الإسلام **أبو حامد الغزالي** بالإضافة للجنيد والسهروردي والحارث المحاسبي، وفي هذا الطور تم وضع قواعد التصوف الإسلامي السني وتمييزه التصوف الفلسفي الذي عرف في هذه المرحلة.

6/ إن أطول مرحلة مر بها التصوف الإسلامي هي المرحلة الرابعة وهي التي تبدأ من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحديث، وهي المرحلة التي مس التصوف فيها التدهور والخرافة والخزعبلات، في حين نجد المرحلة الثالثة السابقة لها أقل زمنا إلا أنها مرحلة إبداع حقيقي، ففيها اكتمل تشكل كبرى الطرق الصوفية في العالم الإسلامي.

7/ تعتبر المرحلة المعاصرة للتصوف مرحلة مصاحبة لحركة التحرر التي مست العالم الإسلامي، وقد شهدت هذه المرحلة ولادة مفكرين جدد حاولا بعث التفكير الصوفي، هذا التفكير الذي يشهد انتكاسة طال زمنها، وهذه الصحوة الصوفية ساهمت في تصحيح الصورة حول التصوف في أذهان الكثير من الباحثين في الفكر الإسلامي والصوفي على وجه الخصوص، وعلى الرغم من أن الحركة الصوفية الحديثة قد صاحبت أشكال التحرر التي مست عالمنا الإسلامي، إلا أن الحالة الثقافية الصوفية في الجزائر قد شهدت انتكاسة عظمى إذ تم القضاء على أغلب التراث الصوفي فيها، ولعل هذا بسبب عدم الفهم الذي مس الطبقة المثقفة سواء الإصلاحية – جمعية العلماء – منها أم المحافظة – الزوايا – إذ نلحظ أن الصحف التي كانت تصدر حين ذاك، من لدن المدرستين، لم تكن تحمل شيئا من الثقافة أو الفكر، بقدر ما كانت تعج به من اتهام للطرف الآخر، أو دفاع عن المنهج.

8/ إن الباحث المتجرد يقر بأن الغرب يشجع ويسعى للتمكين للتيار الصوفي في العالم الإسلامي وفي غيره من أماكن وجود الإسلام والأقليات المسلمة، ولا يعني ذلك أبدا عمالة هذا التيار أو تبعيته للغرب وتوجيه هذا الأخير له، بل بالعكس يعد هذا مكسبا لهذا التيار الذي يثبت يوما بعد يوم بأنه الأصلح على الإطلاق لحمل راية الإسلام في العالم أجمع وما ذلك إلا لأن دعاته ليس لهم من هدف سوى هداية الناس إلى الخير وليس لهم في أبجدياتهم أي ميل للسيف كما هو في كثير من الأدبيات الحركية الإسلامية.

9/ إن التشجيع الذي يتلقاه التصوف والطرق الصوفية في الغرب على وجه الخصوص من الحكومات الغربية في العصر الحديث لا يعني أن أتباع هذا التيار الروحي لا يمتون بصلة لأمتهم، بل يجب فهم ذلك من خلال النظرة التي ينطلق منها المتصوفة تجاه الآخر الذي يسمى إطلاقا في الأدبيات الإسلامية " كافرا " فنظرة الصوفي للإنسان أنه واحد مهما اختلف فبدل أمة الإسلام نجد أمة الإنسان في سلم الأوليات، ومن هذا ظهر ما يعرف بـ: (التصوف الكوني) وهنا تكمن أهمية الدعم الذي يقدمه الغرب للطرق الصوفية في الغرب وحتى في العالم المسلم، فهذه الطرق دون سواها من أطياف الإسلام تحمل جينات الإسلام الناعم الذي يؤمن بمقدرات الإنسان وما توصل إليه من إبداع سياسي على وجه

الخصوص، وراسخ في أذهاننا ما قدمه الغرب من دعم للإسلام المتطرف في العالم المسلم، وأحداث أفغانستان ولعبة الأفغان العرب والقاعدة، وباقي أطياف الإسلام الحركي، وهذا وغيره يكفي دليلا لاقتناع الغرب بخطر هذه الحركات السياسية المأسلمة على الإنسان عموما، وما يتلقاه من تخويف وتفجير نتيجة لدعمه ذاك.

10/ إن تنوع مصادر التصوف الإسلامي لا يعني أنه ليس أصيلا في البيئة الإسلامية، مع أننا نثبت أن الأصل الإسلامي كان أساسيا خصوصا في طور النشوء، إلا أن الإنصاف يقتضي أن نقر بدخول المصادر الأجنبية وأهمها تأثير الرهبنة المسيحية واليهودية وطقوسهما التعبدية في حركة الزهد الإسلامي، بالإضافة إلى تأثير روحانيات الحضارة الشرقية في أشكال التصوف الإسلامي، وهذه الإفادة من الحضارات الأخرى يعتبر عامل تميز لصالح التصوف، إذ يثبت أتباعه بذلك قابليتهم للاستفادة من كل منجزات الإنسان الروحية.

11/ إن الغرب وجد في الصوفية ما لم يجده في غيرهم من قابلية للحوار وللآخر في الوقت الذي نجد غير الصوفية لا يقبلون حتى ببعضهم البعض، وهذه الحقيقة إنما هي بسبب سوء المناهج التي بنيت عليها معارف أتباع هذه الحركات، فكيف يمكن للذي لا يقبل بالمختلف معه في فهم آية واحدة من كتاب مقدس يجمعه به أن يقبل بالآخر الذي يراه كافرا ؟. أما الصوفية فمناهجهم قد تجاوزت هذه العوائق إلى تحقيق أعظم غايات الإسلام، في تحقيق أعظم مقصد جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ألا وهو مقصد الإنسان.

12/ إن تجاهل المؤرخين الفرنسيين للوجود الإسلامي في مناطق عديدة في فرنسا كالجنوب في العصور الوسطى، كان وفق خطة مرسومة تقضي بمحو الآثار التي خلفها المسلمون وراءهم، والقصد من ذلك محو جزء من الذاكرة الفرنسية يثبت وجود عقيدة الإسلام على هذه الأرض.

13/ إن الإسلام في فرنسا اليوم ليس إسلاما قدم مع المهاجرين وبدأ معهم وانتهى بهم، بل هو إسلام مئات السنين، كان له وجود في فرنسا، رغم ما تعرضت إليه الذاكرة الفرنسية من مسخ وطمس.

14/ تحوز قضية المهاجرين أهمية كبيرة، فهي من بداياتها تشكل أهمية بالغة في دراسة هذا الموضوع، وذلك لأن مرحلة الهجرة مرحلة حساسة من مراحل تشكل الجالية المسلمة بفرنسا، مع دراسة ما قدمته هذه الجالية للجمهورية الفرنسية، سواء في حالات الحرب إذ دافعت على فرنسا باستماتة، أم ما قدمته في حالات السلم من المساهمة في قطاع الصناعة، وقطاع الخدمات، تماما مثل الذي يقدمه الفرنسيون الأصليون.

15/ مزية الروحانية الشرقية تعتبر أسمى ما يتميز به المهاجر المسلم، ولعله الشيء الوحيد الذي بقي للمسلم أن يفاخر به أمام طغيان الحضارة الغربية، والمدنية الطاغية، لذا فرغم الحالة الضعيفة للمسلمين إلا أن تراثهم الروحي يبقى إرثا يسيل لعاب عالم الغرب أجمع، ومنه فرنسا التي سارعت للاستفادة من هذا التراث الثر.

16/ التأثير البليغ للأمير عبد القادر في الساحة الثقافية والفكرية الفرنسية، وذلك جراء المدة التي قضاها بفرنسا، ويبدو ذلك جليا من خلال الصداقات التي ربطها الأمير بالمثقفين في فرنسا، والمراسلات والأسئلة التي كانت ترده في شتى المسائل، وقد ساعده في ذلك العامل النفسي والاستعداد الفطري الذي كان يعيشه الأمير في صغره، من حبه وميله للروحانيات، وقد كانت نتيجة هذه الروح العظيمة إعجاب وولوع أصدقائه من الفرنسيين به، كما أظهرت بعض الوثائق أخوات مسيحيات يرغبن في مرافقته إلى منفاه الروحي في المشرق.

17/ إن صورة الإسلام في المخيال الفرنسي مشوهة إلى حد كبير، وذلك للاستشكالات الكثيرة في أذهان الفرنسيين، ولعل من أهم القضايا التي أثارت الجدل قضية عدم مساواة المرأة بالرجل في الميراث، وتعدد الزوجات.. وهذه القضايا وغيرها يراها الفرنسيون أمرا مخالفا لمنطق قوانينهم السائدة، ولعل هذا ما يسبب عند الناس مواقف مسبقة من الإسلام والمسلمين، مع تسجيلنا الجهل العظيم لدى غالبية الفرنسيين بالإسلام الحقيقي الذي لم يسمع صوت حكمته في فرنسا بعد.

18/ إن الاستشراق قد قدم للغرب عموما وفرنسا على وجه الخصوص خدمة روحية متميزة، بالأخص في القرن الماضي، إذ سعى إلى جعل الناس يتذوقون الروحانية المشرقية من خلال كتابات المستشرقين وتحقيقاتهم المتميزة، وذلك أن أبرز هؤلاء المستشرقين كانوا هم أنفسهم قد سلكوا طريق البحث الروحي، كما نجد ذلك عند المستشرقين العظيمين " **لويس ماسينيون** " و" **هنري كوربان** ".

19/ إن عدد المعتنقين للإسلام في فرنسا في زيادة، ومن ذلك أن هناك اليوم حوالي 70 ألف معتنق للإسلام في باريس والدوائر المحيطة بها، ونجد من هؤلاء المعتنقين كتابا ومفكرين وفنانين ورياضيين، بالإضافة إلى التنوع العمري لدى هذه الشريحة المسلمة، مع ملاحظة أن غالبية المؤرخين الفرنسيين لا يعطون العدد الحقيقي للمعتنقين، لذا أصبح تقديم إحصاء دقيق لعدد المعتنقين أمرا متعذرا لعدة اعتبارات.

20/ يعتبر الفيلسوف الروحي " **رينيه غينون** " أعظم شخصية فرنسية تركت أثرا جليا في الأوساط الثقافية والأكاديمية الغربية عموما والفرنسية بالأخص، وهو ما تفسره الرسائل والأسئلة التي

كانت ترده من كبار المثقفين، وأصدقائه في فرنسا حول الحكمة الإنسانية، وما يمكن أن تقدمه الحكمة المشرقية في هذا المضمار.

21/ أهمية الدور الذي يلعبه التصوف والفكر الصوفي في الأوساط الأكاديمية الفرنسية، وما يقدمه الفيلسوف المتصوف المسلم صاحب الأصول الفرنسية " **إيريك جيوفروا** " على الصعيد الأكاديمي في سبيل التعريف بالإسلام، وبروحانيته الرفيعة، وفي السياق نفسه ما يقدمه من أن الإسلام الصحيح إنما هو إسلام المتصوفة، فالإسلام من خلال ما استخلصه في أن يكون روحيا أو لا يكون.

22/ لا ينكر أحد أننا اليوم أمام أسطورة حقيقية للخطر الإسلامي على مستقبل فرنسا، ولأجل هذا سارع الساسة الفرنسيون للتصدي لهذا الخطر، إذ ظهرت كنتيجة لذلك حول قيادة الإسلام في فرنسا، وهو ما عجل بظهور دعوة " **نيكولا ساركوزي** " إلى إسلام فرنسي تقوده شخصيات فرنسية ولاؤها أساسا للوطن، تؤمن بمبادئ الجمهورية وتدافع عنها.

23/ تعتبر الفترة التاريخية التي أسست فيها الطريقة الشيخية فترة حرجة من تاريخ المغرب العربي، فالمطالع لكتب التاريخ يدرك جيدا أنها كانت فترة تشرذم مست جميع القطاعات، إلا أن الزوايا كانت تلعب الدور الرئيس في إحياء البيئة على مستوى كل ما تستطيع إصلاحه الطرق، كما لا ننسى أهمية المنطقة التي كانت الشيخية تغطيها وهو الذي جعلها تلعبا دورا إقليميا بامتياز.

24/ تعتبر البيئة الاجتماعية والبيئة السياسية أهم عاملين يؤثران سلبا أو إيجابا في إيجاد أية منظومة فكرية، كما تؤثران على نشأة أية مؤسسة جمعية كالزاوية والطريقة الصوفية، هذه الأخيرة تنشأ أساسا لتقدم خدمة للمجتمع والبيئة التي توجد فيها، ولعل الزوايا في فترات النشوء كانت تسعى بالأساس إلى تهذيب المجتمع ودعوته للفضيلة عن طريق ممارسة الإحسان وتعليمه للناس، وهي الخدمة العظمى التي يتلقاها المجتمع في الغالب من الزوايا والطرق الصوفية.

25/ يعد شيخ الطريقة الشيخية **عبد القادر بن محمد** الملهم الحقيقي للطريقة، وهذا ما نجده عادة في كل الطرق المنبثقة عن الشاذلية، هذه الطريقة الكبرى الملهمة للكثير من الطرق في المشرق والمغرب، فنجد أن أتباع الشيخية الشاذلية في كل من الجزائر والمغرب، وكذا في فرنسا وبلاد الغرب عموما يتخذون من شخصية الشيخ المؤسس مصدر تلق وإلهام روحي، وهذا الأمر نجده في كثير من الأدبيات الصوفية المعاصرة في العالم، فعادة ما يستمد المريد طاقته الروحية من أطياف روح الشيخ السابحة في مخياله.

26/ إن الدور الذي لعبه الشيخ المجدد الشيخ بوعمامة يعد دون أدنى شك دورا رائدا وفريدا، إذ

نجده قد ساهم بتجديده في فترة عرفت فيه الطريقة خمولا وتراجعا واضحا، كما لا حظ هذا التراجع الكثير من المؤرخين الذين درسوا الطريقة، إذ قد مس الطريقة ضعف كبير، خصوصا مع غياب شيخ جامع للطموحات الروحية والسياسية لأتباع هذه الطريقة الصوفية المجاهدة.

27/ لقد لعبت التركة العلمية لكل من الشيخين، الشيخ المؤسس عبد القادر بن محمد، والشيخ المجدد بوعمامة، دورا مهما في ربط الأتباع بأصول طريقتهم، ولعل الدور المحوري الذي تلعبه " الياقوتة " و" حزب الفلاح "، وصلوات الشيخ بوعمامة ليعد دليلا كافيا على البصمة التي تركها الشيخان في الأوساط الصوفية الشيخية.

28/ إن السند الروحي للطريقة الشيخية كما تقدم معنا، يعتبر رابطا حقيقيا يربط المريد الشيخي بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتميز هذا السند بالقوة، والعلو، والصحة.. بالإضافة إلى شيء في السند وهو الاتصال، إذ لا نجد فيه أي انقطاع وهذا ما أثبته المحققون في الطريق، ولعل ما يعطيه كل هذا التميز والقوة هو وجود الضباط والعدول فيه السلسلة، من أمثال السماحي وزروق وابن عطاء الله والمرسي والشاذلي وابن مشيش، وأبي مدين، وأبي يعزى، والغزالي والجويني، والجنيد، والحسن البصري والإمام علي عليه السلام، وغيرهم من فحول العلم والإحسان.

29/ إن البرنامج الذي وضعته المشيخة الحالية للمريد، من خلال عمله في اليوم والليلة يعتبر برنامجا متكاملا من جهة تغطيته للحاجيات الروحية بما يلزمه من ذكر واسغفار وأذكار وصلوات عموما، كما نجده من جهة أخرى واقعيا، ومعاصرا، إذ نجده يراعي حاجيات الحياة المعاصرة من سهولة ويسر، وذلك من خلال حجم الأذكار والصلوات الذي يلتزم في تأديته المريد، وهو ما لا يحتاج إلى وقت طويل، يضاف إلى ذلك سهولة الألفاظ التي يستعملها الأشياخ إذ نجدهم في أورادهم وصلواتهم يبتعدون عن التقعر في الألفاظ، فهم طارحون للتكلف، فيختارون ما يسر فهمه، وهو ما يبرر وجود الأوراد باللهجة العامية المغاربية.

30/ تعد شروط الطريقة الشيخية، المعروفة لدى أتباعها لأجل دخول المريد في الطريقة شروطا تنظيمية أكثر منها شروطا تمييزية، فهي – أي الطريقة – لا تميز بين مريد وآخر، فكلهم أحباب تجمعهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، والمتأمل في الشروط يجدها على قسمين: قسم أول، وهو بالأساس ما يعرف بشروط دخول اعتناق الإسلام، وهو لا يعني من تحقق به، والقسم الثاني هو القسم التنظيمي أي الذي يتعلق بالطريقة أساسا، وهذا النوع من الشروط معروف في كل الطرق الصوفية في، ومهم أن ننبه إلى أن هذه الشروط في القسم الثاني تعتبر شروطا توفيقية، فهي تختلف من طريقة لأخرى،

وهي محل اجتهاد من شيوخ الطريقة، إلا ما كان منها سرا من أسرار المؤسس، فذاك يبقى إرثا لا يجوز المس به.

31/ تعتبر الطريقة الشيخية بفرنسا طريقة حديثة الوجود، فعلاقتها بفرنسا بشكل منظم تعود إلى سنة 2004 بالتحديد، حيث عرفت الطريقة تنظيما وبرنامجا تسير عليه، موافق لما تسير عليه الزوايا الشيخية في كل من الجزائر والمغرب.

32/ توصلنا من خلال البحث إلى أن الطريقة الشيخية كانت موجودة في فرنسا، من بداية القرن العشرين، لكن وجودها غير منتظم، إذ حظيت الطرق الصوفية والزوايا في المغرب العربي باهتمام كبير من طرف الحكومة الفرنسية – الاستعمارية – وذلك بغرض فهم طبيعة التدين السائد لتسخير بعض هذه الطرق لتسهيل عملية الاحتلال لهذه الأقطار المهمة.

33/ عرفت الفترة المعاصرة حضورا قويا وتطورا ملحوظا للحضور الصوفي في أوروبا عموما وفرنسا على وجه الخصوص، وغالب الطرق الموجودة في أوروبا اليوم تتفرع عن الطرق الكبرى في العالم الإسلامي، من قبيل الشاذلية والنقشبندية والقادرية والتيجانية، وطريقتنا محل الدراسة قد جمعت بين أصلين هما الشاذلية والقادرية بالإضافة للعلاقة العلمية التي كانت تربط الشيخ الثاني مع الشيخ **أحمد التيجاني**.

34/ إن التصوف هو الوجه الصحيح للإسلام الناعم، هذا الأخير الذي وجد قابلية مجتمعية عجيبة في البيئة الفرنسية، كما نسجل في السياق نفسه مساهمة الحكومة الفرنسية في إيجاد هذا النوع من التدين، بل تذهب إلى حد التمكين له ودعمه ماديا في غالب الأحيان.

35/ أهمية الدور الذي يقوم به الشيخ الحالي للطريقة الشيخ **حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة** في ترسيخ مبادئ الطريقة الشيخية بزواياها بفرنسا، في مختلف المدن كباريس ونونت وغايين ومرسيليا وبوردو وليون.. كما يعود له الفضل في توسع الطريقة خارج فرنسا كبلجيكا وألمانيا وهولندا وأسبانيا.. وتكمن أهمية الدور الذي يلعبه الشيخ **حمزة** بالإضافة إلى الجانب التنظيمي، في الإلهام الروحي الذي يمد به أتباع الطريقة في فرنسا على غرار باقي الأتباع.

36/ يعتبر مسجد باريس الكبير ومعهده معهد **الإمام الغزالي** لتكوين الأئمة من أهم المؤسسات الرسمية التي تحظى الطريقة الشيخية لديها بالترحاب، وذلك أن طريقتنا محل الدراسة قد أثبتت وجودها في هذا المسجد، وبما أن الدور الذي يرمي إليه المسجد ينطلق أساسا من التصوف، فإن الشيخية لا تزال تلعب هذا الدور في محيط هذا المسجد من خلال حضور مقدميها، خصوصا في المناسبات الدينية

التي لا تمر دون تعظيم واحتفال وذكرى من هيئة تسيير شؤون المسجد.

37/ تعتبر زاوية باريس القريبة من المسجد الكبير بمثابة الزاوية الأم بالنسبة لباقي الزوايا في التراب الفرنسي، وتكمن أهميتها في أن تعاليم الطريقة تؤخذ من الزاوية الكبرى بباريس، بالإضافة إلى الأهمية الروحية التي يضفيها عليها وجود كل من منسق الطريقة في عموم أوروبا الدكتور جلول صديقي، وهو نفسه مدير معهد باريس الإمام الغزالي لتكوين الأئمة، وكذا وجود نائبه الأستاذ الشيخ بوعمامة – نجل الشيخ الحالي – ووجود مقدم الطريقة في عموم فرنسا الأستاذ مصطفى حاكمي، ولعل وجود هذه الشخصيات المهمة في زاوية واحدة يعطي دفعا للزاوية دون شك.

38/ تعتمد الطريقة في إثراء خطابها الصوفي في فرنسا على أتباعها من الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام، بل وتسمح لهم المشيخة العامة بأن يكون منهم المقدمون في زوايا الطريقة، كما هو الحال مع الشيخ عبد الله جيغيمي، وهو فرنسي اعتنق الإسلام على يدي أتباع الطريقة، وهو المشرف الآن على زاوية سانتيتيان، والشيخ محمد محب، وهو فرنسي الأصل أيضا اعتنق هو الآخر الإسلام على يدي مقدمي الطريقة.

39/ يهدف الخطاب الصوفي الشيخي في فرنسا إلى تمثيل الإسلام أحسن تمثيل، والدعوة إليه بالحكمة وباللين، كما دأب على ذلك شيوخ الطريقة الشيخية منذ بدايات التأسيس، وهذا الهدف الذي تسعى إليه الزاوية الشيخية الفرنسية مستمد من تعاليم الشيخ الحالي المربي حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة.

40/ إن الخطاب الصوفي للطريقة ليس خطابا عشوائيا بل هو يقوم على برنامج متكامل تعتمد فيه الزاوية الشيخية نظاما محددا في الاشتغال بتحفيظ القرآن الكريم، باعتباره الأساس السامي لكل روافد الفكر الإسلامي، وقد تمت مراعاة أحوال المخاطبين في وضع هذا البرامج المتكامل.

41/ تعتمد الطريقة في فرنسا في خطابه الفقهي على المذهب المالكي أساسا، وذلك من خلال متن ابن عاشر، ويعود اهتمام شيوخ الطريقة بالفقه إذ أن القائم على التربية لا يمكنه أن ينفك عن فقه الحلال والحرام الذي يجسد لنا الشريعة الإسلامية في أسمى تنظيمها وتحليلها، ويعتبر اختيار متن ابن عاشر مدروسا لأنه متن ملخص للأحكام الأساسية الضرورية من علوم الدين، كما أنه قسم تقسيما موضوعيا دقيقا، على نحو ثلاثي وهو: التوحيد، الفقه، التصوف، وفي العقيدة تعتمد الزاوية في خطابها العقدي الأشعرية، عقيدة أهل السنة الأصلية الثابتة، وذلك من خلال تدريس العقيدة الطحاوية، وجوهرة التوحيد بشرح البيجوري، كما تركز الطريقة على كتب الشمائل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ككتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وكتب النبهاني في السيرة المحمدية.

42/ أهمية السماع في الطريقة الشيخية، وثراء الموروث الشيخي في المديح والذكر والأوراد، وتحوز الأهمية الكبرى في هذا السياق منظومة الشيخ المؤسس سيدي الشيخ، المعروفة في التراث الصوفي بالياقوتة، وهي الحجر الكريم، كما يعبر عنها في الطريقة، ولا توجد زاوية من الزوايا الشيخية في العالم إلا وتجعل من الياقوتة رأس سنام المديح والسماع، وذلك للأسرار والكنوز العظيمة المحشوة فيها، وللمعاني الصوفية العميقة التي حوتها، بالإضافة إلى الحضرة وحزب الفلاح، ثم تأتي قصائد الشيخ ابن الدين وغيرها من قصائد أوائل شيوخ الطريقة، ولا ننسى قصائد مجدد الطريقة الشيخ المجاهد بوعمامة.

وبخصوص آفاق هذا البحث، فإننا نخلص إلى ملاحظة بارزة جلية، وهي ندرة الدراسات المتخصصة في فرنسا وأوروبا عموما، فهذا النوع من الأبحاث لم يحظ بالاهتمام الكافي، ومع أن فرنسا تعتبر من الدول الغربية التي تمتاز بجالية مسلمة عريضة ومتنوعة، كما تشهد حضورا صوفيا معتبرا جدا، إلا أنها كباقي الدول الغربية تعاني قلة الدراسات المتخصصة في الجانب الصوفي فيها، لذا فعلى الباحثين التوجه إلى مثل هذه البحوث، وذلك في سبيل اكتشاف حقائق أكثر عن طبيعة الخطابات الصوفية في الغرب عموما وفرنسا بالأخص، مع التركيز على ما قدمته هذه الخطابات حتى اللحظة، ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار التلازم الوثيق الحاصل بين الخطابين، الخطاب الإسلامي العام، والخطاب الصوفي العام، خصوصا في العصر الحديث، أما في الوقت الراهن فيجب على الخطاب الصوفي الجديد أن ينزاح بنفسه عن غيره من الخطابات التي تقمصت قميص الخطاب الإسلامي الوسطي.

ملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شيخ الطريقة الشيخية الشاذلية حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة، رفقة منسق الطريقة في عموم أوروبا ومدير معهد الإمام الغزالي لتكوين الأئمة، بالزاوية الأم بالعاصمة باريس.

الأوراد بعد الصلاة في الزاوية الكبرى بباريس بحضور شيخ الطريقة ومنسقها بعموم أوروبا ومقدم الطريقة بفرنسا الأستاذ مصطفى حاكمي.

اجتماع المريدين بالزاوية الأم بباريس بحضور الشيخ الحالي للطريقة الشيخ حمزة بن عبد الحاكم بوعمامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

1/ فهرس الآيات القرآنية.

2/ فهرس الأحاديث.

3/ فهرس الأعلام.

4/ فهرس المصادر والمراجع.

5/ فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1/فهرس الآيات القرآنية:

الآيـــــــــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	77	القصص	9
﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾	2-1	التكاثر	9
﴿ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾	20-19	الفجر	9
﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾	14	إبراهيم	60
﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾	164	الصافات	60
﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾	41-40	النازعات	62
﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	53	يوسف	62
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾	13	الحجرات	62
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾	77	النساء	62
﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾	3	الطلاق	62
﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾	7	إبراهيم	62
﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	155	البقرة	62
﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾	119	المائدة	62
﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾	14	العلق	63
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	54	المائدة	63
﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	56	الأعراف	63
﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	5	العنكبوت	63

﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴾	34	فاطر	63
﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ﴾	77	القصص	64
﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾	32	الأعراف	64
﴿ طه مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾	2-1	طه	65
﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾	100	التوبة	67
﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	137	البقرة	70
﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾	65	الكهف	70
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	85	آل عمران	110

2/فهرس الأحاديث النبوية

لفظ الحديث	الصفحة
احفظ الله تجده أمامك..	59
ازهد في الدنيا يحبك الله..	59
أصحابي كالنجوم..	61
إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه..	62
إياكم ومحدثات الأمور..	42
كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف..	60
ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا..	63
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد..	42
ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..	60

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3/فهرس الأعلام

أبو علي الحسن البطيوي	195
إبراهيم بن أدهم	18/09
ابن أبي محلي الفيلالي	203/143
إحسان إلهي ظهير	43
أحمد بن حنبل	43
أحمد بن عثمان حاكمي	204/143
أحمد توفيق المدني	48/47
الأمير عبد المؤمن بن علي	192
أوليري	04
بركات الحطاب	195
بشر بن الحافي	10
أبو بكر الشبلي	11
أبو بكر الصديق	61
بن باديس	204/143/125/47
أبو الريحان البيروني	07/06
أبو التراب النخشبي	10
جعفر الخلدي	11
جلال الذين الرومي	48
الجنيد	198/11
أبو الحسن النوري	10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو حمزة البزار	148/43/23
ذو النون المصري	10
ابن رشد	76/52
رونيه غينون (عبد الواحد يحي)	97/96/94/93/27/05
سالم السنهوري	195
السري السقطي	24/18/10
أبو سعيد ابن أبي الخير	11
أبو سعيد الخراز	10
سليمان الداراني	21/10
سمنون المحب	10
سهل الأصفهاني	11
سهل التستري	10
القصار القيسي	195
طلحة بن عبد الله	62
الطوسي	63/62/61/21
ابن عاشر	197/196/195/194/193
عائشة أم المؤمين	152/436/59
أبي العباس بن القاضي	195
عبد القادر بن محمد	/123/122/121/119/117 /163/160/155/143/131 /208/203/201/184/164

	227
عبد الله الدنوشري	195
عبد الله طواهرية	204/201/142
عبد الوهاب المسيري	48
عبدك النباتي	12
أبو عتبة الحلواني	61
أبو عثمان المغربي	12
عثمان بن عفان	63/62
علي بن أبي طالب	134/63
ابن عليوة	47/46
عمر بن الخطاب	61
أبو عمرو الدمشقي	11
عمرو بن عثمان المكي	10
الغزالي أبو حامد	223/133/67/12
فهمي هويدي	50
القاضي عياض	200
القديس أريجون	07
القشيري	54/42/26/21/17/04
كولين باول	49
المحب الطبري	62
محمد البشير الإبراهيمي	47/46/45/44

محمد الجنان	195
محمد بن أبي بكر الدلائي	195
محمد بن أحمد التَجيبي	195
محمد بن معروف العامري البوشنافي	204/143
أبو محمد رويم	11
محمد ناصر	48
معروف الكرخي	211/18/09
أبو منصور الحلاج	124/44/18/13/11
المهدي بن تومرت	192
أبو موسى الأشعري	133/61
مولود الحافظي	47
ابن النعيم الغساني	195
يوسف الفاسي	196
يوسف النبهاني	200/47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4/فهرس المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم – رواية حفص عن عاصم –

المعاجم والموسوعات:

1. الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، المواقف، ط 1، 2004، تح: عاصم إبراهيم الكيالي الحُسيني الشاذلي الدرقاوي، منشورات محمد علي بيضون، طباعة ونشر دار الكتب العلمية ببروت، لبنان.

2. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تقديم: محمد صدقي جميل العطار، دط، دار الفكر بيروت، 2003.

3. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط، 1972.

4. الزركلي (الأعلام)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط4، 1399هـ، المجلد 8.

5. السبكي تاج الدين طبقات الشافعية.

6. القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998. أبو

7. ابن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، د ط، د ت.

8. للتوسع في الموضوع يراجع عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984.

9. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن (المسند الصحيح)، مخطوط بالخزانة الملكية، رقم: 111 ق.

10. معلمة المغرب، مجموعة مؤلفين بإشراف: د محمد حجي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، دط، 1989، المجلد: 17.

كتب الحديث والأثر:

11. البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 2002.

12. الترمذي محمد بن عيسى، السنن، تح: أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، الناشر مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1977.

13. ابن حنبل الإمام الأحمد، مسند أحمد، تح: أحمد شاكر وحمزة الزين، دار الحديث، ط1، 1995.

14. الحنبلي ابن رجب عبد الرحمن بن شهاب، جامع العلوم والحكم، تح: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط8، 1999.

15. أبو داود سليمان بن الأشعث، السنن, تح: شعيب الأرناؤوط وأخرون، دار الرسالة العالمية،ط 1، 2009.

16. الطبراني سليمان بن أحمد، مسند الشاميين، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

17. العجلوني إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر، د ط، 1351.

مراجع عامة:

18. الإبراهيمي محمد البشير، الطرق الصوفية مقتطفات من تصدير نشرة " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "، مكتبة الرضوان، الناشر مكتبة الغرباء الأثرية، باب الوادي، الجزائر، تقديم: مشهور حسن سلمان، ط1، 2008.

19. إدريسي عزيز الكبيطي، التصوف الإسلامي في الغرب، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية، الشرق أوسطية والخليجية، مطبعة أميمة، فاس، المملكة المغربية، ط1، 2008.

20. الأدفوري كمال الدين جعفر بن ثعلب، الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، تحقيق وتقديم وتعليق: محمد عيسى صالحية، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1988.

21. إقبال محمد، تجديد الفكر الديني، ط2، ترجمة: عباس محمود، مراجعة: مهدي علام، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1967.

22. آندريه تور، التصوف الإسلامي، تر: عدنان عباس علي، منشورات الجمل، ط1 كولونيا، ألمانيا، 2003.

23. آيت علجت محمد الصالح، صحف التصوف الجزائرية من 1920 إلى 1955، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 2001.

24. بدير عون فيصل، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، د ط، 1983.

25. برحاب عكاشة، الزاوية البوتشيشية دراسة معززة بالوثائق، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مطبعة فيديبرانت، الرباط، ط1، 2004.

26. بزيان سعدي، من وهج البصائر، دار الأمل للطباعة والنشر، دط، دت.

27. بن باديس عبد الحميد، نصوص مختارة، جمع وتعليق الدكتور محمد القورصو، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهارANEP، طبعة 2005.

28. بن عربي محيي الدين، ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000.

29. التصوف المعاصر، مؤسسة إحياء التراث الصوفي، تقديم وتعليق: محمد زكي إبراهيم، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، ط5، 2005.

30. التفتازاني أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، د ت ط.

31. الجزائري أبو بكر جابر، إلى التصوف يا عباد الله، دار البصيرة، الإسكندرية، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، د ط، 1990.

32. الجليند محمد السيد، من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، ط4، 2001، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

33. جوفروا إيريك، التصوف طريق الإسلام الجوانية، تر: عبد الحق الزموري، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010.

34. حلمي محمد مصطفى، الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، د ت.

35. خان عنايات، تعاليم المتصوفين، تر: إبراهيم إستنبولي، دار الفرقد، دمشق، سوريا، ط1، 2006.

36. ابن خلدون، المقدمة، طبعة الدار التونسية، 1984.

37. خنشلاوي زعيم، الجزائر دار الهجرة ومستقبر الإيمان، دط، دت.

38. خياطة نهاد، دراسة في التجربة الصوفية، دار المعرفة، ط1/ 1994، دمشق.

39. دوفريه هنري، اكتشاف الصحراء، باريس، 1864.

40. ديلاسي أوليري، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، تر: تمام حسان، عالم الكتب، دط، دت.

41. رين لويس، مرابطون وإخوان، دم، دط، 1884.

42. زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، دار الجيل، بيروت لبنان.

43. زيتوني الشريف، محمد إقبال وشذرات من فلسفته الإحيائية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط 2010.

44. الزين سميح عاطف، الإمام الغزالي، دراسة وتحليل، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، د ط، 1988.

45. شرف محمد ياسر، فلسفة التصوف السبعيني، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط1، 1990.

46. الشوباشي شريف، هل فرنسا عنصرية ؟، دط، دت.

47. ظهير إحسان إلهي، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، العربية السعودية، ط1، 2005م.

48. عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، ط5، دار المعارف، القاهرة مصر، دت، ص 34.

49. عرفان عبد الحميد، في التصوف المقارن ملاحظات منهجية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ربيع 2004، العدد 36.

50. أبو العزائم عز الدين ماضي، إسلام الصوفية هو الحل لا إسلام الخوارج، دار الكتاب الصوفي، مصر، ط1، 1993.

51. العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البصائر، طبعة خاصة، 2009.

52. أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، مصر، 1961.

53. علوي أمين صوصي، خصائص الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، دط، 2011.

54. الغزالي أبو حامد، المنقذ من الضلال، مكتبة الجندي، مصر، د ت، د ط، تصحيح وتعليق محمد محمد جابر.

55. فرانشيسكو كبرييلي، محمد والفتوحات الإسلامية، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ط1، 2011.

56. القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمد بن شريف، دار المعارف، دط، دت، ج2.

57. الكلاباذي أبو بكر محمد، التعرف لذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1969.

58. كوربان هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط 2، 1998.

59. ماسينيون لويس ومصطفى عبد الرازق، التصوف، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت لبنان، ط1. 1984.

60. مبارك زكي، التصوف الإسلامي، مطبعة الرسالة، القاهرة 1938.

61. محسن عبد الحميد، النورسي متكلم العصر الحديث، سوزلر للنشر، القاهرة مصر، د ط، د ت ط.

62. محمود عبد الحليم، قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1999.

63. محمود عبد الحليم، قضية التصوف، المنقذ من الضلال، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.

64. المقدي محمد بن عبد الله، التصوف بين التمكين والمواجهة، د ط، د ت، د د.

65. المقريزي تقي الدين، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تح: عبد المجيد عابدين،

عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1961.

66. المكي أبو طالب، قوت القلوب في معاملة المحبوب، مصر، دط، 1961.

67. ناشيد سعيد، اليسار الفرنسي والإسلام قراءة تحليلية نقدية في الخطاب الفرنسي حول الإسلام، منشورات دفاتر عائلية، الشركة المكتبية ومطبعة فارير، سطات المغرب، ط1، 2007.

68. النجار عامر، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، ط5، د ت ط.

69. النورسي بديع الزمان، المكتوبات، تر: إحسان قاسم الصالحي، ط3، سوزلر، مصر، 2001م.

70. النورسي بديع الزمان، الملاحق في فقه دعوة النور، تر: إحسان قاسم الصالحي، ط3، سوزلر، مصر، 1999م.

71. النيفر مصطفى، الشرق والغرب حين يلتقيان، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط 1/ 2004.

72. يحي عبد الواحد " روني غينو "، التصوف الإسلامي المقارن وتأثير الحضارة الإسلامية في الغرب، ترجمة: عبد الباقي مفتاح، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط1/ 2013.

73. يحي عبد الواحد، التصوف الإسلامي المقارن وتأثير الحضارة الإسلامية في الغرب مع بحوث أخرى، ترجمة وتعليق: عبد الباقي مفتاح، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013.

مجلات جرائد أعمال ملتقيات:

74. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، دط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.

75. مجلة جمعية جغرافية الجزائر وشمال إفريقية (S.G.A.A.N)، 1906، ص174.

76. اليوم الدراسي: البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام، كلية الشريعة، فاس، يوم: 09 ماي 2006، مطبعة آنفو، فاس، دط، 2007.

77. مجلة صدى الشامخات، مجلة تاريخية فصلية، تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية البيض، مصلحة التراث التاريخي والثقافي، العدد 1/ جويلية 2012.

78. مجلة الأثر، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، العدد 03، أفريل 2009.

79. أعمال ملتقى الجزائر، الحياة الروحية للأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر،

29 يونيو- 01 يوليو 1998، طبعة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011.

80. جريدة لسان الدين، العدد: 12، 2 شعبان 1341 الموافق لـ 20 مارس 1923.

81. جريدة الشهاب، العدد: 3، نوفمبر 1925.

82. أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي، طرابلس، ليبيا، سبتمبر 1995، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 1426 "من ميلاد الرسول".

مواقع إلكترونية:

موقع قنطرة، المركز الألماني للإعلام" تاريخ الإضافة: السبت، 10 ديسمبر،2011 قنطرة.

موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية على الرابط:

http://www.habous.gov.ma/

منتدى سيدي الشيخ على الرابط: http://sidicheikh.yoo7.com/t1901p1-topic

باللغة الأجنبية:

[1] - Jean francois legrain. Islam de france ou islam en france. Revue esprit n119. Octobre 1986

2 - Sossie anderzian. Appartenance religieuse et appurtenance communautaire: exemple d un groupe d immigres algeriens en france. In maghrebins en france. Op cit.

3 - R. Dozy, Supplement aux dictionnaires Arabes, T ,I, P 616. Paris. 1967.

[4] - Gildas Simon. Les maghrebins de la regie Renault: solidarite communautaire et implication dans les pays d origine sud marocain et Grande kabylie. In A.A.N 1981.

5/فهرس الموضوعات:

مقدمة..... أ-ي

الفصل الأول: مفهوم التصوف الإسلامي وأصالته 01

المبحث الأول: تعريف التصوف..... 02

المطلب الأول: أصل كلمة (تصوف) (**mysticisme**)..... 02

الفرع الأول: أصل كلمة (تصوف) في اللغة العربية..... 06/02

الفرع الثاني: أصل كلمة (**mysticisme**) في اللغة الأجنبية..... 07/06

المطلب الثاني: التصوف في التعريف الاصطلاحي..... 08

الفرع الأول: التصوف السني " الزهد والأخلاق "..... 14/08

الفرع الثاني: التصوف الفلسفي " الوجد والرمز "..... 14/13

الفرع الثالث: أهم الثقافات المؤثرة في التصوف الفلسفي الإسلامي..... 16/14

المبحث الثاني: التجربة الصوفية وأطوارها في الإسلام..... 17

الطور الأول: العصر المبكر لنشأة التصوف القرنين الثاني والثالث والرابع (**4/3/2**) هـ.. 20/17

الطور الثاني: عصر الاستقرار مع حجة الإسلام الغزالي القرن الخامس (**5**) هـ..... 24/21

الطور الثالث: عصر تشكل الطرق الصوفية ق**6**/ق **7**هجريين..... 26/24

الطور الرابع: مرحلة التدهور من القرن الثامن " **8**هـ " إلى العصر الحديث..... 27

الطور الخامس: التصوف الإسلامي الحديث والمعاصر..... 35/28

المبحث الثالث: أصالة التصوف في التراث الإسلامي..... 36

المطلب الأول: شبهات وردود حول التصوف..... 36

الفرع الأول: التصوف بدعة..... 37/36

الفرع الثاني: التصوف ومخالفة الشريعة..... 43/38
الفرع الثالث: التصوف مؤامرة على الإسلام..... 47/43
المطلب الثاني: مصادر التصوف في الإسلام..... 48
الفرع الأول: القرآن الكريم..... 51/48
الفرع الثاني: السنة النبوية..... 54/51
الفرع الثالث: حياة الصحابة رضي الله عنهم..... 59/54
خلاصة الفصل:..... 62/60
الفصل الثاني: التصوف الإسلامي في فرنسا 63
المبحث الأول: حقيقة الوجود الإسلامي في فرنسا..... 65/64
المطلب الأول: وجود الإسلام والمسلمين في فرنسا..... 66/65
الفرع الأول: الأمير عبد القادر وتأثيره في الساحة الفرنسية..... 69/66
الفرع الثاني: الحياة الروحية والفكرية للأمير عبد القادر في فرنسا..... 73/69
المطلب الثاني: نظرة الرأي العام الفرنسي للإسلام والمسلمين..... 75/73
الفرع الأول: الإسلام والمسلمون في اهتمامات الكتاب الفرنسيين..... 79/75
الفرع الثاني: الإعلام الفرنسي والإسلام..... 81/79
المبحث الثاني: التصوف رافد من روافد الإسلام في فرنسا..... 86/82
المطلب الأول: مسلمون فرنسيون يختارون التصوف..... 87/86
الفرع الأول: مشروع رينيه غينون **Renne Guenon** " عبد الواحد يحي "..... 91/87
الفرع الثاني: إريك جيوفروا – يونس –..... 93/91
المطلب الثاني: صراع على الإسلام أم إسلام فرنسي ؟..... 94/93
الفرع الأول: حقائق حول مسيرة تنظيم الإسلام في فرنسا..... 96/95

الفرع الثاني: مسجد باريس الكبير والهيئات المناهضة..... 99/96
خلاصة الفصل:..... 101/100
الفصل الثالث: الطريقة الشيخية الشاذلية 102
المبحث الأول: بيئة نشوء الطريقة..... 104/103
المطلب الأول: البيئة الاجتماعية والسياسية..... 105/104
الفرع الأول: الظروف الاجتماعية..... 106/105
الفرع الثاني: الظروف السياسية..... 110/106
المطلب الثاني: الطريقة الشيخية من المؤسس إلى المجدد..... 112/110
الفرع الأول: نشأته وأخذه للعلم والطريقة..... 113/112
الفرع الثاني: آثاره ومكانته العلمية..... 115/113
الفرع الثالث: مجدد الطريقة الشيخ بوعمامة..... 118/115
المبحث الثاني: الطريقة الشيخية وبدايات التأسيس..... 119
المطلب الأول: السند الروحي للطريقة وأورادها..... 120/119
الفرع الأول: السند الروحي وشيوخ الطريقة..... 126/120
الفرع الثاني: أوراد الطريقة إجمالا وتفصيلا..... 148/127
المطلب الثاني: عمل المريد في اليوم والليلة وشروط الطريقة..... 148
الفرع الأول: عمل المريد في اليوم والليلة..... 153/148
الفرع الثاني: شروط الانتساب للطريقة..... 155/154
خلاصة الفصل:..... 158/156
الفصل الرابع: الطريقة الشيخية بفرنسا الخطاب والامتداد 159

المبحث الأول: الطريقة الشيخية الشاذلية في فرنسا..... 160
المطلب الأول: تاريخ وجود الطريقة الشيخية في فرنسا..... 161/160
الفرع الأول: الإرهاصات الأولى للتصوف الجزائري بفرنسا..... 164/162
الفرع الثاني: الوجود الفعلي للطريقة الشيخية في فرنسا..... 166/164
المطلب الثاني: هياكل ومؤسسات الطريقة..... 166
الفرع الأول: النشاط داخل مسجد باريس ومعهد..... 176/166
الفرع الثاني: زوايا الطريقة بالأراضي الفرنسية..... 179/176
المبحث الثاني: خطاب الطريقة الشيخية وامتداداته..... 182/180
المطلب الأول: الأثر العلمي للطريقة..... 185/182
الفرع الأول: الفقه المالكي..... 190/185
الفرع الثاني: العقيدة الأشعرية عقيدة أهل السنة..... 192/190
الفرع الثالث: السيرة النبوية..... 194/192
المطلب الثاني: المواسم الدينية..... 194
الفرع الأول: شهر رمضان المبارك..... 194
الفرع الثاني: المولد النبوي الشريف..... 195
الفرع الثالث: السماع والأمداح – الياقوتة – الحضرة – حزب الفلاح..... 210/195
خلاصة الفصل:..... 213/211
خاتمة:..... 224/214
ملاحق:..... 227/225

الفهارس

فهرس الآيات..... 230/229
فهرس الأحاديث..... 231
فهرس الأعلام..... 235/232
فهرس المصادر والمراجع..... 242/236
فهرس الموضوعات..... 247/243

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:

إن الخطاب الصوفي الشيخي المعاصر قد ساهم في البناء الحضاري في فرنسا، ذلك لأنه يعكس عولمة إنسانية، ويشيع روح الحرية، عن طريق إشعار الفرد أنه يشترك مع الآخرين في الإنسانية الجامعة، ومن خلالها يستطيع الإنسان الفرد أن يواجه كل التشويهات، والمغالطات التي يتعرض لها في بلاد الغرب عموما، وفي فرنسا خصوصا، مع ما تمر به من أزمات باعثها الأساس التطرف والإرهاب، بسبب غياب الحوار، وما تعيشه فرنسا اليوم إنما هو نتيجة حتمية على السياسة المنتهجة، والتي نجدها في فترة من الفترات تحابي جهة دون أخرى، وهو ما جعل التصوف يتوارى عن المشهد التربوي والمجتمعي الفرنسي مدة طويلة – تماما كما هو الحال في بلاد المسلمين –، لذا فإن الخطاب الصوفي الشيخي استطاع على الرغم من كل المعوقات، أن يوجد له مكانا، ومؤسسات تشع بنور رحمة شيوخ هذه الطريقة، وذلك بمواجهة عديد الخطابات المناهضة، إذ يضمن خطاب الطريقة الشيخية لكل إنسان العيش الكريم في بيئة تسودها العدالة الاجتماعية، يكون التصوف فيها قيمة من قيم الإنسان العليا، فتصبح قيمة الإنسان حينها فوق كل القيم، وخطاب التصوف هو أسمى الخطابات.

Abstruct:

The contemporary (**SHEEKHY**) Sufi speech has contributed to the cultural building in France, This is because it reflects the globalization of humanity, commonly spirit of freedom, through the individual notice to share with others the universal humanity; And through that, Sufi human, generaly, can be facing all the distortions and inaccuracies that are exposed in his alienation. With crises experienced by the result of extremism and terrorism and the absence of dialogue. And what France living today is the inevitable result of the policy is made known, as example of that the discriminations and racism policies. It is the cause of AIDS and the absence of the role of mysticism in the French social reality, as is the case with the Arab and Islamic countries. However, the (**SHEEKHY**) mystic discourse could having many institutions and main role in Frence. Through facing the anti speeches.